بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة دراسات موصلية

مجلة علمية محكمة

يصدرها مركز دراسات الموصل

تعنى ببحوث الموصل الأكاديمية في العلوم الإنسانية

هيأة التحرير

رئيس التحرير

أ. د. ذنون يونس الطائي

الأعضاء

- أ.د. حسين ظاهر حمود / قسم الحضارات القديمة/ كلية الآثار.
- أ.م.د. بتول حمدي البستاني/ قسم اللغة العربية/ كلية التربية للعلوم الانسانية.
- أ.م.د. محمد صالح رشيد الحافظ/ قسم اللغة العربية/ كلية التربية الاساسية.
- أ.م.د. ميسون ذنون العبايجي/قسم الدراسات التاريخية والاجتماعية/مركز دراسات الموصل
- أ. م. د. عروبة جميل محمود/ قسم الدراسات التاريخية والاجتماعية/ مركز دراسات الموصل.
- أ.م.د. علي احمد محمد العبيدي/ سكرتير التحرير/ مركز دراسات الموصل.

الهيأة الاستشارية

- أ.د. عماد الدين خليل / أستاذ متمرس/ قسم التاريخ / كلية الاداب.
- أ.د. احمد قاسم الجمعة/ أستاذ متمرس/ قسم التاريخ/ كلية الاداب.
- أ.د. هاشم يحيى الملاح/ أستاذ متمرس/قسم التاريخ / كلية الاداب.
- أ.د. ندى فتاح زيدان العبايجي/ قسم علم النفس/ كلية التربية للعلوم الانسانية.
- أ.د. طه خضر عبيد/ قسم التاريخ/ كلية التربية للعلوم الانسانية.
- أ.د. خشمان حسن علي/ قسم علم النفس/ كلية التربية الاساسية.
- أ.د. نهلة شهاب احمد/ قسم التاريخ/ كلية التربية للعلوم الانسانية.

الترقيم الدولي ISSN 1815-8854
العدد (٤٨)
السنة / ١٤
١٤٣٩هـ/٢٠١٨م

توجه المراسلات
باسم رئيس التحرير

العنوان
جامعة الموصل
مركز دراسات الموصل
ص.ب: ١١٣٤٨
فانوس: ٠٧٤٨١٧٠٥٩٢٥
E-Mail :
mosul.studies@gmail.com

ترتب البحوث وفق اعتبارات منهجية
تمت الطباعة في
وحدة الحاسبة
في مركز دراسات الموصل

رقم الإيداع
في دار الكتب والوثائق ببغداد
٧٢٧ لسنة ٢٠٠١

شروط النشر

١. تعنى المجلة بنشر البحوث العلمية الأكاديمية التي تهتم بشؤون الموصل في جوانبها المختلفة.

٢. ينبغي أن يكون البحث مستوفياً لشروط البحث العلمي الأكاديمي.في ايراد المصادر والمراجع وتوثيقها في الهوامش مع الاهتمام باللغة والطباعة

٣. أن لا يكون البحث قد نشر أو قدم للنشر في مجلة أخرى، وان هيأة التحرير غير ملزمة برد البحوث إلى أصحابها في حالة عدم قبولها للنشر.

٤. أن لا تزيد عدد صفحات البحث عن (٢٠) عشرين صفحة مطبوعة وبثلاث نسخ ومحملة على قرص (CD)

٥. يعرض البحث على خبراء متخصصين الذين يقررون صلاحية نشره من عدمه.

٦. تصدر المجلة بصورة دورية ولصاحب البحث المنشور نسخة مستلة من بحثه.

٧.يطبع عنوان البحث ، حجم الخط ١٨، حجم خط المتن: ١٤. (Simplified Arabic) .وحجم التعليقات الختامية ١٣ (Simplified Arabic) على ان لايزيد عدد الاسطر في الصفحة الواحدة عن ٢٧ سطراً.

٨. في الصفحة الاولى ملخص البحث باللغة العربية و ملخص باللغة الانكليزية مع عنوان البحث بالانكليزية واسم الباحث بالانكليزية.

٩. أبعاد الصفحة ترك ٣ سم من كل جهة اليمين واليسار. و الجهة العلوية٣سم . بالنسبة لاسفل الصفحة ٤سم.

مجلة دراسات موصلية

مجلة فصلية محكمة يصدرها

مركز دراسات الموصل

تعنى ببحوث الموصل الأكاديمية في العلوم الإنسانية

❖ أ.م.د. مها سعيد حميد:	الحنابلة في الموصل وجهودهم العلمية خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين	١ـ١٧
❖ م.د. محمد نزار الدباغ:	الموصل ونينوى في كتابات الرحالة اليهودي الألماني بتاحيا الراتسبوني ت :٦١٤هـ/١٢١٧م	١٩ـ٣٩
❖ م.د. هدى ياسين يوسف الدباغ:	أعلام موصليون من خلال كتابات بعض الرحالة والجغرافيين خلال فترة القرنين ٦ـ٨ الهجريين	٤١ـ٥٩
❖ م. د. صهيب حازم الغضنفري:	عز الدين مسعود الثاني امير الموصل (٦٠٧ـ٦١٥هـ/١٢١٠ ـ ١٢١٨م)	٦١ـ٧٩
❖ أ.م.د.علي احمد محمد العبيدي:	أهمية الحفاظ على التراث الثقافي غير المادي في الموصل	٨١ـ٩٥
❖ م. هناء جاسم السبعاوي:	الوعي البيئي الواقع وسبل التطوير (دراسة ميدانية)	٩٧ـ١٢٣
❖ م. مرح مؤيد حسن:	التحديات التي واجهت العملية التعليمية في مدارس مدينة الموصل عام ٢٠١٧ من وجهة نظر كوادرها	١٢٥ـ١٤٨
❖ م.م. عفراء رياض محمد:	طبيعة العلاقة بين الحكومة المركزية والحكومة المحلية وأثرها على التعايش السلمي (الموصل) أنموذجاً	١٤٩ـ١٦٣

الحنابلة في الموصل وجهودهم العلمية خلال القرنين
السادس والسابع الهجريين/الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين

د مها سعيد حميد *

تاريخ استلام البحث ٢٠١٨/٣/١٥
تاريخ قبول النشر ٢٠١٨/٥/٢٧

ملخص البحث:

تعد الموصل من أهم الحواضر التي ظهر فيها الحنابلة لاسيما وانها اشتهرت بمئات المحدثين خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين/التاسع والعاشر الميلاديين، وقد شكل الحنابلة ركيزة أساسية في الحياة العلمية في الموصل خلال فترة البحث، وذلك من خلال التدريس ومنح الإجازات العلمية وتأليف الكتب.

Hanbalis of Mosul and Their Scientific Efforts
During the Sixteenth and Seventeenth Centuries of Hegira / The Twelfth and Thirteenth Century A.D.

Asst. Prof. Dr. Maha Saeed Hameed

Mosul is one of the most important cities in which Hanbalis appeared, especially it was famous for its hundreds of hadith scholars during the third and fourth centuries A.H. / 9th and 10th centuries A.D. Hanbalis formed a fundamental pillar in intellectual life of Mosul during the period under consideration, through teaching and granting scientific and religious certificates plus authorship.

المقدمة:

احتلت المذاهب الفقهية بعد استقرارها وتكامل أصولها ومناهجها مكانة هامة ومؤثرة في الحياة العامة، فلم يقتصر علماء تلك المذاهب على الجانب الفقهي الصرف، بل وضعوا فكرهم ليتعدى الى جوانب الحياة الأخرى السياسية والاجتماعية، لذلك فمن الضروري الأخذ بعين الاعتبار دور تلك المذاهب العلمية بفكرها المستنبط من مصادر الشريعة الإسلامية، لاسيما العصور العباسية المتأخرة حيث تكاملت فيها المذاهب الفقهية وأخذت تمارس دورها على مستوى الدولة والمجتمع، ومن هنا تكتسب هذه الدراسة أهميتها في تناول علماء المذهب الحنبلي

* استاذ مساعد، رئيس قسم الدراسات التاريخية والاجتماعية، مركز دراسات الموصل، جامعة الموصل.

وجهودهم العلمية في الموصل خلال فترة البحث، وبيان دورهم العلمي وتأثيرهم في المجتمع من خلال التدريس والوعظ والتأليف في مختلف العلوم والمعرفة.

ويرجع سبب اختيار هذا الموضوع إلى عدة أسباب أهمها رصد نشاط الحنابلة العلمي في الموصل مع تراجع نشاطهم السياسي فيها، فضلاً عن كونه آخر المذاهب الفقهية الإسلامية ظهوراً وتكويناً مستفيداً من فكر المذاهب التي سبقته، كما ان هذا الموضوع لم يسبق معالجته على مستوى الدراسات المحلية، اما على صعيد الدراسات العربية فهناك رسالة ماجستير بعنوان (حركة الحنابلة في بغداد) كلية الآداب /جامعة الاسكندرية سنة١٩٦٥، وأطروحة دكتوراه حملت عنوان (الحنابلة في بغداد (٤٤٧-٥٧٥هـ/١٠٥٥-١١٧٩م)) تقدم بها عكاب يوسف جمعة الدليمي كلية الآداب / جامعة الموصل سنة ٢٠٠٠، فضلاً عن دراسات أخرى تناولت دور الحنابلة السياسي وجدلية كونهم أصحاب مذهب أم محدثين.

وقد قسم البحث إلى خمس فقرات تناولت الفقرة الأولى نبذة عن احمد بن حنبل (ت٢٤١هـ/٨٥٥م) ونشأة الفقه الحنبلي، وضمت الفقرة الثانية حنابلة الموصل المقيمين فيها أي الذين ولدوا وماتوا فيها، وشملت الفقرة الثالثة الحنابلة الوافدين إلى الموصل خلال فترة البحث وقد تم تعدادهم حسب سني وفاتهم، وبحثت الفقرة الرابعة جهودهم العلمية في القراءات والحديث والتفسير والفقه والأدب، وتحدثت الفقرة الخامسة عن علاقة حنابلة الموصل مع السلطة، ثم ختم البحث بخاتمة.

وعلى الرغم من ثبوت الحنابلة كجماعة لهم تأثيرهم في الحياة العامة والسياسية والعلمية، إلا أن هناك جدل منذ أن ظهر احمد بن حنبل ما بين كونه محدثاً أو فقيهاً وهو صاحب مذهب، وهذا الجدل لا يدخل ضمن بحثنا بقدر ما يهمنا أن الحنابلة أصبحوا فيما بعد أمراً واقعاً ولهم تأثيرهم في مختلف المجالات.

وقد شكل الحنابلة ركيزة أساسية في الحياة العلمية ، وفي رحلات الطلب، فضلاً عن كونهم شكلوا طبقات تناولتها كتب التراجم بما يخص حفظ الحديث بعضهم عن بعض إلى جانب أصحاب المذاهب الأخرى، ونتج عن نشاط الحنابلة مؤلفات ومدارس لها مكانتها في تنشيط الحياة العلمية في مختلف الحواضر ومنها الموصل، كما كان للحنابلة دور مهم في الحياة السياسية وكانوا أحياناً من وسائل الخلافة في مواجهة منافسيها وهذا ما حدث في بغداد وحواضر الخلافة بإطرافها ومنها الموصل.

اولاً-نبذة عن سيرة احمد بن حنبل:

هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني ولد في بغداد سنة (١٦٤هـ/٧٨٠م)، بعد أن استقرت أسرته في هذه المدينة، قادمة من مرو، وهي من الأسر العربية التي هاجرت إلى

خراسان بعد الفتح العربي واستقرت بمرو.وانصرف منذ صباه إلى طلب العلم، إذ درس الحديث على يد كبار شيوخه في بغداد، ورحل إلى مختلف الأقاليم والأمصار لطلب الأسانيد العالية كالكوفة والبصرة ومكة والمدينة، فنبغ في الحديث وحفظه بدليل تأليفه كتاب (المسند) الذي أحتوى على خلاصة الأحاديث التي جمعها ورحل لأجلها، وقد ضم ثلاثين ألف حديثاً، لذلك اشتهر احمد بن حنبل بكونه محدثاً ونال الإمامة فيه وأثنى عليه شيوخه وعلماء عصره[١].

ماهية الفقه الحنبلي:

كان فقه احمد بن حنبل في بدايته مجموعة من المسائل الفقهية التي وجهت إليه، فأجاب عنها وحملها عنه نخبة من أصحابه وتلاميذه من مختلف الأقاليم ورووها عنه، وكانت تلك المسائل بمثابة حل لمشاكل العصر واستجابة لحاجاته، من التوجه الديني والأخلاقي قدم بها علماء من شتى بقاع العالم الإسلامي، وما يؤثر عن ابن حنبل انه نهى عن تدوين المسائل الفقهية، حتى لا ينصرف طلاب العلم عن السُنة والحديث الى كتب فقهية، وكان لعدم تدوين الامام احمد لفقهه وترتيبه أثره في تأخير انتشار المذهب، ومع هذا فإن احمد بن حنبل كما يبدو قد سمح مضطرا لبعض المقربين من أصحابه وخاصته بتدوين مسائله، ثم جاء من جمع تلك المسائل من حامليها ودونوها، فصارت بمجموعها فقهاً تهيأ له من علماء المذهب من قام بدراسته أصولاً وفروعاً ووضعوا له المصنفات والشروح والمختصرات، فضلاً عن ان المذهب الحنبلي فيه الكثير من الأدلة الشرعية التي تعتمد على الكتاب والسنة وأقوال الصحابة وفتاويهم، وقد نتج عن ذلك كثرة المسائل العلمية والعملية والبعد عن المسائل التقديرية الفرضية وهذه ميزة فريدة في هذا المذهب، وبناء على ذلك اتبع هذا المذهب كثير من علماء الحديث والتفسير والأصول وغيرهم[٢]. أما بالنسبة للجذور الأولى للفكر الحنبلي في الموصل فهناك إشارات على تصديهم للجهمية، في حين ان موضوع البحث لا يتناسب مع ذكر تلك الجذور وتفاصيلها[٣].

ثانياً- حنابلة الموصل المقيمين فيها:

تتناول هذه الفقرة بشكل مباشر أهم شخصيات الحنبلية الذين كانوا مقيمين في الموصل خلال القرنيين السادس والسابع الهجريين/ الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، وحسب سنوات وفياتهم:

أبرزهم أبو المحاسن محمد بن عبد الباقي بن هبة الله بن حسين بن شريف المجمعي الموصلي (ت٥٧١هـ/١١٧٥م) وهو أحد فقهاء الحنابلة، تفقه على القاضي أبي يعلي (ت٥٦٠هـ/١١٦٤م)[٤]، وكذلك أبا العباس أحمد بن علي بن أحمد المعروف بالوتارة الموصلي (ت٦٢٢هـ/١٢٢٥م) الفقيه الزاهد، سمع على علو سنه من المتأخرين وكان يعرف أكثر المسائل الهداية لأبي الخطاب محفوظ بن أحمد (ت٥١٠هـ/١١١٦م)، ويأكل من كسب يده

ولباسه الثوب الخام[٥] وقال أبو الفرج الحنبلي نقلاً عن ابن الساعي كان"شيخ صالح كثير العبادة يعتقد فيه ويتبرك به أماراً بالمعروف نهاءاً عن المنكر"[٦]، وكذلك الشاعر أبو نصر عبد الواحد بن ابراهيم بن الحسن بن نصر الله المعروف ب (ابن الفقيه) البغدادي المنشأ، الموصلي المولد، ولد سنة (٥٦١هـ/١١٦٥م) سمع من أبي إسحاق الشيرازي (ت٥٤٠هـ/١١٤٥م) ببغداد واشتغل عليه وائتم به بالفقه، وصار لا يعرف إلا بالفقيه، وسمع بالموصل من أبي الفضل الطوسي (ت٥٧٨هـ/١١٨٢م) وتوفي سنة (٦٣٦هـ/١٢٣٨م) بالموصل[٧]، والإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسين الموصلي الحنبلي المعروف بشعلة (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م) المقرئ، كان "شاباً فاضلاً ومقرئاً محققاً ذا ذكاء مفرط وفهم ثاقب..."[٨].

ومن الحنابلة الذين شاع ذكرهم في الموصل والشام والقاهرة عز الدين عبد الرزاق بن رزق الله بن أبي بكر (٥٨٩-٦٦١هـ/١١٩٣-١٢٦٣م) المحدث المفسر الحنبلي، كان شيخ الجزيرة -الجزيرة الفراتية-في زمانه علماً وفضلاً وجلالة، درس على الشيخ موفق الدين (ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م) وحفظ كتابه (المقنع) وهو في الفقه الحنبلي توفي بسنجار[٩]، وكذلك ابن خطيب المزة شهاب الدين عبد الرحيم بن يوسف بن يحيى الموصلي (ت٦٨٧هـ/١٢٨٨م) نزيل القاهرة بعد أن قضى معظم حياته في الموصل، سمع من ابن طبرزد (ت٦٠٧هـ/١٢١٠م) وكان فاضلاً ديناً ثقة[١٠]، وكذلك أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي القاسم شمس الدين ويعرف بابن خروف (٦٤٠-٧٢٧هـ/١٢٤٢-١٢٣٧م) الوراق الموصلي المقرئ الفقيه المحدث النحوي، مما يدل على سعة معرفته العلمية، ولد بالموصل، وقرأ القرآن على عبد الله بن ابراهيم الجزدي الزاهد (ت٦٨٣هـ/١٢٨٤م)، وقصد الأمام شعلة ليقرأ عليه فوجده مريضاً مرض الموت[١١]

ثالثاً- الحنابلة الوافدين الى مدينة الموصل:

لقد وفد الى مدينة الموصل العشرات من الحنابلة ومعظمهم قادماً من بغداد، ولعل سبب وفودهم هي التقلبات السياسية في بغداد ونشاطهم فيها، إلا اننا لم نجدلهم أي نشاط سياسي لهم في الموصل، وفي ما يلي بعض الحنابلة الوافدين الذين وصلت إلينا أخبارهم من كتب التراجم وهي كما يلي:

١- أبو البركات هبة الله بن المبارك بن موسى بن علي بن يوسف السقطي (٤٤٥-٥٠٩هـ/١٠٥٣-١١١٥م) المحدث الرحال، رحل الى الموصل، ولم تشر المصادر الى سبب رحلته إليها.[١٢]

٢- أبو جعفر مكي بن محمد بن هبيرة البغدادي (ت٥٦٧هـ/١١٧١م) الأديب الحنبلي كان فاضلاً عارفا بالأدب، وقراءة الحديث بنواحي الموصل، وهو أخو الوزير عون الدين بن هبيرة

(ت٥٦٠هـ/١١٦٤م)، جاء إلى الموصل بعد موت أخيه الوزير، ويبدو انه ترك بغداد بعد موت أخيه لأسباب سياسية، وقد يكون أبو جعفر أنموذجاً للوافدين إلى الموصل الذين وجدوا فيها ملاذاً من متغيرات الخلافة العباسية[١٣].

٣- أبو جعفر عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن سلامة بن أبي المعالي بن السمين السبتي البغدادي (٥٢٣-٥٨٨هـ/١١٢٨-١١٩٢م)، نزيل الموصل المحدث المقرئ الزاهد، سمع من ابن الطلاية (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م) وأبي الفضل الارموي (ت٥٥٥هـ/١١٦٠م) وكتب وحدث بالموصل وبغداد، كان من أهل التقشف والصلاح والنسك، ويبدو أن عمله بالوراقة، خاصة أن هذه الحرفة ازدهرت في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلاد، فجعله يعتمد على حرفة الوراقة في معيشته التي بقي يمارسها حتى وفاته بالموصل، وهذا ما أكده أبو الفرج الحنبلي إذ ذكر بأن"كان يأكل من كسب يده"[١٤]

٤- عبد الله بن يونس البغدادي الازجي جاء الى الموصل سنة (٥٨٤هـ/١١٨٨م) وبقي في الموصل حتى وفاته سنة (٥٩٣هـ/١١٩٦م)[١٥]، ويبدو ان الازجي لم يطب له العيش في بغداد، لاسيما بعد تولي الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٧٩-١٢٢٥م) وقيامه بالتضييق على الحنابلة، ولعل خير دليل على ذلك، قيامه بنفي ابن الجوزي سنة (٥٩٠هـ/١١٩٣م) الى واسط ولمدة خمس سنوات، فمن الواضح أن بغداد قد أصبحت طاردة للحنابلة بعد ان شغلت الخلافة نظام الفتوة محل الحنابلة الذين كان من أهم وسائلها في مواجهة خصومها[١٦].

٥- أبو الفضل الياس بن حامد بن محمود بن حامد بن محمد بن أبي حجر الحراني (ت٥٩٢هـ/١١٩٥م) الفقيه المحدث الحنبلي، رحل الى بغداد وسمع من شهدة (ت٥٧٤هـ/١١٧٨م)، وأبو الفتح بن المني (ت٥٨٣هـ/١١٨٧م) اذ قال ناصح الدين ابن الحنبلي (ت٦٣٤هـ/١٢٣٦م)"كان رفيقي في درس شيخنا ابن المني"، كان حسن الطريقة سكن الموصل إلى ان توفي[١٧].

٦- أبو محمد عبد الله بن أحمد العتابي ابن ابي المجد راوي مسند احمد بن حنبل وحدث بالمسند بالموصل، وبقي في المدينة يروي الحديث حتى وفاته بها سنة (٥٩٨هـ/١٢٠١م)[١٨].

٧- أبو زكريا يحيى بن سالم بن مفلح الحنبلي البغدادي (ت٦٠٩هـ/١٢١٢م)، نزيل الموصل سمع ببغداد من أبي الوقت (ت٥١٢هـ/١١١٨م)، ودرس الفقه على صدقة بن الحسين الحداد (ت٥٧٣هـ/١١٧٧م)، وجاء إلى الموصل وحدُث بها حتى وفاته ودفن بمقبرة الجامع العتيق[١٩].

٨- أبو محمد عبد القادر بن عبد الله الفهمي الرهاوي ثم الحراني (٥٣٦-٦١٢هـ/١١٤١-١٢١٥م) محدث الجزيرة الحافظ الرحال، ولد بالرها، ثم أصابه سبي لما فتح عماد الدين زنكي (٥٢١-٥٤١هـ/١١٢٧-١١٤٦م) مدينة الرها سنة (٥٣٩هـ/١١٤٤م)، ولا نعلم تفاصيل

السبي الذي وقع فيها، إلا أن الرها كانت خلال تلك الفترة مابين حكم جوسلين الثاني صاحب إمارة الرها الصليبية وبين خلاصها على يد زنكي، ثم بعد موته استرجعها جوسلين وبعد فترة وجيزة قام نور الدين محمود بفتحها مرة أخرى، وذلك سنة (٥٤١هـ/١١٤٦م)[٢٠]، وبعد سبي عبد القادر اشتراه بنو فهم الحرانيون واعتقوه، فاشتراه رجل من الموصل واعتقه، نشأ بالموصل وطلب العلم وهو صغير وهو ابن نيف وعشرين سنة، ورحل الى العديد من البلاد النائية ولقي كبار الشيوخ منهم ابن الخشاب اللغوي (ت٥٦٧هـ/١١٧١م) ببغداد، والحافظ ابن عساكر (ت٥٧١هـ/١١٧٥م) بدمشق، وبهراة نصر بن سيار (ت٥٧٢هـ/١١٧٦م)، وشهدة (ت٥٧٤هـ/١١٧٨م) ببغداد وغيرهم من الشيوخ[٢١]، وحدث بالموصل مدة ثم انتقل إلى حران وبقي فيها حتى وفاته، ويبدو من التواريخ السابقة انه عندما وقع بالسبي لم يتجاوز العقد الأول من حياته[٢٢]

٩- ابو اسحاق ابراهيم بن المظفر بن ابراهيم بن محمد بن علي بن البرني بن أبي المنصور ويلقب ب (برهان الدين) البغدادي الحربي ثم الموصلي (٥٤٦-٦٢٢هـ/١١٥١-١٢٢٥م) الواعظ المحدث، و(البرني) لقب جده لامه[٢٣]، ذكر ابن نقطة انه ولد بالحربية، ثم انتقل الى الموصل قديماً وهذا يدل على انه ولد ببغداد وهو الأقرب للحقيقة وأن أباه ولد في بغداد ولم يسكن الموصل، سمع ابن البرني ببغداد من ابن البطي (ت٥٦٤هـ/١١٦٨م) وأبي بكر بن النقور (ت٥٦٥هـ/١١٦٩م) وشهدة، وقرأ الوعظ على ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، فأصبح من الوعاظ المشهورين بمدينة الموصل[٢٤].

١٠- أبو الذخر خلف بن محمد بن خلف الكنزي البغدادي الحنبلي (٥٤٥-٦٢٧هـ/١١٥٠-١٢٢٩م)، ولد بكنز[٢٥]، وحفظ بها القران وتفقه في المذهب، ثم سافر الى الموصل واستوطنها، وسمع من الخطيب أبو الفضل الطوسي ويحيى الثقفي (ت٥٨٤هـ/١١٨٨م) وغيرهم، كان متديناً حسن الطريقة، بقي بالموصل حتى وفاته[٢٦].

١١- ابو اسحق تقي الدين ابراهيم بن محمد بن الأزهر الصريفيني نسبة الى صريفين[٢٧]، (٥٨١-٦٤١هـ/١١٨٥-١٢٤٣م) الحافظ الحنبلي الفقيه، رحل إلى الموصل، ولم يرد في كتب التراجم أسماء الشيوخ الذين أخذ عنهم، ثم رحل إلى دمشق وبقي بها حتى وفاته[٢٨].

١٢- أبو محمد ضياء الدين بن ابراهيم بن محمود الجدري نسبة إلى جدرة وهي قبيلة من الازد[٢٩]، المقري الفرضي-نسبة لمعرفته بعلم الفرائض- الحنبلي (ت٦٧٩هـ/١٢٨٠م)، نزيل الموصل، قرأ القراءات على علي بن مفلح البغدادي (ت٦٤٠هـ/١٢٤٢م)، كما قرأ على ابن خروف الموصلي الحنبلي، وكان شيخ القراء بالموصل، مما يدل على أن هناك علاقة مابين حنابلة الموصل وبين الحنابلة الوفدين إليها[٣٠].

رابعاً- جهود حنابلة الموصل العلمية المقيمين والوافدين:

جهودهم في القراءات:

لقد كان لحنابلة الموصل جهد كبير في علوم القرآن، وذلك من خلال ما قاموا به من حفظ القرآن الكريم وتدريسه وكتابة المصنفات في ذلك، فقد اشتهر بالقراءات: المقرئ أبو جعفر عبد الله المعروف بابن السمين (ت٥٨٨هـ/١١٩٢م)[٣١]، والشيخ أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الواحد العماد المقدسي الحنبلي (ت٦١٤هـ/١٢١٧م)، رحل الى الموصل سنة (٥٥١هـ/١١٥٦م) وسمع من خطيبها[٣٢]، وحفظ كتاب (مختصر الخرقي) لابو القاسم عمر بن الحسين البغدادي الخرقي (ت٣٣٤هـ/٩٤٥م) -نسبة الى بيع الثياب والخرق- [٣٣]، كما قام أبو اسحاق الحنبلي بإلقاء الدروس وناظر واشتغل بالقراءات وكان متصدياً لاقرا القرآن عالماً به تقياً ورعاً[٣٤]

ومن الذين برزوا في علم القراءات المقرئ أبو الذخر خلف بن محمد الكنزي (ت٦٢٧هـ/١٢٢٩م)، إذ قام بحفظ القرآن وقراءته، وكتب عنه الناس بالموصل، وكان متديناً صالحاً حسن الطريقة[٣٥]، والأمام المقري المجود الذكي أبو عبد الله محمد بن أحمد الموصلي المعروف بشعلة (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م)"كان صالحاً خيراً تقياً متواضعاً"هكذا وصفه الذهبي[٣٦]، قرأ القرآن على ابو الحسن علي بن عبد العزيز الاربلي (٦٨٨هـ/١٢٨٩م)، فبرع في القراءات وأصبح له تلاميذ أشهرهم أبو بكر تقي الدين المقصاتي (ت٧٢٣هـ/١٢٣٣م) اذ "جلس إلى شعلة وسمع بحوثه"[٣٧]، ولشهرته في هذا العلم قال اليافعي "له تصانيف كثيرة أكثرها في القراءات...وكلامه فيه يدل تحقيقه وعلمه"[٣٨].

وهي فعلاً كثيرة منها ما طبع وحقق مثل كتاب (شرح الشاطبية) المسمى (كنز المعاني في شرح حرز الاماني) نسبة إلى شرح القصيدة المشهورة المعروفة ب (الشاطبية) وهي في القراءات من تأليف الشيخ أبو القاسم محمد الشاطبي (ت٥٩٠هـ/١١٩٣م) المسماة (حرز المعاني ووجه التهاني في القراءات السبعة المثاني)، وهو مطبوع ومحقق في أكثر من نشرة، وكتاب (يتيمة الدُرر في النزول وآيات السُور) وهو ايضاً مطبوع ومحقق، وكتاب (الشمعة في القراءات السبعة) وهو مخطوط[٣٩]، وايضاً المقرئ أبو محمد ضياء الدين الحنبلي (ت٦٧٩هـ/١٢٨٠م) كان شيخ القراء بالموصل قرأ على ابن خروف الموصلي، كما صنف تصانيف في القراءات اذ نظم قصيدة المعروفة ب (اللامية)[٤٠]

جهودهم في التفسير:

كما برز حنابلة الموصل في مجال علم التفسير فضلاً عن اشتهارهم في علوم أخرى مثل الحديث، فمثلاً عز الدين عبد الرزاق بن رزق الله الموصلي المفسر الحنبلي (ت٦٦١هـ/١٢٦٣م) كان متمسكاً بالسنة والآثار برع في التفسير، وألف تفسيراً كبيراً في أربع

مجلدات سماه (موز الكنوز)[٤١] وكتاب (القمر المنير في علم التفسير)، وكتاب (المنتصر في شرح المختصر)[٤٢] ويبدو ان كتبه لم تصل إلينا، وإنها من ضمن مفقودات التراث الاسلامي، ومنهم المقرئ والمفسر أبو عبد الله المعروف بابن خروف (ت٧٢٧هـ/١٢٣٧م) إذ قام بقرآءة كتاب (التلخيص) لأبي العباس الكواشي (ت٦٨٠هـ/١٢٨١م) في الموصل وهو في التفسير[٤٣].

جهودهم في علم الحديث:

اما في علم الحديث فقد ظهر لدينا العديد من العلماء، لاسيما وأن مدينة الموصل اشتهرت بالمحدثين منذ القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، ومنهم المحدث أبو البركات (ت٥٠٩هـ/١١١٥م) المحدث الرحال، وبالغ في طلب الحديث، مجداً في السماع والطلب والبحث عن الشيوخ والقراءة عليهم في جمع الحديث وكتابته بدليل تأليفه معجماً لشيوخه في نحو ثمانية أجزاء ضخمة[٤٤]، وكذلك المحدث أبو الفضل الياس بن حامد بن محمود الحنبلي (ت٥٩٢هـ/١١٩٥م) قام بتدريس الحديث في الموصل وسمع منه بدل التبريزي (ت٦١٨هـ/١٢٢١م)، وكان حسن الطريقة وتولى مشيخة دار الحديث المهاجرية، واستمر يدرس بها حتى وفاته بالموصل[٤٥]، وكذلك المحدث أبو محمد عبد الله العتابي (ت٥٩٨هـ/١٢٠١م)، اذ حدث بالموصل بكتاب (المسند) لاحمد بن حنبل لطلابه ومنحهم أجازة في ذلك ومنهم ابن أبي عصرون (ت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م)[٤٦]، وكذلك المحدث أبو زكريا يحيى بن سالم الحنبلي (ت٦٠٩هـ/١٢١٢م) حدث بالموصل ولم تذكر المصادر أين حدث هل في مساجد ام في مكان أخر[٤٧]، وكذلك المحدث الحافظ أبو محمد عبد القادر الحنبلي (ت٦١٢هـ/١٢١٥م)، الذي سعى كثيراً في طلب الحديث منذ صغره ولقي كبار المحدثين كما ذكرنا[٤٨]، حتى وصفه الصفدي ب"الحافظ الكبير"[٤٩]، له تصانيف في الحديث منها كتاب (الأربعين المتباينة في الإسناد والبلدان) وهو كتاب كبير في مجلدين، يتحدث فيه عن أربعين إسنادا لا يتكرر فيه رجل واحد من أولها الى أخرها، مما سمعه في أربعين مدينة، وقال عنه الصفدي:" وهذا الشيء لم يسبق إليه ولا يرجوه احد بعده...من نظر فيه علمَ سعيه وتعبه وحفظه"[٥٠]، وقال ابن نقطة نقلاً عن أبو الفرج الحنبلي "ختم به علم الحديث"، وله كتاب (المادح والممدوح) يتضمن ترجمة للانصاري وفضائله، وذكر من مدحه وأثنى عليه وما يتعلق بالمادحين له من تراجمهم وحديثهم، وكذلك مادحو مادحيه وطال الكتاب بذلك[٥١]، فضلاً عن ذلك فعند إقامته بالموصل مدة تولى بها مشيخة دار الحديث المظفرية[٥٢]، وحدث بها بأكثر مسموعاته، مما يدل على ان حنابلة الموصل كانوا يدرسُون الحديث، فضلاً عن منحهم الإجازة ، اذ أجاز أبو محمد عبد القادر الحنبلي العديد من طلابه مثل ابن الدبيثي (ت٦٣٧هـ/١٢٣٩م)، وابن النجار (ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م)، والمنذري (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م)[٥٣]

وكذلك المحدث أبو إسحاق ابراهيم بن المظفر المعروف بابن البرني (ت٦٢٢هـ/١٢٢٥م) حدث في الموصل وتولى مشيخة دار الحديث المهاجرية[٥٤]، ووعظ بها، وقال الناصح ابن الحنبلي :"كان واعظاً فاضلاً، لم يكن بالموصل أعرف بالحديث والوعظ منه"، له العديد من الطلاب الذين اثنوا عليه ومنهم أبو بكر محمد بن عبد الغني البغدادي الحنبلي المعروف بابن نقطة (ت٦٢٩هـ/١٢٣١م) اذ ذكر" سمعت منه بالموصل في القدمة الثانية إليها، وكان فيه تساهل في الرواية يحدث من غير أصول"[٥٥]، ومن طلابه ايضاً القطيعي (ت٦٣٤هـ/١٢٣٦م) اذ ذكر: ان البرني روى بالموصل كتاب (اعتلال القلوب) للخرائطي (ت٣٢٧هـ/٩٣٨م)[٥٦]، وكان يحضر مجالسه ابن المستوفي (ت٦٣٧هـ/١٢٣٩م)، وابن الشعار (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م)[٥٧].

ومن طلابه ايضاً المنذري قال عنه:"كان فاضلاً متديناً ولنا منه إجازة"[٥٨]، كما أجاز ابن البرني عبد الصمد بن ابي الجيش الحنبلي (ت٦٧٦هـ/١٢٧٨م)[٥٩].

ومنهم المحدث عز الدين عبد الرزاق الحنبلي (ت٦٦١هـ/١٢٦٣م) "كان شيخ الجزيرة في وقته علماً وفضلاً وجلالة"[٦٠]، حدث بالموصل في دار الحديث المهاجرية وتصدر بها لتدريس الفقه الحنبلي، وممن روى عنه بالاجازة ابن الصابوني (ت٦٨٠هـ/١٢٨١م)[٦١].

جهودهم في الفقه:

وفي علم الفقه برز الفقيه ابو جعفر مكي بن هبيرة الحنبلي (ت٥٦٧هـ/١١٧١م) كان فاضلاً فقيهاً، صنف في الفقه كتاب (نظم مختصر الخرقي) وقرأ عليه مراراً في الموصل[٦٢]، والفقيه أبو المحاسن محمد بن عبد الباقي الموصلي (ت٥٧١هـ/١١٧٥م) وهو أحد فقهاء الحنابلة المواصلة، كان فقيهاً فضلاً له مصنفات منها، كتاب (طبقات فقهاء من أصحاب الإمام احمد) وهو مطبوع، وكتاب (شرح غريب الخرقي) وهو مطبوع ايضاً[٦٣].

وكذلك الفقيه الحنبلي أبو الفضل الياس بن حامد بن ابي حجر (ت٥٩٢هـ/١١٩٥م) ذكره ابن الحنبلي بأنه"الفقيه الحنبلي"[٦٤]، كما انه تولى مشيخة دار الحديث المهاجرية بالموصل كما مر سابقاً، فلا بد من انه درس الحديث والفقه معاً في هذه الدار[٦٥]، والملاحظ أن هذه الدار لم تقفَ على مذهب معين بل تصدر لمشيختها فقهاء الشافعية والحنابلة وأنها عملت على تقدم النشاط العلمي في الموصل، ولاسيما القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي من خلال التدريس فيها والإجازات التي منحت للعلماء، والتي بدون شك لها مردودها الايجابي على الحضارة الاسلامية.

كما برز الشيخ أبو اسحاق العماد بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي (ت٦١٤هـ/١٢١٧م) سمع بالموصل من خطيبها وحفظ كتاب (مختصر الخرقي)، فأصبح متصدياً لإقراء الفقه، وكان

رجلاً تقياً وورعاً عالماً بالفرائض وألقى الدروس وناظر وألف كتاب في الفقه الحنبلي بعنوان (الفروق في المسائل الفقهية)[٦٦].

وايضاً الفقيه أبو الحسن علي بن ثابت بن طالب البغدادي الازجي الحنبلي (ت٦١٧هـ/١٢٢٠م) الواعظ سمع ببغداد والموصل من خطيبها أبو الفضل الطوسي واشتغل بالموصل بالخلاف على ابن يونس بن منعة وأقام بحران مدة[٦٧]، ثم قدم دمشق ثم رجع الى رأس العين[٦٨]، وعظ هناك وانتفع به الناس، ألف كتاب في الفقه الحنبلي بعنوان (اختيارات في المذهب)[٦٩]، وكذلك الفقيه أبو العباس احمد بن علي المعروف بابن الوتارة (ت٦٢٢هـ/١٢٢٥م) الحنبلي قال أبو الفرج الحنبلي نقلاً عن ناصح الدين بن الحنبلي عنه: "كان يأكل من كسب يده، ولباسه الثوب الخام وانتفع به جماعة"، كما ذكر بأنه شيخ صالح كثير العبادة يعتقد فيه ويتبرك به أمارا بالمعروف نهاءاً عن المنكر[٧٠].

جهودهم في الأدب والشعر:

أهتم بعض حنابلة الموصل بالأدب والشعر، فمثلاً الفقيه أبو البركات (ت٥٠٩هـ/١١١٥م)، قال عنه أبو الفرج الحنبلي: "كان له نظم حسن ومعرفة بالأدب"، فضلاً عن حضوره مجالس العلم ومن شعره:

بلى أثر يبقى لـــه بعـــد مـوته و ذخـــر له في أكثر ليس يفوت

وما يستوي المنطيق ذو العلم والحجى و أخـــرس بين الناطقين صموت[٧١]

وكذلك أبو جعفر مكي بن هبيرة (ت٥٦٧هـ/١١٧١م)، اذ اهتم بالأدب والفقه الحنبلي اذ ذكره ابن الحنبلي :"كان فاضلاً عارفاً بالأدب"[٧٢]، فكان شاعراً وفقيها وألف كتاب (نظم مختصر الخرقي)[٧٣]، وكذلك ابن الفقيه الموصلي (٦٣٦هـ/١٢٣٨م) اشتهر بانه ذو خط مليح وقال ابن الشعار:"كان شاعراً مجيداً، كاتباً سديداً، فصيح العبارة، متمكناً من القول، أديباً بارعاً فاضلاً [٧٤] ومن شعره:

فكانها شمس الضحى وبروجها أيدي الندامى والحباب نجوم

يسعى بها رشا كأن رضابه ضرب زهـــاه لؤلؤ منظوم

ومن درس عليه ابن الشعار (ت٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) اذ قال:"أملى علي جملة من أقاويله..."[٧٥] ومن روى عنه ابن النجار[٧٦].

وكذلك الإمام أبو عبد الله محمد بن احمد المعروف بشعلة (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م) فضلاً عن اشتهاره بالقراءات برع في الأدب ونظم الشعر، اذ ذكر الذهبي بأنه"شاباً فاضلاً ومقرئاً محققاً، ذا ذكاء مفرط وفهم ثاقب ومعرفة تامة بالعربية واللغة وشعره في غاية الجودة"[٧٧]، اذ نظم (عقود ابن جني) في العربية وسماه (العنقود) وهي قصيدة لامية في النحو منظومة في معرفة الأعداد

بالأصابع، وهو مخطوط يوجد في السعودية ومصر[٧٨]، ومن مؤلفات شعلة التي تجمع بين النظم والتاريخ مخطوط (نظم منثور الكلام في ذكر الخلفاء الكرام) انفرد بذكره حاجي خليفة[٧٩] وهي قصيدة لامية في عدد الخلفاء العباسين، كما ألف شعلة (شرح القصيدة الرائية لابن مزاحم في الانشاء)، وهو شرح لقصيدة الرائية في علم الإنشاء لابن مزاحم الخاقاني (ت٣٢٥هـ/٩٣٦م) وهو مخطوط[٨٠].

خامساً- علاقتهم بالسلطة:

لقد كان لبعض الحنابلة الوافدين الى الموصل علاقة سياسية مع الخلافة العباسية، والتي كانت تتعرض أحياناً لازمات مما جعلهم يضطرون الى القدوم للموصل، وأثناء تواجدهم فيها نجد أن نشاطهم كان يقتصر على نمط معين، مما يدل على ابتعاد حنابلة الموصل عن السياسة وتوجهم إلى النشاط العلمي في مدينة الموصل بشكل اكبر، ومن هؤلاء الحنابلة:

أبو جعفر مكي بن محمد بن هبيرة أطلق عليه لقب (فخر الدولة) خرج من بغداد بعد موت أخاه الوزير[٨١].

كذلك احمد بن علي الفقيه الحنبلي المعروف بالوتارة (ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م) "صارت له حرمة قوية بالموصل[٨٢]، واحترام من جانب صاحبه الملك القاهر (٦١٦-٦٣١هـ/١٢١٩-١٢٣٣م) ومن بعده الأمير بدر الدين لؤلؤ (٦٣١-٦٥٧هـ/١٢٣٢-١٢٥٩م)[٨٣].

وايضاً عز الدين عبد الرزاق بن أبي بكر المحدث المفسر الحنبلي (ت٦٦١هـ/١٢٦٢م) كانت له حرمة وافرة عند صاحب الموصل الأمير بدر الدين لؤلؤ وغيره من ملوك الجزيرة، اذ قام بكتابة كتاب (مصرع الحسين) وألزمه بتصنيفه صاحب الموصل الأمير بدر الدين لؤلؤ[٨٤].

ولعل أهم ما في الموضوع هو ان حنابلة الموصل المقيمين فيها ليس لهم نشاط سياسي أو تأثير، كما كان لهم في بغداد، وان جهودهم تركزت على النشاط العلمي، مما يدل على ان الحنابلة خلال فترة حكم عماد الدين زنكي وأبناءه في الموصل أقتصر نشاطهم بالعلوم الدينية، فضلاً عن النتاج الأدبي، ويبدو ان السبب في ذلك هو غياب دور الحنابلة في مراكز القوى التي كانت في بغداد عاصمة الخلافة العباسية والتي بدورها اتخذت من الحنابلة في معظم الأحيان، أداة لمواجهة منافسي الخلفاء، و يقوم بعض الخلفاء أحياناً يقوم بعض الخلفاء بالتخلي عن الحنابلة وإيجاد بديل لهم وهذا ما حصل تحديداً مع الخليفة الناصر لدين الله-وهو ضمن فترة البحث-عندما غيّر من سياسة سلطته واستطاع أن يحد من نفوذ الحنابلة في بغداد، والذين بدورهم وجدوا من الموصل ملاذاً لهم، لذا ظهر لدينا نمطٌ وهو عزوف حنابلة الموصل عن أصحاب السلطان والامارة منذ حكم زنكي ومن جاء بعده في الدولة الزنكية.

الخاتمة:

- ظهر من خلال هذه الدراسة ان للحنابلة دوراً مؤثراً في الحياة العلمية في الموصل، لا يمكن تجاهله اذ كان لفكرهم ومنهجهم تأثيره على النشاط العلمي، وإصلاح المجتمع من خلال التدريس ومنحهم الإجازات العلمية لطلابهم، فضلاً عن الوعظ والأمر بالمعروف.

- الموصل حاضرة ظهرت فيها الحياة العلمية وأن النشاط المعرفي قد تنوع من حيث المذاهب الاسلامية، وان الحنابلة كان نشاطهم العلمي بعيداً نسبياً عن السياسة والسلطة، لاسيما من خلال متابعة ابرز شيوخ الحنابلة المقيمين في الموصل، اذ لم نجد لهم نشاطاً سياسياً مثل ما كان في بغداد حاضرة الخلافة العباسية، ولعل السبب يعود الى عدم قدرة الخلافة توظيف فقهاء الحنابلة في كسب ميول العامة.

- ظهر من خلال البحث ان الشيوخ الوافدين الى الموصل من بغداد، اتسم نشاطهم بالجانب العلمي حصراً، ولم يكن لهم أي نشاط سياسي في الموصل خلال فترة البحث، لان الكثير منهم اتخذها ملاذا له بعد أن تعرض لمضايقات السلطة في بغداد بسبب تعامله معها بشكل أو بآخر.

- أوضح البحث جهود علماء الحنابلة في القراءات والتفسير والفقه، اما علم الحديث فقد كان نشاطهم فيه هو الغالب ويعود ذلك لطبيعة التوجهات المعرفية وهي سمة عامة لمختلف المذاهب الاسلامية وهو الاهتمام بالحديث للحنابلة واتخاذ النقل منهجاً لهم، لذا لم نجد من الحنابلة في الموصل من برز في العلوم العقلية، وهذا يشمل كل الحواضر الاسلامية ألاخرى تقريباً، في حين كانت جهودهم في ألأدب والشعر قليلة لا ترتقي الى نتاج قرنين من الزمن وهي فترة البحث.

- كانت علاقة الحنابلة بالسلطة في الموصل ودية نسبياً، وأحياناً يجتنبون التعامل معها، وتركز جهودهم على الحياة العلمية من درس ووعظ وتأليف، ولم يكن لديهم دوراً مؤثراً في الحياة السياسية، مثل حنابلة بغداد، بغض النظر عن بعض الحالات، وهذا يدل على ابتعادهم عن تولي المناصب الإدارية والاتجاه نحو النشاط العلمي الذي برعوا فيه، بدليل تأليفهم لعدد من الكتب في مختلف العلوم .

جدول بأسماء الحنابلة الوافدين إلى الموصل

أسماء الحنابلة الوافدين	المكان الذي قدموا منه	سبب قدومهم
أبو البركات (ت٥٠٩هـ/١١١٥م)	بغداد	علمي
أبو جعفر مكي بن هبيرة (ت٥٦٧هـ/١١٧١م)	بغداد	سياسي
أبو جعفر السبتي (ت٥٨٨هـ/١١٩٢م)	بغداد	علمي

أبو الفضل الياس (ت٥٩٢هـ/١١٩٥م)	حران	علمي
عبد الله بن يونس الازجي (ت٥٩٣هـ/١١٩٦م)	بغداد	علمي
أبو محمد العتابي (ت٥٩٨هـ/١٢٠١م)	بغداد	علمي
ابو زكريا يحيى بن سالم (ت٦٠٩هـ/١٢١٢م)	بغداد	علمي
أبو محمدالرهوي (ت٦١٢هـ/١٢١٥م)	الرها	علمي
ابن البرني (ت٦٢٢هـ/١٢٢٥م)	بغداد	علمي
أبو الذخر (ت٦٢٧هـ/١٢٢٩م)	بغداد	علمي
أبو اسحاق تقي الدين (ت٦٤١هـ/١٢٤٣م)	بغداد	علمي
أبو محمد الجدري (ت٦٧٩هـ/١٢٨١م)	بغداد	علمي

الهوامش:

(١) الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي، تاريخ بغداد او مدينة السلام، تحقيق:مصطفى عبد القادر عطا، ط٣، (بيروت:٢٠١١)، دار الكتب العلمية، ج٤/٤٣٥؛ ابي يعلى، ابي الحسين محمد، طبقات الحنابلة، (بيروت:د/ت)، دار المعرفة، ج١/٥-٢٠.

(٢) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، صفة الصفوة، ط١، ، (بيروت:٢٠٠٨)، دار ابن حزم، ص٣٤٩؛ الدليمي، عكاب يوسف جمعة، الحنابلة في بغداد (٤٤٧-٥٧٥هـ/١٠٥٥-١١٧٩م)، اطروحة دكتوراه، كلية الاداب، (جامعة الموصل:٢٠٠٠)، ص ١٥، ١٦٤.

(٣) للمزيد من التفاصيل ينظر: حميد، مها سعيد، الجَهمية وموقف حنابلة الموصل منها حتى نهاية القرن الرابع الهجري، بحث منشور في مجلة دراسات موصلية، العدد (٣٥)، (الموصل:٢٠١٢)، ص٨٣.

(٤) ابن العماد الحنبلي، ابي الفلاح عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٣/٢٤١؛الطريقي، عبد الله بن محمد بن أحمد، معجم مصنفات الحنابلة، ط١، (الرياض:٢٠٠٠)، الرسالة الواضحة في الرد على الاشاعرة، دراسة وتحقيق:علي بن عبد العزيز بن علي الشبل، ، ط١، (المملكة العربية السعودية:١٩٩٩)، دار مجموعة التحف النفائس الدولية، ج٢/٢٦٧-٢٦٨.

(٥) الحنبلي، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين احمد البغدادي، كتاب الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب، (بيروت:د/ت)، دار المعرفةج٤/١٦٤.

(٦) المصدر نفسه، ج٤/١٦٤.

(٧) الكتبي، محمد بن شاكر بن احمد بن عبد الرحمن، فوات الوافيات، تحقيق:علي محمد معوض وعادل احمد عبد الموجود، ط١، (بيروت:٢٠٠٠)، دار الكتب العلمية، مج٢/٣٢.

(٨) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، ط١١، تحقيق:بشار عواد معروف ومحيي هلال السرحان، (بيروت:٢٠٠١)، مؤسسة الرسالة، ج٢٣/٣٦٠؛

CL.Cahen,LuLu,Badr-AI-din,The encyclopedia of IsIam,new edition, (Leiden:1979),Vol.5,p.821,Douglas Patton.Badr AL-din Lu Lu and the establishment of a mamluk government in Mosul.

البحث منشور في المكتبة الافتراضية العلمية العراقية على الموقع الالكتروني: www.ivsl.org

(٩) شذرات، ج٥/٢٨١.

(١٠) المصدر نفسه، ج٥/٣٠٦.

(١١) المصدر نفسه، ج٥/٤٠١.

(١٢) الحنبلي، كتاب الذيل، ج٤/٣٨١.

(١٣) ينظر:كتاب الذيل، ج٣/٣٢٣؛ الطريقي، معجم المصنفات، ج٢/٢٤٤.

(١٤) الحنبلي، كتاب الذيل، ج٣/٣٧٧-٣٧٨.

(١٥) المصدر نفسه، ج٣/٣٩١.

(١٦) سبط ابن الجوزي، شمس الدين ابو المظفر يوسف بن قزاوغلي بن عبد الله، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ط١، تحقيق:ابراهيم الزيبق، (بيروت:٢٠١٣)، الرسالة العلمية، ج٢٢/٣١.

(١٧) الحنبلي، كتاب الذيل، ج٣/٣٨٧ ؛ ابن العماد الحنبلي، شذات، ٣/٣٠٩.

(١٨) ينظر:الذهبي، ج٢١/٣٦١.

(١٩) الحنبلي، كتاب الذيل، ٤/٦٥، ابن العماد الحنبلي، شذرات، ٥/٣٩.

(٢٠) ينظر:أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن ابراهيم بن عثمان الدمشقي، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ط١، وضع حواشيه:ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت:٢٠٠٢).

(٢١) الحنبلي، ذيل، ٤/٨٣-٨٤.

(٢٢) الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك، الوافي بالوافيات، تحقيق:احمد الارنأووط وتركي مصطفى، (بيروت:)، دار إحياء التراث العلمي، ١٩/٢٨ ؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، ٥/٥١.

(٢٣) الحنبلي، كتاب الذيل، ٤/١٥٠-١٥١.

(٢٤) الذهبي، تذكرة، ج٤/١٤٥٢.

(٢٥) كنز: هي قرية قريبة من بغداد من نواحي دجيل، للمزيد ينظر:ياقوت الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين بن عبد الله، معجم البلدان، تقديم:محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت:٩)، دار أحياء التراث العربي، مج٤/١٥٤.

(٢٦) الحنبلي، كتاب الذيل، ج٤/١٥٠-١٥١؛ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج٥/١٢٣.

(٢٧) صريفين:قرية كبيرة تقع على ضفة نهر دجيل، للمزيد ينظر:ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٣/١٨٦.

(٢٨) ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج٥/٢٠٩-٢١٠.

(٢٩) جدرة : هم حي من الازد، سموا بذلك لأنهم بنوا جدار الكعبة، للمزيد: ينظر، السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور، الأنساب، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه:عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، (مصر:د/ت)، ج٣/٢١٤.

(٣٠) ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج٥ /٣٦٣.

(٣١) الحنبلي، كتاب الذيل، ج٣/٣٧٧-٣٧٨.

(٣٢) ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج٥/٥٨.

(٣٣) الحنبلي، كتاب الذيل، ج٣/٣٧٧-٣٨٧.

(٣٤) ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج٥/٥٨.

(٣٥) المصدر نفسه، ١٢٣/٥.

(٣٦) ينظر:سير، ج٢٣/٣٦٠.

(٣٧) المصدر نفسه، ج٢٣/٣٦٠؛ اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط١، ، وضع حواشيه:خليل المنصور، (بيروت:١٩٩٧)، دار الكتب العلمية، ج٤/١٤٧.

(٣٨) ينظر:مرآة الجنان، ج٤/١٤٧.

(٣٩) العمري، محمد أمين بن خير الله الخطيب العمري، منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدباء، تحقيق:سعيد الديوجي، مطبعة الجمهورية، (الموصل:١٩٦٨)، ج٢/١٣٠؛ الدباغ، محمد نزار، (محمد بن أحمد الموصلي المعروف بشعلة (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م) دراسة في نشاطه العلمي)، بحث منشور في مجلة دراسات موصلية، العدد٤٥، (الموصل:٢٠١٧)، ص٣٩-٤٠.

(٤٠) ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج٥/٣٦٣.

(٤١) المصدر نفسه، ج٥/٢٠٦.

(٤٢) ابن الفوطي، كمال الدين ابو الفضل عبد الرزاق تاج الدين احمد، تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب، تحقيق:مصطفى جواد، (دمشق:١٩٦٢)، المطبعة الهاشميةج٤ق١/١٩٢-١٩٤؛الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان، تذكرة الحفاظ، ط٢١، (بيروت:١٩٥٧)، ج٤/١٤٥٢.

(٤٣) الحنبلي، كتاب الذيل، ج٣/٣٨٧؛ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج٣/٣٠٩.

(٤٤) الحنبلي، كتاب الذيل، ج٣/١١٤-١١٥.

(٤٥) ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج٣/٣٠٩.

(٤٦) الذهبي، سير، ج٢١/٣٦١.

(٤٧) ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج٥/٣٩.

(٤٨) الحنبلي، كتاب الذيل، ٤/٨٣-٨٤.

(٤٩) ينظر:الوافي، ج١٩/٢٨.

(٥٠) المصدر نفسه، ج٢٨/١٩.

(٥١) الحنبلي، كتاب الذيل، ج٨٣/٤.

(٥٢) دار الحديث المظفرية:بناها مظفر الدين كوكبري- صاحب اربل- المتوفي سنة (٥٤٩هـ/١١٥٤م) على دجلة، للمزيد ينظر: الديوه جي، سعيد تاريخ الموصل، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، (الموصل:١٩٨٢)، ج٣٥٣/١.

(٥٣) الحنبلي، كتاب الذيل، ٨٣/٤؛ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج٥١/٥.

(٥٤) دار الحديث المهاجرية:انشأ هذا الدار أبو القاسم علي بن علوان بن مهاجر المتوفي في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، في سكة أبي نجيح سنة (٥٥٢هـ/١١٥٧م)، ولم توقف على مذهب معين، بل تصدر لمشيختها فقهاء الشافعية والحنابلة، وكان لها دور كبير في تقدم الحركة العلمية في هذه الفترة، للمزيد ينظر:الديوه جي، سعيد، مدارس الموصل في العهد الاتابكي، (بغداد:١٩٥٩)، ص١٦؛الجميلي، رشيد عبد الله، دولة الاتابكة في الموصل بعد عماد الدين زنكي، ط١، (بيروت:١٩٧٠)، دار النهضة العربية، ص٣١٩.

(٥٥) ابن خلكان، أبي العباس احمد بن محمد بن ابراهيم بن أبي بكر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ط١، حقق أصوله:يوسف علي طويل ومريم قاسم طويل، (بيروت:١٩٩٨)، ١٩٠/٤-١٩١.

(٥٦) الخرائطي، محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر، اعتلال القلوب، ط٢، تحقيق:حمدي الدمرداش، (المملكة العربية السعودية:٢٠٠٠)، ج ٥/١.

(٥٧) الذهبي، العبر في من غبر، تحقيق:محمد السعيد بن بيسوني زغلول، (بيروت:١٩٨٥)، دار الكتب العلمية، ج١٨٧/٣.

(٥٨) الحنبلي، كتاب الذيل، ج١٤٩/٤.

(٥٩) المصدر نفسه، ج١٤٩/٤؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات، ١٦٢/٥.

(٦٠) ابن العماد الحنبلي، شذرات، ٣٠٦/٥.

(٦١) ابن الفوطي، تلخيص، ج٤ق١٩٢/١-١٩٤؛الذهبي، تذكرة، ج١٤٥٢/٤.

(٦٢) ابن العماد الحنبلي، شذرات، ٢٢٤/٣؛ الطريقي، معجم الحنابلة، ٢٤٤/٢

(٦٣) الطريقي، معجم الحنابلة، ج٢٦٧/٢-٢٦٨.

(٦٤) ينظر:شذرات، ج٣٠٩/٣.

(٦٥) المصدر نفسه، ج٣٠٩/٣.

(٦٦) المصدر نفسه، ج٥٨/٥.

(٦٧) المصدر نفسه، ج٥ /١٦٢.

(٦٨) رأس عين:هي مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين ودنسير فيها عيون كثيرة عجيبة صافية، للمزيد:ينظر:ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٣٨٠/٢.

(٦٩) ابن العماد الحنبلي، شذرات، ١٦٢/٥.

(٧٠) الحنبلي، كتاب الذيل، ١٦٤/٤.

(٧١) المصدر نفسه، ٣/١١٤-١١٥.

(٧٢) ابن العماد الحنبلي، شذرات، ٣/٢٢٤.

(٧٣) الطريقي، معجم الحنابلة، ٢/٢٤٤.

(٧٤) ينظر: ابن الشعار، كمال الدين أبو البركات المبارك، قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمـــان، ط١، تحقيق:كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، (بيروت:٢٠٠٥)، ج٤/١٣٣.

(٧٥) المصدر نفسه، ج٤/١٣٣.

(٧٦) الكتبي، فوات الوفيات، ٢/٣٢.

(٧٧) ينظر:سير، ج٢٣/٣٦٠.

(٧٨) الدباغ، (محمد بن احمد الموصلي المعروف بشعلة)، ص٤٠.

(٧٩) ينظر:حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، (بغداد:د/ت)، مكتبة المثنى، ج٢/١٩٦٤.

(٨٠) الدباغ، (محمد بن احمد الموصلي المعروف بشعلة)، ص

(٨١) ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج٣/٢٢٤.

(٨٢) الحنبلي، كتاب الذيل، ٤/١٦٤.

(٨٣) الكتبي، فوات الوفيات، ٢/٣٢.

(٨٤) ابن العماد الحنبلي، شذرات، ٥/٣٠٦.

الموصل ونينوى في كتابات الرحالة اليهودي الألماني بتاحيا الراتسبوني ت :٦١٤هـ/١٢١٧م

د. محمد نزار الدباغ*

تاريخ استلام البحث ٢٠١٨/٤/٨
تاريخ قبول النشر ٢٠١٨/٥/٢٧

ملخص البحث

يحاول هذا البحث أن يسلط الضوء على مشاهدات الرحالة بتاحيا الراتسبوني في الموصل ونينوى، وذلك من خلال كتاب رحلته التي حملت إسمه، إذ تبرز أهمية هذا الموضوع في كونه لم يكتب عنه دراسة علمية أكاديمية باللغة العربية، وجاءت محاولة الباحث في تتبع هذا النص المتعلق بالمدينتين بالدرس والتحليل مستنداً فيها على جملة من المصادر والدراسات الأجنبية فضلا عن بحوث المكتبة الافتراضية العلمية العراقية التي قدمت بمجموعها مادة مهمة عن بتاحيا الراتسبوني،جاءت مقسمة الى مبحثين في هذا البحث، تناول الأول حياة بتاحيا والأسماء والألقاب التي عُرِفَ بها والحديث عن أسرته وتعليمه الديني،ثم التعريف بمشاهير الرحالة المعاصرين له وذكر خطوط رحلاتهم، وبيان الدافع السياسي والديني لرحلته والأقاليم والمدن التي مر بها، وكذلك منهج وأسلوب الرحلة،فضلاً عن التركيز على كتاب الرحلة وبيان نسخه المخطوطة والمطبوعة والمترجمة.أما الثاني فجاء مركزاً على وصف مدينتي الموصل ونينوى ومحاولة الوقوف على النص الذي تحدث عن كلا المدينتين بالتحليل والشرح والتوضيح والنقد والمقارنة لرسم صورة عنهما من خلال مشاهداته المجسدة في كتاب الرحلة.

Mosul and Nineveh in the Writings of German Jewish Traveler with the Petachia of Ratisbon D: 614 A.H / 1217 A.D

Lec.Dr.Mohamad Nazar Aldabbagh

Abstract Research

This research try to put light on the observation of the traveler Petachia of Ratisbon in the Mosul and Nineveh through his travel's book which carried his name the important of this research apper that isn't wrote any Arabic studies about it. The researcher attempt to follow this next that related of two cities by study and analysis. we started it by many of resources and foreign studies in addition to the

* مدرس، قسم الدراسات الأدبية والتوثيق، مركز دراسات الموصل، جامعة الموصل.

researches of Iraqi Virtual Scientific Library which introduce important article about Petachia of Ratisbon this article divided in two research this first take the like of Petachia of Ratisbonthis and the names that he know by it and take about his family and his study and then talked about the famous traveler that contemporary to him and talked about their travel's and he talk about the religion and political to his travel and the regions that he pass on it. In addition to the style of the travel and he also focus on the book of traveler and clarification the copy of manuscript which print and translate.The second research focus on descript the Mosul and Nineveh and try to stand on the text that talked about two cities analysis explain criticism and comparison to paint picture by his embodied views in the travel book.

المقدمة:

إن الهدف من كتابة هذا البحث يأتي لعدم وجود دراسة أكاديمية سابقة تطرقت الى حياة الرحالة بتاحيا الراتسبوني وكتاب رحلته، الذي قدم فيه وصفاً لمدينتي الموصل ونينوى كما شاهدها وصورها. وجاءت أهمية البحث في محاولة لتتبع جزئيات النص المتعلق بالمدينتين،لأنها ركزت على ما رآه بأم عينه من مشاهد يكاد ينفرد بها.

قسم البحث الى مبحثين، ركز الأول: على التعريف بحياة بتاحيا الراتسبوني ووصف خط سير رحلته، وأهم الرحالة اليهود المعاصرين له، والحديث عن كتاب رحلته ووصف النسخ المخطوطة (المنشورة بالعبرية) ثم ترجمات الكتاب الى اللغات الأجنبية. أما الثاني: فقد عالج النص المتعلق بوصف الموصل ونينوى بالدراسة والتحليل والمقارنة والنقد. وأعتمد الباحث على بعض الدراسات ذات الصلة بموضوع البحث المكتوبة باللغة الانكليزية والعبرية والفرنسية واللاتينية، لأن ما كتب عنه كان شحيحاً باللغة العربية،فضلاً عن المراجع الأجنبية المأخوذة شبكة من الانترنيت، والبحوث العلمية المنشورة باللغة الانكليزية في المكتبة الافتراضية العلمية العراقية.

ويتقدم الباحث بالشكر الجزيل الى الأستاذ طارق الطائي والدكتور خضر أليـاس جلو والأستاذ الدكتور ناصر عبد الرزاق الملا جاسم والأستاذ الدكتور شعلان كامل الذين لم يدخروا جهداً في تقديم المساعدة العلمية للباحث.

المبحث الأول: بتاحيا الراتسبوني، حياته، رحلته، كتابه

تشكل الرحلات أهمية خاصة بالنسبة للجغرافية التاريخية والوصفية،لأنها تعد من أوثق المصادر، إذ تحتوي على معلومات مهمة دونت من قبل رجال راحوا يجوبون أرجاء العالم، ومنهم يهود الأندلس وأوروبا، فمنذ القرن الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين قام اليهود برحلات طويلة لأهداف مختلفة حيث كانت وجهتهم بيت المقدس في

فلسطين، حيث تعد مكان تعبدهم،أو لأغراض تجارية فقد كان التجار اليهود يقومون برحلات الى أوطان مجهولة من بلدان أوروبا الشمالية ولاقوا في آسيا الوسطى وإفريقيا يهوداً ما زالوا يتكلمون اللغة العبرية[١] ومنهم من كان الهدف من رحلته دينياً ممثلاً بزيارة مقامات ومقابر الانبياء والأولياء والصالحين والعلماء، فضلاً عن الدافع السياسي للاطلاع على أحوال اليهود في المشرق[٢] وهو ما ينطبق على الرحالة بتاحيا الراتسبوني وهذا ما يبدو لنا جلياً من خلال كتاب رحلته.

ورد **إسمه** بصيغ متنوعة فهو (الربي بتاحيا بن الربي يعقوب)، مسبوقاً بإسم أبيه[٣]، كذلك جاء بأسم (الربي بتاحيا من راتسبون)، و(بتاهيا من ريغنسبورغ) نسبة الى المدينة التي ولد فيها على اختلاف الصيغتين، فراتسبون هي التسمية الأنكليزية لمدينة ريغنسبورغ الالمانية[٤] ومن الأسماء الأخرى مما جاء في رحلة بنيامين التطيلي (فتاحيه الرجنسبرجي) بقلب الباء فاء وهو من الأسماء التي وردت بصورة قليلة في النصوص والمصادر التي تكلمت عن بتاحيا[٥] وهناك أربعة أسماء أخرى عُرِفَ بها هي (بيتاشيا من ريغنسبورغ) و(موسى بيتاشيا) و (بيتاشيا بن ياكوف)–جاكوف–و(بيتاشيا من راتسبون)[٦] وهذه التسميات على الأرجح محرفة عن الاسم الأكثر شيوعا وهو بتاحيا، وياكوف أو –جاكوف– هو تحريف لاسم يعقوب والد بتاحيا، على الرغم من عدم كشف المصادر عن سبب تسميته بموسى بيتاشيا او موشي بيتاشيا، وربما أنها جاءت تيمناً بأسم النبي موسى عليه السلام،ويتبين لدينا أن الاختلافات الجزئية في ذكر الاسم مصدرها اختلافات قراءته تبعاً للغات السائدة وقت ذاك مثل الجرمانية أو العبرية،ولعل من أكثر الأسماء شهرة والتي عُرف بها هي بتاحيا الراتسبوني **מריגנשפורק סבוב ר' פתחיה.**

ومن الألقاب التي سبقت اسمه هي (الربي) والتي جاءت في أغلب الكتب الأجنبية والموسوعات العبرية والانكليزية التي ترجمت له والتي تعني السيد، والمعلم، والإمام والحبر الفقيه وجمعها الربانيون أو الربيون وبالعبرية ربانيم جمع ربّان[٧]، وهذا ليس غريبا عن بتاحيا الذي ولد في ريغنسبورغ في بافاريا، وهي مدينة كانت جالياتها اليهودية مشهورة جدا بتقواها وتعلمها حتى أنها تسمى أحيانا (أثينا اليهودية)[٨]. وكان بتاحيا شقيق الحاخام اسحق ها-لافان (الأبيض) بن يعقوب، الفقيه اليهودي الشهير، وكان أحد كُتاب Tosophat وهم كُتَّاب يهود من الفرنسيين والألمان، كان لهم دور بارز في تأليف إضافات توضيحية ونقدية للتلمود خلال المرحلة الواقعة بين القرنين (السادس– الثامن الهجريين/الثاني عشر–الرابع عشر الميلاديين)[٩]. ولُقِب أيضا بالحاخام ومعناه الزعيم الديني وكذلك الحكيم عند اليهود[١٠] وربما جاء هذا اللقب بعد قيامه برحلته واكتسابه للمعارف، وكذلك بالحاخام البوهيمي[١١] ويرجح أن اللقب الأخير اكتسبه في أواخر حياته بعد أن أشتهر وذاع صيته بين أبناء جلدته بوصفه زعيماً

دينياً وحكيماً عندما عهد الى أحد أصدقائه المقربين في تجميع أوراق رحلته،فضلاً عن أن إلحاق كلمة البوهيمي تعود الى مكان استقراره في تشيكيا الحالية والتي ترادف كلمة بوهيميا وربما لتمييزه عن بقية حاخامات المنطقة،كما أن له أخاً آخره أسمه الربي ناحمان الراتسبوني وهو أقل شهرة من أخيه المتقدم إذ أن المعلومات عنه تكاد تكون معدومة ولا نعلم عنه شيئاً إلا اسمه[١٢].

أما عن **حياته** فلا نعلم على وجه التحديد زمن ولادته إلا أنه حسب الدويكات محقق الطبعة العربية لرحلة بتاحيا يرجح أنه ولد في حوالي النصف الأول من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي في مدينة راتسبون،وقضى جزءاً من حياته في مدينة براغ[١٣] ويستشف من سيرة حياته الموجزة التي أوردها أدلر(E.N Adler:D.1946)[١٤] أنه ترعرع في أكناف عائلة علمية، فوالده من كبار رجال الدين اليهود الذين عرفوا بالمحافظة على تقاليدهم وعاداتهم، ويبدو أن عائلته عنيت به منذ صغره وهيأت له الفرصة لتلقي العلم وخلال شبابه درس على أيدي العلماء التلموديين حتى أصبح من حاخامات اليهود المعروفين[١٥]، ويرجح أنه توفي في حدود سنة (٦١٤هـ/١٢١٧م)[١٦].

*****

وفيما يتعلق **برحلة** بتاحيا فنجد أنه لم يكن أول الرحالة اليهود الذين زاروا المشرق إذ سبقه عدد من مشاهير الرواد اليهود الذين وصلت إلينا أسفارهم خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي نذكر من بينهم :

-أبو الحسن يهوذا بن صموئيل اللاوي الطليطلي (ت:٥٤٣هـ/١١٤٠م)خرج من مسقط رأسه يريد الحج الى بيت المقدس، فزار مصر وبلاد الشام ومات عند أسوار القدس.

-أبو إسحاق إبراهيم بن مئير بن عزرا الطليطلي (ت:٥٦٢هـ/١١٦٧م) قام برحلة زار خلالها مصر وبلاد الشام والعراق وجزيرة رودس في البحر المتوسط، وإيطاليا وفرنسا وإنجلترا.

-بنيامين بن يونه التطيلي الأندلسي (كان حياً: ٥٦٩هـ/١١٧٣م)، قام برحلة الى المشرق زار معظم بلدان أوروبا المطلة على البحر المتوسط ومصر وبلاد الشام والعراق وفارس وبلاد الجزيرة والتي كانت الموصل حاضرتها ومصر وغيرها من البلدان.

-يعقوب بن ناثينال كوهن (كان حياً:٥٧٨هـ/١١٨٣م) زار بلاد الشام قبيل استرداد السلطان صلاح الدين لبيت المقدس وترك رسالة قيمة في ذلك[١٧].

وكان **الدافع السياسي** على رأس أولويات الرحالة بتاحيا الراتسبوني،فهو من العلماء المشهورين في موطنه، ويرجح الدويكات أن يكون بتاحيا قد قام برحلته هذه موفداً من الهيئات الدينية اليهودية في بلده للإطلاع على أحوال اليهود في المشرق،في الوقت الذي كانت فيه الطائفة اليهودية في بلده تتعرض للاضطهاد[١٨]، وهم اليهود الأشكناز[١٩] ولغتهم هي اللغة

اليديشية[٢٠] لغة يهود ألمانيا والتي تعد فرعاً من لغة يهود أوروبا التي تطورت من لهجة ألمانية قديمة تأثرت باللغة العبرية[٢١] ويبدو أن إرتحال بتاحيا أستهدف إيجاد مأوى آمن لليهود فقام برحلة واسعة زار خلالها العديد من الأقاليم والمدن والقرى، فكان الخط العام للرحلة من راتسبون الى براغ فشبه جزيرة القرم في البحر الأسود، ثم بلاد التتار فأرمينيا وفارس ثم الموصل قاعدة بلاد الجزيرة فالعراق، ومن أهم مدنه بغداد وبابل ومنها ارتحل الى بلاد الشام وتحديداً زيارته لدمشق وبيت المقدس فاليونان، وتعرف هذه الرحلة (بالرحلة الدائرية) لأن خط سير الرحلة كان دائرياً، فقد كان يتحرك بتاحيا من موطنه راتسبون بالاستمرار نحو الشرق؛ ولذلك توصف رحلته بالرحلة الدائرية[٢٢].

ويأتي بعد ذلك **الدافع الديني** في الرغبة الملحة التي كانت تدفع أتقياء اليهود للحج الى بيت المقدس والتبرك بمشاهد قبور الانبياء ومقامات الصالحين،وهذا لا ينطبق فقط على بيت المقدس فقط بل على معظم المدن التي زارها، يضاف لها التبرك بقبور العلماء الكبار أيضاً[٢٣].

ولم يترك بتاحيا **تاريخاً** دقيقاً لرحلته ولم يذكر وقت دخوله للمدن التي زارها ومدة مكوثه بها أو رحيله عنها، لذلك ورد اختلاف بشأن توقيت الرحلة فهي حسب أدلر بين سنتي (٥٦٩-٥٨٢هـ/ ١١٧٤-١١٨٧م)، إلا أن الدويكات يرى أنها كانت بين سنتي (٥٦٩-٥٧٥هـ/ ١١٧٤-١١٨٠م) معتمداً في ذلك على الإشارات التي أوردها بتاحيا في رحلته، ويرى أنه من المستبعد أن تمتد إقامته في المنطقة لأبعد من ذلك حتى (٥٨٢هـ/١١٨٧م) لعدم وجود شواهد تؤيد ذلك[٢٤].

أما **أسلوب الرحلة** فهو بسيط خالٍ من العبارات البلاغية، وتألفت الرحلة من ملاحظات ضمت بعضها الى بعض، ولم يكتبها بتاحيا بنفسه، وإنما رواها ورتبها يهوذا الصالح بن شموئيل وهو من راتسبون مسقط رأس بتاحيا نفسه، ويرى الدويكات أنه كان على صلة قوية به فقد رافقه في جزء من رحلته كما عهد إليه بتاحيا بأمر كتابة رحلته، وربما كان هذا السبب وراء الاضطراب الظاهر والأخطاء الموجودة فيها[٢٥]، ومن المرجح أن جزءاً كبيرا مما كتبه بتاحيا قد فُقِد فجاء في الرحلة ما نصه ((أن رئيس الأكاديمية قام بكتابة أسماء الأمورائيم المدفونين-في العراق-إلا أن بتاحيا نسي القائمة وتركها في بوهيميا))[٢٦].

أما **المنهج** المعتمد في كتابة هذه الرحلة فيبين لنا إطلاع بتاحيا الواسع على التوراة والتلمود وأسفار وكتب اليهود المختلفة، على الرغم من عدم الكشف عن المصادر التي نقل منها أو ذكره لأسماء مؤلفيها، كما أنه لم يشر الى الراوي أو الناقل للأخبار التي ذكرها في روايته،مما يدل على عدم الدقة والتقصي في نقل الخبر والبحث عن مضامين الروايات الأصلية، وأمتازت الرحلة بسعة المساحة المكانية فضمت أماكن وبلدان مختلفة في آسيا وأوروبا وأفريقيا،

كما أنها سجلت العديد من الروايات الأسطورية والخرافات والعجائب وقصص المعجزات مثل سائر الرحلات اليهودية[٢٧].

*****

ويعد كتاب الرحلة لبتاحيا الراتسبوني من الكتب المهمة في الأوساط التعليمية الأوربية فظهر لدينا من خلال البحث وجود مخطوطتين للرحلة باللغة العبرية ألحقت المخطوطة الأولى منها بالترجمة الانكليزية للرحلة بعناية أ.بينيش (A. Benisch.D.1878) سنة ١٨٥٦م،وجاءت تحت عنوان (رحلات الربي بتاحيا من راتسبون)، مع مقدمة مهمة عن حياة ورحلة بتاحيا وهي الأكثر تداولاً واستخداماً في البحوث والدراسات التاريخية والبلدانية ويلاحظ في الورقة الثانية من الكتاب أسم مالكها وهي (مخطوطة م.ل.روتشيلد)–MRS.M.L.ROTHSCHILD وتقع في (١١٤) ورقة، ولا توجد لدينا أي تفاصيل أخرى عن رقم المخطوطة ومكان تواجدها[٢٨].

أما المخطوطة الثانية باللغة العبرية فقد وردت ضمن كتاب ضم مخطوطات وطبعات لرحلات اليهود في بلاد الشام ومصر وبلاد أخرى وصدرت سنة ١٩٢٦م بعناية الكاتب والمؤرخ ي. د. أيزنشتاين (J. D.Eisenstein.D.1956) بعنوان (جولة) أو (جولة حول العالم)، وهذا الكتاب هو أشبه بمجموع ضم أجزاءاً ونصوصاً ومقتبسات من رحلات اليهود في الى المشرق وهذا ما نلاحظه جليا في الحجم الذي شغلته رحلة بتاحيا من الكتاب،والتي لم تتجاوز (١٢) ورقة، وبالتالي فإن الذي بين أيدينا من هذه المخطوطة لا يمثل كل الرحلة التي وصلتنا قياساً بالنسخة السابقة لها المُصَدَّرَة بقلم بينيش لكن أهميتها تكمن في أنها سلطت الضوء على كتب رحلات لعلماء يهود لم نتعرف إليهم سابقاً[٢٩]. في حين أن النسخ المطبوعة والمترجمة[٣٠] من كتاب رحلة بتاحيا الراتسبوني يمكن إجمالها بالجدول التالي :

ت	الطبعة/الترجمة	السنة	المدينة	طبعت/ ترجمت بعناية	الملاحظات
١	طبعة تشيكية	١٥٩٥م	براغ	–	أول وأقدم طبعة
٢	ترجمة ألمانية	١٦٨٧م	–	–	–
٣	ترجمة لاتينية	١٦٨٧م	ستراسبورغ	Wagenseil –ويكنسيل	–
٤	–	١٨٠٦م	أوستراخ	–	–
٥	ترجمة فرنسية–عبرية	١٨٣١م	باريس	Carmoly–كارمولي	نشرت بالمجلة الأسيوية J.A[٣١]
٦	ترجمة ألمانية–عبرية	١٨٤٤م	–	David – Atkinser Berta دافيد أتنسر بيرتا	طبعة أشكنازية مع ملاحظات

٧	ترجمة ايطالية	١٨٤٦م	ليفورنو	–	ملحقة بذيل كتاب מנר הישר للربن يعقوب تام
٨	ترجمة إنكليزية	١٨٥٦م	لندن	A. Benisch– بينيش	أشهر وأفضل طبعة مع مقدمة
٩	ترجمة إنكليزية	١٨٦١م	لندن	A. Benisch– بينيش	طبعة ثانية
١٠	ترجمة عبرية– أشكنازية	١٩٠٤م	أورشليم	Greenehot Eliezer Alaowi –غرينهوت اليعازر اللاوي	مع ملاحظات
١١	ترجمة إنكليزية	١٩٣٠م	لندن	Elkan Nathan –Adler إلكان ناثان أدلر	ط ٣. ضمن كتاب Jewish Travellers
١٢	ترجمة ألمانية	–	–	Greenehot Eliezer Alaowi –غرينهوت اليعازر اللاوي	طبعة أخرى لم تحمل تاريخ
١٣	ترجمة للعربية	٢٠١١	أربد– الأردن	فؤاد عبد الرحيم الدويكات	مع دراسة وتحقيق ومقدمة

ويتضح من خلال الجدول المتقدم أن جُلَّ طبعات الرحلة كانت باللغتين الألمانية والانكليزية، وأن بعض طبعات الرحلة نشرت في مجلات مختصة بنشر الكتب ضمن أوصولها المخطوطة مع تعليقات وترجمة الى لغة أخرى غير اللغة الأم التي كتبت بها مخطوطة الرحلة كما في الطبعة رقم (٥)، وجاء البعض الآخر منها ملحقاً ببعض الكتب العبرية لمشاهير العلماء اليهود كما هو الحال في الطبعة رقم (٧)، ومنها ما ضُمَت ونُشِرت مع الدراسات المعاصرة التي كتبت عن الرحالة اليهود بنشر نص الرحلة مع نصوص لرحلات أخرى كما ورد في الطبعة رقم (١٢).

المبحث الثاني:وصف الموصل ونينوى في رحلة بتاحيا الراتسبوني

جاءت أوصاف المدن في كتب الرحلات التي سُطِرَت بأقلام الرحالة اليهود في العصور الوسطى مقتصرة على جوانب بعينها، إذ أن كتب الرحلات اليهودية قدمت أوصافاً عن أوضاع الجاليات اليهودية المنتشرة في الأقاليم والمدن والقرى التي ذكرت في رحلات اليهود من الناحية السياسية والدينية والاجتماعية والسكانية وأحياناً الاقتصادية، مع التحديد الجغرافي لأسماء ومواقع المدن، على العكس من كتب الرحالة المسلمين التي أمتازت بالشمولية من جميع

النواحي؛ ومن هذا المنطلق لا نستغرب من وجود أخبار متفرقة مرتبطة بما شاهده الرحالة بتاحيا الراتسبوني في الموصل ونينوى وأنفرد بها عن غيره من الرحالة اليهود.

يبتدئ وصف مدينتي الموصل ونينوى من خلال ذكر الطريق الذي سلكه بتاحيا الراتسبوني من نصيبين الى الموصل ضمن خط سير رحلته، بقوله: ((ومن نصيبين وأبعد منها تمتد أرض آشور))[٣٢]، والذي قصده بتاحيا بأرض آشور هنا هي مدينة الموصل، وجاء تحديد الاسم متوافقاً مع ما أورده الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي الذي زار المدينة قبله بفترة قريبة لا تتجاوز العشر سنوات وذكر بأنها–أي الموصل– ((بلدة آشور الكبرى الواردة في التوراة))[٣٣]، على الرغم من أن آشور التوراتية يراد بها الدولة الآشورية المعروفة في التاريخ القديم، إلا أن الرحالة اليهود إصطلحوا على تسمية الموصل بها[٣٤]. وأشار بتاحيا الى أن رحلته استغرقت ثلاثة أيام من نصيبين الى الموصل الجديدة[٣٥]، وبالعودة الى ابن جبير وياقوت الحموي، نجد أن المسافة بين المدينتين بمقدار الضعف وهي ستة أيام مما تقطعه القوافل، وكانت مسافة هذا الطريق تبلغ (٣٤) فرسخاً أي نحو (٢٠٠) كيلومتر مقسمة على ستة مراحل، والمسافة بين مرحلة وأخرى ستة فراسخ (أي ٣٥ كم تقريباً)[٣٦]، وربما أن قصر مسافة الطريق بين نصيبين والموصل مما ورد عند بتاحيا قياساً بمعاصريه من البلدانيين المسلمين كياقوت الحموي وابن جبير مرده الى أن بتاحيا كان أسرع في تحركه ربما لعدم ارتباطه بحركة القوافل التي كثيراً ما كانت تتوقف بين محطات الطريق للاستراحة، أو أنه سلك طريقاً أقصر مما سلكه كل من ابن جبير وياقوت الحموي، وما قصده بتاحيا بالموصل الجديدة هي مدينة الموصل تميزاً لها عن الموصل القديمة وهي نينوى، لامتداد العمران وازدهار الأولى وكون الثانية تعد من المدن القديمة والمندثرة.

ويكمل بتاحيا توصيفه بقوله ((ويتدفق نهر دجلة قبل أن يصل الى مدينة الموصل وعلى الجهة المقابلة للنهر تجول الربي مدة ثلاثة أيام بأتجاهات مختلفة نحو الموصل القديمة وهي مدينة مهجورة وأرضها سوداء كالقار وأصابها الدمار كالذي أصاب قوم سدوم، بحيث لا يوجد فيها عشب أو زرع أما المدينة الجديدة فتقع على الجهة الأخرى من النهر، ويقيم في المدينة طائفة من اليهود تقدر بحوالي ستة الآف شخص))[٣٧]. وربما يوحي هذا النص أن زيارة بتاحيا الى مدينة الموصل كانت في فصل الربيع، لأن تدفق ماء في اللغة العربية له دلالات ومعاني، فهو يدل على جريان الماء من مكان عال ويدل أيضاً على غزارته فضلاً عن فيضانه من جوانبه، حيث أشار بتاحيا في موضع آخر من الرحلة بقوله ((ولما كان النهر عريضاً فقد كان من المتعذر عبوره بالقوارب بسبب التيارات المائية السريعة والعنيفة والتي من الممكن أن تقلب القوارب))[٣٨]، وكل هذه الدلائل ترجح الى أنه كان في المدينة خلال فصل الربيع. أما عن

تجواله في نينوى لمدة ثلاثة أيام والتي أطلق عليها الموصل القديمة فربما فيه دلالة الى إهتمام بتاحيا بالبحث عن آثار أسلافه من اليهود في أرض الموصل إذا ما علمنا أن موضع تل التوبة في نظره مقدس لوجود كنيسة لليهود فيه حسب إشارة بنيامين التطيلي والذي أسماه ((كنيسة...من بناء النبي يونة بن أمتاي)) وهو النبي يونس (عليه السلام) عند المسلمين، ولا يوجد لدينا من الدلائل التي تشير الى وجود هذه الكنيسة في المصادر التاريخية، والظاهر أن الرحالة بتاحيا أشار هنا الى موضع تل التوبة الذي يقع عليه مسجد (ثم جامع) النبي يونس (عليه السلام) المعروف في الموصل[٣٩]، وقد أشار إليه غير واحد من البلدانيين العرب كابن جبير في رحلته وهو معاصر للرحالة بتاحيا[٤٠].

ومن الأمور التي يرجح أنها دفعت بتاحيا للتجوال في الجهة المقابلة لمدينة الموصل بحثه عن أثر آخر لليهود وهو كنيس النبي ناحوم الالقوشي والذي أشار إليه الرحالة بنيامين التطيلي أيضا عند ذكره لمدينة الموصل ولا نستبعد وصول بتاحيا الى ألقوش والتي لا تبعد عن الموصل سوى مسيرة يوم واحد إذا ما علمنا أن بتاحيا بقي متنقلاً في أرض الموصل لمدة ثلاثة أيام وهي مدة كافية ربما أتاحت له زيارة هذه البلدة،وربما أن وصف ألقوش قد سقط من وصف رحلته وجرى التركيز على مدينة الموصل التي أخذت حيزاً مهماً من رحلته[٤١]. ومن خلال إشارة بتاحيا الى الموصل القديمة وهي نينوى ووصفه لأرضها بأنها سوداء كالقار وأصابها الدمار كالذي أصاب قوم سدوم فيه دلالة الى خراب نينوى الذي تنبأ به النبي ناحوم حيث قال فيها ((تنفتح لأعدائك أبواب أرضك تأكل النار مغاليقك)) وفي النص دلالة الى حريق مدينة نينوى بعد سقوطها على يد البابليين والميديين سنة ٦١٢ق.م حيث تحولت أرض المدينة الى اللون الأسود بفعل الحريق الهائل الذي تعرضت له المدينة، ومما يعزز ما ذهبنا إليه ما جاء في نص رسالة مجهولة الهوية مكتوبة باللغة الأكدية ومترجمة الى الانكليزية،نقرأ النص التالي الذي يصف تدمير نينوى وحرائقها عند سقوطها ((إن تدمير آشور وسرقتها والحدائق...نشبت في كل مكان لا تُعَدُ إلا جزءاً...من الدمار والحدائق المنتشرة في نينوى التي أراها تنير ظلمة... (الليل)...وتأكل كل شيء))[٤٢]؛ وليس كما أشار إليه محقق الرحلة الدويكات الى أن أرضها سوداء لأنها تحتوي على القار،والذي يؤكد ما ذهبنا إليه الإشارة الواردة في آخر النص لتشبيه بتاحيا لدمار نينوى بدمار أرض سدوم والتي دمرها الله سبحانه وتعالى حين لم تستجب مع غيرها من المدن لدعوة لوط عليه السلام[٤٣] وبالإجمال فهذا ما يفسر لنا نقمة بتاحيا على مدينة نينوى بحسب الرواية التوراتية الواردة في سفر ناحوم مما تقدم ذكره[٤٤]. وإكمالاً لما ورد في النص فإن بتاحيا أشار الى مدينة الموصل التي نعتها بالجديدة وذكر أنها تقع على الجهة الأخرى من النهر مما يوحي بأنه ما زال متجولاً بين أطلال مدينة نينوى القديمة، وذكر بأنه كان يسكنها

(٦٠٠٠) يهودي، وبالمقارنة مع بنيامين التطيلي الذي زارها سنة (٥٦٣هـ/١١٦٨م) وجد فيها (٧٠٠) يهودي، لكن بعد مراجعة النسخ الأخرى من الرحلة فإنها تشير الى أن بنيامين قدر عددهم بنحو (٧٠٠٠) يهودي وما يؤكد ذلك تقدير بتاحيا لهم بحوالي (٦٠٠٠) يهودي، والراجح أن الرقم سبعة الآف هو الصحيح وأن العدد سبعمائة في نسخة الرحلة من ترجمة عزرا حداد هو عملية خطأ في أثناء نقل العدد أو تصحيف من قبل النساخ،ومع ذلك فإن العدد الذي ذكره بنيامين مبالغ فيه[٤٥]. وذكر بتاحيا أن من أعيان الموصل ((أميران، يُدعى الأول الربي داؤد، والآخر الربي صموئيل وهما من نسل الملك داؤد. ويدفع اليهود في هذه المدينة ضريبة سنوية مقدارها دينارٌ ذهبيٌ واحدٌ نصفه للملك أو السلطان (وهم لا يسمونه ملكاً وإنما سلطان) والذي يخضع لخليفة بغداد والنصف الثاني يذهب معاشاً لأمراء اليهود الذين يمتلكون الحقول ومزارع الكروم في هذه البلاد، وكذلك في بلاد فارس ومادي ودمشق تخلو الكنائس من قادة فرق المرتلين اليهود، لكنها تمتاز بوجود الكثير من العلماء والأعيان والأمراء وأحياناً يكلف أحد هؤلاء بتلاوة الصلوات. ولأمير الموصل سجن يحتجز فيه الأشرار والمذنبين وإن حدث نزاع بين شخص يهودي وآخر من غير اليهود فإن الأمير يحتجز الشخص المذنب سواء أكان هذا الشخص يهودياً أم مسلماً))[٤٦] وأعيان الموصل داؤد وصموئيل هما أبناء شقيق دانيال بن حسداي رأس الجالوت في بغداد والذي توفي سنة (٥٦٩هـ/١١٧٤م) وبعد وفاته حدث صراع على المنصب وأنقسم يهود بغداد فريقين، فريق يؤيد الأول وفريق يؤيد الثاني وقد تولى صموئيل منصب رأس الجالوت وبقي فيه الى وفاته عام (٥٨٦هـ/١١٩١م) وهو آخر رأس جالوت تولى هذا المنصب قبل أن يقوم الغاؤون صموئيل بن علي بن إسرائيل اللاوي الملقب بابن الدستور (ت:٦٠٥هـ/١٢٠٩م) وهو رأس مثيبة بغداد بالقضاء على رأس الجالوت نهائياً فضم منصب رأس الجالوت الى منصبه، وحين زار بتاحيا هذين الأميرين كان دانيال لا يزال على قيد الحياة لذلك لم يشر بتاحيا الى النزاع الذي نشب بين الإخوة وبين اليهود حول من يتولى منصب رئاسة الجالوت[٤٧].

أما عن الضريبة السنوية فقد ألقت الرحلة مزيداً من الضوء على دور رؤساء الطائفة في جمع الجزية، ورواية بتاحيا على إيجازها تتضمن حقائق أولها أن معظم يهود العراق كانوا من الطبقة الدنيا التي تدفع ديناراً واحداً فقط، فضلاً عن أنها أشارت الى دور رؤساء الجالية في جباية الجزية بحيث ناب هؤلاء عن ناظر الجوالي في جمعها من أبناء طائفتهم وتسليمها لديوان الجوالي بعد إقتطاع جزء منها كمرتبات لأمراء اليهود الذين يملكون الحقول ومزارع الكروم[٤٨] وجاءت الإشارة في النص الى ذكر لقب حاكم الموصل الذي مزج فيه بتاحيا بين لقبي الملك والسلطان لكنه استدرك على كلامه أن أهل الموصل يطلقون على حاكمهم أسم السلطان والذي

صار في عهد السلاجقة بمعنى معين إذ بدأت تطلق في عهدهم على الحاكم المسيطر المستقل في حين كانت كلمة ملك تطلق على الحاكم التابع وحكام الأقاليم وكان العالم الإسلامي يعتبر عليه رئيس ديني هو الخليفة ومن بعده سلطان الإسلام وهو يتولى السلطة الزمنية من قبل الخليفة، ففي الموصل كان من أهم مظاهر هذه الفترة التاريخية ظهور الاتابكيات وكانت أتابكية الموصل من أكبر الاتابكيات بالنظر للدور الذي لعبته في تاريخ المنطقة، وحين دخلها بتاحيا أشار الى خضوع أتابكها والذي لم يسمه لخليفة بغداد، وملاحظة بتاحيا غير دقيقة إذ أن حكام الموصل كانوا يلقبون بالاتابكة نسبة الى جد ملوكها الاتابك قسيم الدولة أبو سعيد آقسنقر بن عبدالله (ت:٤٨٧هـ/١٠٩٤م) وأول من تولاها هو عماد الدين زنكي (٥٢١-٥٤١هـ/ ١١٢٧-١١٤٦م) وأثناء زيارة بتاحيا كانت الموصل تحت حكم الاتابك سيف الدين غازي بن قطب الدين (٥٦٥-٥٧٦هـ/١١٧٠-١١٨٠م) وكان هذا الاتابك يتبع أسمياً للخليفة العباسي في بغداد وهو يومئذ المستضيء بأمر الله (٥٦٦-٥٧٥هـ/١١٧٠-١١٨٠م) والذي أمتدح عدله وحرصه على المساواة بين الناس بصرف النظر عن العرق والدين[٤٩].

وعن إشارته لوجود سجن يحتجز فيه حاكم الموصل الأشرار والمذنبين، فقد أشار ياقوت الحموي أن الولاة العباسيين كانوا يحبسون المخالفين في جبل حبتون وهو في نواحي الموصل، ولا نعلم هل أستمر الحال في عهد الدولة الاتابكية على ما كان عليه أم أستحدث سجن آخر ففي النص لا نجد ما يشير الى موقع هذا السجن[٥٠].

وفيما يتعلق بالنزاع، فإذا ما حدث بين شخص يهودي وآخر من غير اليهود فملاحظة بتاحيا لا تتفق وقواعد الشَرع الإسلامي المتعلقة بأهل الذمة والتي لا تجيز لذمي إصدار حكم قضائي بحق المسلم[٥١].

وقد أفادتنا رحلة بتاحيا الراتسبوني في المجال الاقتصادي بالإشارة الى إستمرار عمل ديوان المواريث الحشرية، فحين وقع بتاحيا فريسة للمرض في الموصل كان يخشى على ثروته لأنَّ العادة جرت بأخذ نصف ثروة الذمي إذا ما مات ولما كانت هذه المسألة من الناحية القانونية قد حسمت على الأقل وأصبحت متفقة مع أحكام الشريعة الإسلامية بحيث باتت ضريبة الإرث وديوان المواريث الحشرية غير مشروعة، فأنه من الناحية العملية لم يكن بالإمكان التعرف على مدى تطبيق هذا الأمر، وإشارة بتاحيا أكدت على استمرار ضريبة الإرث واستمرار عمل ديوان المواريث الحشرية، وفي حالة وفاة شخص لا وريث له كان السلطان ولي من لا ولي له يرثه ويعقل عنه[٥٢]، جاء في نص الرحلة ((وبينما كان الربي بتاحيا في مدينة الموصل وقع فريسة للمرض،وقد أفاد أطباء الأمير بأن أجله قد أقترب وجرت العادة هنا بأنه إذا ما مات اليهودي أثناء زيارته فإنهم يأخذون نصف ثروته،ولما كان الربي يرتدي الملابس

الجميلة قد اعتقدوا بأنه كان غنياً، لذلك حضر كاتب الأمير عنده ليأخذ نصف ثروته إذا ما مات،إلا أن الربي كان قد أوصى أثناء مرضه بأن ينقل من المدينة عبر نهر دجلة...ولكون الماء يشفي فقد تعافى الربي من مرضه في الحال))، ويتضح من النص أن بتاحيا كان تاجراً غنياً بدلالة عبارة ((كان الربي يرتدي الملابس الجميلة قد اعتقدوا بأنه كان غنياً)) مما تؤيده أحدى الدراسات المختصة بالنشاط التجاري في أوروبا خلال العصور الوسطى(٥٣).

ولو أكملنا النص ((شاهد الربي بتاحيا بمدينة الموصل فيلاً ضخماً...وكان من عادة الأمير أنه إذا حكم على شخص بالقتل فأنهم يحضرونه عند الفيل ويخبروه بأن هذا الشخص مذنب فيقوم الفيل بإمساكه بخرطومه ورميه عالياً وقتله...ويوضع على ظهره بناء كالقلعة يسمى الهودج يتسع لأثني عشر مقاتلاً مسلحاً وعندما يمد هذا الحيوان خرطومه للأمام فأن الفرسان يتسلقون عليه كالجسر))(٥٤) من خلال النص المتقدم يرجح أن الفيل الذي ذكره بتاحيا هو من الأفيال الحربية، وهو فيل مدرب وموجّه بواسطة الإنسان لاستخدامه في أغراض القتال. وكان الاستخدام الأساسي للفيلة يهدف إلى الهجوم أثناء الحرب على العدو وسحقه وكسر صفوفه. وتعرف فرقة فيلة الحرب باسم المحاربين بالفيلة وأبرز مثال على هذا نجده في فتح العراق ومحاولة القائد المثنى بن حارثة الشيباني فتح المدائن التي كانت تزخر بالأفيال الحربية بقيادة هرمز وكان الفيل يضرب بخرطومه يمنة ويسرة،فنجد أن خرطوم الفيل كان يؤدي وظيفتين هما ضرب الجنود وتسلق فرقة الفيلة عليه، وإن عدد المقاتلين المسلحين الذين يتسلقون على ظهره نجد ما يؤيده في بعض الدراسات على الرغم من عدم ذكرها للعدد، إلا أنها ذكرت أنه بالإمكان تسلق عدد كبير من الجنود عليه وجلوسهم في الهودج،ومن نقاط الضعف الرئيسة في الفيل الحربي أنه إذا ما قتلت حاميته أو جرح فإنه يسعر ويؤذي من حوله، ولعل هذا يعود الى طبيعة الفيل الوحشية ووقوع حوادث للفيلة ضمن نطاق مكاني ضيق يصل أحياناً الى كيلومتر مربع من مستوطنته أو مكان عيشه(٥٥)، وبالعودة للنص نجد أنه ربما وصل هذا الفيل كهدية لأتابك الموصل من غير أن يحدد لنا بتاحيا مصدره أو من قام بإهدائه للأتابك ونستبعد أن يكون مصدره عن طريق الشراء لأن هناك إشارات تاريخية سابقة ولاحقة للنص تؤكد أن الفيل كثيراً ما كان يقدم هدية للخلفاء والسلاطين والأمراء والحكام، مثال ذلك نجده في هدية الخليفة هارون الرشيد الى الإمبراطور شارلمان ملك الفرنجة، وفي إشارة لاحقة من سنة (١١٥٣هـ/١٧٤٠م) من قدوم عشرة أفيال الى مدينة الموصل كانت في طريقها الى حلب ومنها الى استانبول كهدية من القائد الصفوي نادر شاه (طهماسب قلي خان ت:١٧٤٧م الى السلطان العثماني محمود الأول (حكم من ١٦٩٦-١٧٥٤م) فقام بإرسال هدية كوسيلة تَقَرُّب، رغم أن هدية نادر شاه كانت مبطنة والمقصود منها أن فيلته ستطأ الطريق الذي سيسلكه في حملته المستقبلية حتى تصل

العاصمة إستانبول إلا أن أحد الفيلة غرق في نهر دجلة قبالة الموصل فكان نذير شؤم لصاحبه[٥٦]. وينتهي النص بإشارة بتاحيا أنه ((كان يقيم في الموصل منجم يهودي يدعى الربي سليمان ولم يكن هناك من بين حكماء الموصل أو بلاد آشور من هو بمثل خبرته ومعرفته بالكواكب والنجوم، وقد أجتمع به الربي بتاحيا وأستفسر منه عن موعد ظهور ميشع، فأجابه بأنه رأى هذا الأمر مراراً وتكراراً وبوضوح في الكواكب، ولكن الربي يهوذا التقي الورع لم يدون ذلك حتى لا يشك بأنه غير مؤمن بنبوءات الربي سليمان))[٥٧]، وهذا النص يوحي بحسب محقق الرحلة الدويكات أنه نتيجة لما لاقاه اليهود من إضطهادات ساد لدى اليهود فكرة أو عقيدة مجيء المسيح المخلص من نسل داؤد ليقود اليهود الى فلسطين، وقد أطلقوا عليه أسم النبي أو المسيح المنتظر وهو ما ورد لدى بتاحيا بإسم ميشع، ويرى كوستلر (ArthurKoestler.D.1983) أن اهتمام اليهود بموعد ظهور المخلص المقبل كان أكثر من اهتمامهم بالبيانات الجغرافية وينطبق هذا على الرحالة بتاحيا الراتسبوني الذي زار أوروبا الشرقية وآسيا الغربية جرياً وراء هذه الأفكار.

الخاتمة

تعد رحلة بتاحيا الراتسبوني من الوثائق المهمة التي لم تنل رصيدها الكافي من الدراسة والبحث وعلى الرغم مما يعتريها من نقص في صفحاتها بسبب ضياعها وتدوينها بقلم صاحب بتاحيا ورفيقه في الرحلة وهو يهوذا الصالح بن شموئيل وما اعتراها من أخطاء أثناء تدوينها، إلا أنها تعد من الرحلات المهمة التي سلطت الضوء على أوضاع اليهود في أوروبا وآسيا من النواحي السياسية والدينية والاجتماعية والعلمية والاقتصادية وقد نال العراق وتحديداً مدينتي بغداد وبابل النصيب الأوفر من وصف بتاحيا واهتمامه،ثم الموصل ونينوى ؛لأن اليهود كانوا ينعمون بالطمأنينة والحماية والعدل وبحرية ممارسة شعائرهم الدينية، على الرغم من عدم وجود وصف شمولي للمدينتين المتقدمتين على غرار كتب البلدانيين المسلمين مثل رحلة ابن جبير واقتصارها على أوصاف بعينها من أمور جرت مع بتاحيا، إلا أن هذا من صفات كتب الرحلات اليهودية التي تركز على تفقد تجمعات اليهود وكل ما يتعلق بأحوالهم وشعائرهم ومتابعة مراقدهم وأخبار علمائهم،وتنسحب هذه الجوانب على الرحالة نفسه أحياناً كبتاحيا وجاءت هذه الدراسة كمحاولة متواضعة للوقوف على النص المتعلق بوصف مدينتي الموصل ونينوى بالتحليل والشرح والنقد والتوضيح والمقارنة لتقريب الصورة وإمكانية رسم ملامح لوضع هاتين المدينتين يومئذ من خلال كتاب الرحلة لبتاحيا الراتسبوني.

الهوامش

(١) حسين مؤنس، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس، (ط٢، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٨٦)، ص١٣؛ زهراء محسن حسن و زهير يوسف عليوي الحيدري، أخبار يهود العراق من خلال رحلة بنيامين التطيلي، مجلة آداب ذي قار، ع٤، مج١، تشرين الاول٢٠١١، ص٢٠٤-٢٠٥.

(٢) بتاحيا الراتسبوني، رحلة الربي بتاحيا الراتسبوني ١١٧٥-١١٨٠م/٥٧١-٥٧٦هـ، ترجمة ودراسة وتحقيق: فؤاد عبد الرحيم الدويكات، مصادر تاريخ الحروب الصليبية، (أربد-الاردن، دار الكتاب الثقافي، ٢٠١١)، ص١٦، ٣٥.

(٣) الراتسبوني، رحلة الربي بتاحيا الراتسبوني، ص١٣. والربي أو الراب ويعني بالعبرية القديمة السيد أو المعلم وهو اللقب الأكثر أنتشاراً لدى اليهود. ينظر : مادة **(Rabbi)** في الموقع الالكتروني **www.en.wikipedia.com**

Travels of Rabbi Petachia of Ratisbon.travels of Rabbi Petachia of Ratisbon who is in the latter end of the twelfth century, Translator from the hebrew: A. Benisch, with explanatory Notes: William F. Ainsworth, (London,messrs.Trubner,&co,1856),p.1 ; Avraham Yaari , Article (Pethahiah of Regensburg), Encyclopedia Judaica , Second edition, (USA.Thomason Gale,2007), vol.16,p.16.

(٤) ينظر: مادة **(Petachiah of Regensburg)** في الموقع الالكتروني **www.en.wikipedia.com** ، كذلك : مادة **Petachiah of Ratisbon** في نفس الموقع المتقدم أعلاه ؛ وراتسبون أو ريغنسبورغ ريغنسبورغ (بالألمانية: Regensburg) مدينة ألمانية في ولاية بافاريا، تقع عند التقاء نهري الدانوب والأنهار ريغن، في أقصى منعطف شمالي للدانوب.. للمدينة تاريخ قديم حيث كانت مستعمرة رومانية وبناها الرومان لموقعها الاستراتيجي.. واشتهرت المدينة في العصور الوسطى حيث كانت من أغنى المدن الألمانية لجنيهم الضرائب على البضائع والتجار المسافرين من ضفة النهر إلى الأخرى. وقد كانت أيضا في فترة ما عاصمة الإمبراطورية الرومانية المقدسة (مملكة ألمانية).ينظر : مادة(**Regensburg**)في الموقع الالكتروني **www.en.wikipedia.com** ؛ محمد مؤنس عوض،الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية،(القاهرة،مكتبة مدبولي،١٩٩٢)،ص٢٠٩هامش(٣).

(٥) بنيامين بن يونه التطيلي، رحلة بنيامين التطيلي،ترجمها وعلق حواشيها وكتب ملاحقها : عزرا حداد،دراسة وتقديم:عبد الرحمن عبدالله الشيخ،(ط١،أبو ظبي،المجمع الثقافي،٢٠٠٢)،ص١٦٧.

(٦) ينظر: مادة **(Petachiah of Regensburg)** في الموقع الالكتروني **www.en.wikipedia.com**

(٧) ينظر : مادة **(Rabbi)** في الموقع الالكتروني**www.en.wikipedia.com** ؛ مراد فرج، القرائون والربانيون، (ط١، القاهرة، دار العالم العربي، ٢٠١١)، ص٣١.

(٨) ينظر: مادة (Petachiah of Regensburg) في الموقع الالكتروني www.en.wikipedia.com؛ وبافاريا أو جمهورية بافاريا تقع في وسط أوروبا وتعد مدينة ميونخ عاصمتها وكبرى مدنها، وهي الآن إحدى الولايات الاتحادية الألمانية الكبرى ضمن جمهورية ألمانيا. ينظر: مادة (Bavaria) في الموقع الالكتروني www.en.wikipedia.com

(٩) وكان حاخام وشاعر مشهور عاش في أواخر القرن ١٢م وأشتهر في براغ وهو أخ الرحالة بتاحيا. حوله راجع : مادة (Isaac ben Jacob ha-Lavan)في الموقع الالكتروني www.en.wikipedia.com ؛ The Itinerary of petachia , ed:Grűnhut,p.1، محمد مؤنس عوض، الاضهادات الصليبية لليهود في حوض الراين بألمانيا عام ١٠٩٦م/٤٩هـ من خلال حولية الربي اليعازر بن ناثان، ضمن كتاب عالم الحروب الصليبية بحوث ودراسات،(القاهرة،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٥)،ص١٥، نقلاً عن : الراتسبوني، رحلة الربي بتاحيا الراتسبوني، ص١٥هامش(١)؛ الراتسبوني، رحلة الربي بتاحيا الراتسبوني، ص١٦٠،٥٧

(١٠) ينظر مادة (حاخام) في الموقع الالكتروني www.en.wikipedia.com؛ الراتسبوني،رحلة الربي بتاحيا الراتسبوني،ص١٠٥.

(١١) ينظر: مادة (Petachiah of Regensburg) في الموقع الالكتروني www.en.wikipedia.com؛ وبوهيميا منطقة تاريخية في أوروبا الوسطى. تحتل الأجزاء الغربية ومعظم الأجزاء الوسطى من جمهورية التشيك،وللمزيد من التفاصيل ينظر:مادة(Bohemia) في الموقع الالكتروني www.en.wikipedia.com

(١٢) ينظر: مادة (Bohemia) في الموقع الالكتروني www.en.wikipedia.com ؛ وحول الربي ناحمان الراتسبوني ينظر:
Elkan Nathan Adler, Jewish Travellers in the Middle Ages,(New York: Dover Publications Inc.,1930), p. 64؛ الراتسبوني،رحلة الربي بتاحيا الراتسبوني،ص ٥٧،١٦٠.

(١٣) ينظر: الراتسبوني،رحلة الربي بتاحيا الراتسبوني،ص٥٧، وتقع مدينة براغ Prague في وسط بوهيميا على نهر فلاتافا، ينظر : هامش(٣) من المصدر والصفحة أعلاه.

(١٤) ألكان ناثان أدلر (٢٤ يوليو ١٨٦١ في سانت لوقا، لندن – ١٥ سبتمبر ١٩٤٦ في لندن) كان مُؤلفًا بالإنجليزية، ومحاميًا، ومؤرخًا، وجامعًا للكتب والمخطوطات اليهودية. جمع أدلر وجلب أكثر من ٢٥٠٠٠ قطعة مخطوطة من Genizah إلى إنجلترا. نشر أدلر العديد من الكتب عن أسفاره ومجموعاته الواسعة، بما في ذلك حول المخطوطات العبرية (١٩٠٥)، ومعرض للطباعة العبرية (١٩١٧)، تاريخ يهود لندن (١٩٣٠) ؛ المسافرون اليهود (١٩٣٠).ينظر:مادة Elkan Nathan Adler في www.en.wikipedia.com

(١٥) ينظر: الراتسبوني،رحلة الربي بتاحيا الراتسبوني،ص١٤-١٥ ؛ للكلام عن تقاليد اليهود في الموصل وتشديدهم في المحافظة عليها ينظر:هاري تشارلز لوقا(Harry Charles Luke.D.1969)-

الحاكم المساعد لمدينة القدس-، الموصل وأقلياتها،ترجمة:منذر كاظم حسين،،(ط١،بيروت،دار الرافدين،٢٠١٨)،ص٥٨.

(١٦) A. Abraham Benisch, Travels of Rabbi Petachia of Ratisbon : who, in the latter end of the twelfth century, visited Poland, Russia, Little Tartary, the Crimea, Armenia, Assyria, Syria, the Holy Land, and Greece ,Translated from the Hebrew , published Together with the original on opposite pages by dr.A.Benisch , with explanatory notes by the translator. and William. F. Ainsworth , ESQ , F.S.A , F.G.S , F.R.G.S (London, Messrs. Trubner &co , Paternoster Row..., 1856),p.3

(١٧) I. ABRAHANS. M.A, JEWISH LIFE IN THE MIDDLE AGES LONDON,THE MACMILLAN COMPANY : MACMILLAN & CO., LTD., 1932,p.229 ; CECIL ROTH, The JEWISH CONTRIBUTION to CIVILIZATION,London,1938,p.63

؛وللمزيد من التفاصيل حول حياة هؤلاء الرحالة وذكر مؤلفاتهم ينظر: التطيلي، رحلة بنيامين التطيلي،ص١٢٩-١٣١؛ الراتسبوني،رحلة الربي بتاحيا الراتسبوني،ص١١-١٢؛وقد عُرِفَ أبو الحسن يهوذا بن صموئيل اللاوي الطليطلي بهذا الاسم عند الكُتاب العرب، وأسمه عند الكُتاب اليهود يهوذا بن شموئيل هليفي،وترك كتاباً مهماً هو (الحجة والدليل في نصر الدين الذليل)،ترجمته من العبرية الى العربية:ليلى إبراهيم أبو المجد،سلسلة(من تراث يهود العرب-١-)،إشراف ومراجعة :حسن حنفي وأحمد هويدي،(ط١،القاهرة،المركز القومي للترجمة،٢٠١٤)،وحول حياته وعصره ينظر:ص٧-١١.

(١٨) الراتسبوني،رحلة الربي بتاحيا الراتسبوني،ص١٦

(١٩) Flegontov Pavel,Kassian Alexei,Thomas Mark G.,Fedchenko Valentina,Pitfalls of the Geographic Population Structure (GPS) Approach Applied to Human Genetic History: A Case Study of Ashkenazi Jews,Genome Biology and Evolution,Year: 2016 ,Volume: 8 Issue: 7, P.2259

والبحث منشور في المكتبة الافتراضية العلمية العراقية على الموقع الالكتروني : www.ivsl.org ؛ واليهود الأشكناز (بالعبرية:אַשְׁכְּנָזִים) هم اليهود الذين ترجع أصولهم إلى أوروبا الشرقية،و"أشكناز" هو اسم ذكر في التوراة وكان يستخدم عند الأدباء اليهود إشارة إلى ألمانيا، وعلى الأخص المنطقة الواقعة على نهر الراين. لذلك أطلق على يهود ألمانيا اسم أشكنازيين. ينظر حولهم : مادة(**Ashkenazi Jews**) في الموقع الالكتروني :

www.en.wikipedia.com

(٢٠) وعن **اللغة اليديشية Yiddish** واستخداماتها في تدوين الكتب والمعاملات المالية عند اليهود في ألمانيا ينظر بحث : Mikhail Kizilov , Hebrew and Yiddish Travel Writing والمنشور على الموقع الالكتروني :

http://www.sefer.ru/rus/education/educational_programmes/Winter/6_Hebrew-Yiddish.pdf؛

ويطلق عليها كذلك **اللغة اليديية** كجزء من ثقافة وأدبيات اليهود الألمان. ينظر حولها بحث:

Marion Aptroot,Yiddish Language and Ashkenazic Jews : A Perspective from Culture , Language , and Literature, Genome Biology and Evolution , Vol.8 , Issue.6 , 1June2016,p.1948. والبحث منشور في المكتبة الافتراضية العلمية العراقية على الموقع الالكتروني : www.ivsl.org

(٢١) ينظر مادة **Yiddish** في الموقع الالكتروني www.en.wikipedia.com، ومادة **Ashkenazi Jews** في الموقع الالكتروني www.en.wikipedia.com

(٢٢) Yosef Levanon , The Jewish Travellers in the Twelfth Century , University of America , 1980 ,p.p ؛ (١)الراتسبوني،رحلة الربي بتاحيا الراتسبوني،ص٦١،١٧هامش press 22-23

(٢٣) الراتسبوني،رحلة الربي بتاحيا الراتسبوني،ص١٩.

(٢٤) قارن : Elkan Nathan Adler, Jewish Travellers,p.64، الراتسبوني،رحلة الربي بتاحيا الراتسبوني،ص٢١-٢٢.

(٢٥) الراتسبوني،رحلة الربي بتاحيا الراتسبوني،ص٦١،١٩هامش(٢)؛ ويهوذا الصالح بن شموئيل(ت:٦١٤هـ/ ١٢١٧م) من مدينة ريغنسبورغ في بافاريا وهو زعيم الشعر الصوفي العبري له مؤلفات منها كتاب الورع وكتاب في علم التنجيم وكتاب المجد وغيرها. للمزيد من التفاصيل راجع حوله مادة : **Judah ben Samuel of Regensburg** في الموقع الالكتروني www.en.wikipedia.com ؛ كذلك ينظر حوله بحث :

Rabbi Judah ben Samuel's Jubilee Prophecy gives the Year of the Messiah

على الموقع الالكتروني http://webcache.googleusercontent.com

(٢٦) الراتسبوني،رحلة الربي بتاحيا الراتسبوني،ص١١٨-١١٩؛ ويُشار إلى حاخامي الجمارا باسم الشّـُراح (أمورائيم). وتحليل الأمورائيم يتركـّز على إيضاح آراء وأقوال ووجهات نظر التـّنائيم (أي المعلمين وهم حاخامو المشناه). ينظر مادة **Gemara:** في الموقع الالكتروني www.en.wikipedia.com، هليفي، الحجة والدليل، ص٢٨٢هامش (٢)و(٣)؛ أما ما قصده بتاحيا برأس الأكاديمية فهو رأس الجالوت وهي تسمية آرامية (ريش جالوتا) وتعني رئيس الطائفة اليهودية في العراق وهو تمثيل سياسي ومدني لليهود ويشترط أن يكون من سلالة داؤد النبي (عليه السلام) وقد بدأ العمل به أيام الأسر البابلي ويعد رأس الجالوت من وجهة نظر السلطة الحاكمة موظف من حاشية البلاط. ينظر:علي شيت محمود الحياني،اليهود في الموصل ١٩٢١-١٩٥٢م دراسة عامة،أطروحة دكتوراه غير منشورة،كلية الآداب،جامعة الموصل،٢٠١٢،ص١٣هامش(٢)؛سائد خليل عايش،حراس التوراة السفارديم"شاس"مصادرهم وأصولهم وعلاقتهم بالصهيونية- Sephardic Torah Guards "Shas"Sources,Roots ,and Relations to Zionism-،أطروحة دكتوراه في الدراسات الإسلامية-غير منشورة-،جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا،كلية الدراسات العليا،قسم الدراسات الإسلامية،نوفمبر ٢٠١٤،ص٢٢.

(٢٧) الراتسبوني،رحلة الربي بتاحيا الراتسبوني،ص٥١-٥٣.

(٢٨) Benisch, Travels of Rabbi Petachia of Ratisbon,p.2؛وأبراهام بينيش(١٨١١-١٨٧٨م)كاتب وصحفي ولد من أبوين يهوديين في بوهيميا درس العلوم الدينية العبرية في سن مبكرة ثم عمل في الطب بعد تخرجه من جامعة فيينا في النمسا،غادر بعدها الى إنكلترا وعمل في الصحافة حتى أواخر حياته،له من المؤلفات:محاضرتان عن حياة موسى بن ميمون١٨٤٧م،ترجمة للعهد القديم نشرت مع النص العبري١٨٥١م،قواعد اللغة العبرية١٨٥٢م،كتاب لتاريخ الكتاب المقدس١٨٦٣م،وغيرها من الكتب.ينظر حوله:مادة**Abraham Benisch**في الموقع الالكتروني **www.en.wikipedia.com**؛ وحول أهمية المخطوطات العبرية التي دونت في العصور الوسطى وأماكن حفظها حالياً ينظر البحث التالي :

Ortega-Monasterio,M[a]Teresa,Spanish Biblical Hebrew Manuscipts,Hebrew Studies,Vol.45 , Issue.1 , 2004 ,P.163. والبحث منشور في المكتبة الافتراضية العلمية العراقية على الموقع الالكتروني : **www.ivsl.org**

(٢٩) J. D.Eisenstein , Ozar Massaoth-**אזצר מסעזת** ، A collection of itineraries by Jewish travelers to Palestine, Syria, Egypt and other countries, Pilgrimage to Holy Tombs and Sepulchers. With maps, notes and index. Selected and Edited by J. D. Eisenstein.(New york,J. D. Eisenstein,1926)، الكتاب باللغة العبرية وترجمته : ي.د.أيزنشتاين، كنز الرحلات – مجموعة رحلات اليهود في أرض إسرائيل،سوريا، مصر وبلاد أخرى، مشاهدات للحجاج الى قبور الأولياء والأحبار مع خرائط وملاحظات، تم ترتيب الرحلات وإعدادها وفق مخطوطات وطبعات من إصدارات مختلفة من قبل يهودا دافيد أيزنشتاين،(نيويورك،مطبعة ي.د.أيزنشتاين،١٩٢٦)،ص٤٦-٥٨. ويهوذا ديفيد أيزنشتاين(١٨٥٤-١٩٥٦م)كاتب ومؤرخ يهودي بولندي،عاش في نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية،وقام برحلات الى مصر وفلسطين،وكان عاشقاً للغة العبرية له العديد من المؤلفات منها(خلاصة القوانين اليهودية)و(مختارات من مناظرات)وهو مجموعة من مناقشات مع المسيحية،(المكتبات اليهودية)وغيرها الكثير.ينظر حوله:مادة(**Judah David Eisenstein**) في الموقع الالكتروني **www.en.wikipedia.com**

(٣٠) أشار أبراهام ياري Avraham Yaari الذي كتب مادة بتاحيا الراتسبوني ضمن (Encyclopedia of JudaicVol.16.p.16,)، الى أن رحلة بتاحيا طبعت (٢٤) مرة فمن خلال ذلك نستشف أن آخر عدد لطبعات الرحلة بلغ أربعة وعشرين طبعة دون أن يفصل لنا فيها،وأن ما وصل إلينا من تفاصيل هذه الطبعات والترجمات ما ذكرنا تفصيله في الجدول أعلاه؛ وتم تنظيم هذا الجدول وإعداده من قبل الباحث بالاعتماد على الكتب التالية

التطيلي،رحلة بنيامين التطيلي،ص١٦٧؛الراتسبوني،رحلة الربي بتاحيا الراتسبوني،ص٥٤-٥٥؛إيزنشتاين،كنز الرحلات،ص٤٨.

(٣١) في هذه النسخة أشار الدويكات أن نشر النص باللغة العبرية وبإزائه ترجمة للنص باللغة الفرنسية الى جانب مقدمة موجزة وزود النص بالحواشي والتعليقات باللغة الفرنسية وصدر في المجلة الأسيوية باريس-١٨٣١م. ونشر تحت عنوان :

Tour du Monde , ou voyager du rabbin Petachia.de Retisbonne,in Journal Asiatique,November,1831,tomeXII,pp353-413

ومن خلال التقصي عن هذه الطبعة أتضح أن الدويكات وقع في خطأ إذ أن تاريخ النشر كان في سنة ١٨٣٩م وليس ١٨٣١م، tome I وليس tome XII، والصفحات من pp350-359, وليس-pp353 413،وكذلك تبين من قراءة النص أنه نقد لنص الرحلة وليس نص الرحلة الكامل لأن عدد صفحاته لا تتجاوز(٩) صفحات.

(٣٢) ينظر: رحلة الربي بتاحيا الراتسبوني،ص٧٣-٧٤.

(٣٣) ينظر: رحلة بنيامين التطيلي،ص٢٨٧،هامش(١).

(٣٤) الراتسبوني،رحلة الربي بتاحيا الراتسبوني،ص٧٦ هامش(١)

(٣٥) الراتسبوني،رحلة الربي بتاحيا الراتسبوني،ص٧٥وهامش(٣)من نفس الصفحة،ص٧٦هامش(١)

(٣٦) قارن :محمد بن أحمد بن جبير، رحلة ابن جبير، (بيروت، دار صادر، ١٩٨٠)، ص٢١٣-٢١٤؛ شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي، معجم البلدان، (بيروت، دار صادر، ١٩٧٧) مج٥، ص٢٨٨؛ مؤيد عيدان كاطع، يوسف جرجيس ألطوني، محطات القوافل التجارية بين الموصل ونصيبين في العصور الإسلامية، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج٣، مج٤٩، بغداد، ٢٠٠٢، ص١٥٤-١٥٥.

(٣٧) الراتسبوني، رحلة الربي بتاحيا الراتسبوني، ص٧٥-٧٧.

(٣٨) ينظر: مادة (**تدفق**) في معجم المعاني :

https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/تدفق ؛ الراتسبوني، رحلة الربي بتاحيا الراتسبوني، ص٨٢.

(٣٩) ينظر: رحلة بنيامين التطيلي، ص٢٨٨وهامش (٣)من نفس الصفحة؛سعيد الديوه جي،مسجد عين يونس، مجلة سومر،ج١-٢،مج٢٢،بغداد،١٩٦٦،ص٧٥-٧٧.

(٤٠) ينظر:رحلة ابن جبير،ص٢١١-٢١٢

(٤١) وناحوم الألقوشي هو أحد أنبياء بني إسرائيل عاش في أوائل القرن السابع قبل الميلاد ولا يزال قبره مشهور في ألقوش من نواحي الموصل.ينظر: رحلة بنيامين التطيلي،ص٢٨٨-٢٨٩وهامش(١)من الصفحة الأخيرة؛بطريركية أنطاكيا وسائر المشرق للروم الارثوذوكس، القدّيس ناحوم النبي أي المعزّي، دراسة على الموقع الالكتروني :

https://www.antiochpatriarchate.org/ar/page/nahum-the-prophet/895

(٤٢) ينظر: الكتاب المقدس،سِفر ناحوم،الإصحاح الثالث،آية ١٣ ؛ Whiting.M.S ,The glory are fall of the Assyrian Empire ,Helsinki ,1995,p.81؛ بطريركية أنطاكيا وسائر المشرق للروم الارثوذوكس، القدّيس ناحوم النبي أي المعزّي،دراسة على الموقع الالكتروني:

https://www.antiochpatriarchate.org/ar/page/nahum-the-prophet/895

(٤٣)الراتسبوني،رحلة الربي بتاحيا الراتسبوني،ص٧٦وهامش(٢)من نفس الصفحة، وسدوم أحدى المدن التي كانت قائمة بالقرب من البحر الميت ينظر:ص٧٧هامش(١) من الكتاب المتقدم.

(٤٤)الراتسبوني،رحلة الربي بتاحيا الراتسبوني،ص٧٧هامش(٢)؛بطرس عبد الملك،قاموس الكتاب المقدس،(القاهرة،دار الثقافة،١٩٩٥)،ص٩٩١

(٤٥) بنيامين بن يونه التطيلي، رحلة بنيامين التطيلي،ترجمها وعلق حواشيها وكتب ملاحقها: عزرا؛ حداد، (بغداد، المطبعة الشرقية، ١٩٤٥)، ص١٢٧؛

Benjamin of Tudela ,The Travels of Rabbi Benjamin of Tudela , in Early Travels in Palestine (ED.)Thomas Wright,(London,1948),p.94 ; Asherr.A, The Itneray of Rabbi Benjamin of Tudela ,(London,1841),vol.1,p.91;

خضر ألياس جلو، اليهود في المشرق الإسلامي دراسة في التوزيع السكاني والحياة الاقتصادية للحقبة ١١-٩٢٣هـ/٦٣٢-١٥١٧م،(ط١،دمشق،صفحات للدراسات والنشر والتوزيع،٢٠١٧)،ص٥١-٥٢؛ الراتسبوني،رحلة الربي بتاحيا الراتسبوني،ص٧٧هامش(٣)-٧٨.

(٤٦) الراتسبوني، رحلة الربي بتاحيا الراتسبوني،ص٧٨-٨١.وفرق المرتلين كانوا يقومون بتأدية الصلوات في الكنائس فقط ملحنة بإيقاعات موسيقية مختلفة مقتبسة من التوراة وفي مقدمتها من المزامير ثم لاحقاً بدأ التوجه نحو تلحين مقاطع من كتب دينية أخرى أو وضعت قصائد وصلوات خاصة لمناسبات يهودية كالأعياد والمواسم. للمزيد من التفاصيل ينظر:المرتل في اليهودية على موقع مركز مدار الالكتروني منشور بتاريخ الأحد ١٣أيار/٢٠١٨ www.madarcenter.org؛ ومادي مشتقة من ماداي بن يافث الثالث، وهي اسم بلاد يحدها نهر أركسيس وبحر قزوين الى الشمال والشمال الشرقي وفرثية وهركانية وصحراء فارس من الشرق.وفارس وسوسيانة(سوسه)من الجنوب وأشور وأرمينية من الغرب وتمتاز بأرضها المرتفعة وتخترقها سلاسل جبال وأودية وكانت عاصمتها أكتبانة،وهو اسم لمملكة فارسية قديمة أيضاً.ينظر:قاموس الكتاب المقدس-دائرة المعارف الكتابية المسيحية،كتاب الكتروني على الموقع www.st-takla.org

(٤٧) التطيلي، رحلة بنيامين التطيلي، (نشرة بغداد،١٩٤٥)ملحق رقم (٣)، عزرا حداد، غاؤونية بغداد ورئاسة الجالوت في القرن الثاني عشر للميلاد ،ص٢٠٠-٢٠١؛والغاؤون أو الجاؤون (הרב הגאון حاخام قراراته مقبولة لدى يهود كثيرين وهو أعلى وأول مراتب الحاخامية. ينظر : ينظر مادة **(حاخام)** في الموقع الالكتروني www.en.wikipedia.com، ورأس المثيبة هو بمثابة الزعيم الديني لليهود ورأس الجالوت يمثل الزعيم السياسي عند اليهود.ينظر: الراتسبوني،رحلة الربي بتاحيا الراتسبوني،ص٣٦، ٨٥هامش(٢).

(٤٨) ينظر: رحلة الربي بتاحيا الراتسبوني،ص٣٩-٤٢

(٤٩)خليل السامرائي وآخرون،الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي،(الموصل،دار الكتب للطباعة والنشر،١٩٨٨)،ص٣١٠-٣١٢؛ الراتسبوني،رحلة الربي بتاحيا الراتسبوني،ص٢٦-٢٧، ٧٩هامش(١) و(٢).

(٥٠) ينظر: معجم البلدان،مج١،ص١٤٦؛ الراتسبوني،رحلة الربي بتاحيا الراتسبوني،ص٨٠هامش(١)

(٥١) ينظر:رحلة الربي بتاحيا الراتسبوني،ص٨١،هامش(١)

(٥٢)ينظر:رحلة الربي بتاحيا الراتسبوني،ص٤٠-٤١، ٨٢هامش(١)؛وهناك إشارة متأخرة نسبياً عن رحلة بتاحيا تؤكد إستمرار العمل بنظام ديوان المواريث الحشرية في الموصل،وهي تضرب ولا تقاس،جاء في كتاب الدر المكنون ضمن حوادث سنة(١١٣٣هـ/١٧٢١م)ما نصه((وفيها قدم الموصل تاجر من الهند وعنده جواهر نفيسة ونزل في الخان وتمرض فمات فبلغ ذلك الوالي مصطفى باشا فأرسل القاضي والمفتي الأعيان فجمعوا المال والجواهر وكتبوا الجميع وسلموها الى صاري مصطفى باشا فتسلم الجميع وأرسله الى الدولة ثم بلغه أن علي أفندي المفتي العمري وإسماعيل باشا وقره مصطفى بك أخذوا من الجواهر أشياء غريبة فعرض ذلك الى الدولة فأرسل السلطان أحمد يطلب منهم ذلك فصالحوه على عشرين ألف غرش)).ينظر: ياسين أفندي بن خير الله الخطيب العمري، الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون،نشر:معاوية احمد ناظم العمري،(دون مكان،مكتبة إستانبولي للطباعة والنشر،توزيع مكتبة الجيل العربي،٢٠١١)،ج٢،ص٨٨١.

(٥٣) J. Brutzkus ,Trade with Eastern Europe, 800-1200, The Economic History Review ، Vol. 13, No. 1/2 (1943), p. 35

والبحث منشور في المكتبة الافتراضية العلمية العراقية على الموقع الالكتروني : www.ivsl.org ؛ وينظر:رحلة الربي بتاحيا الراتسبوني،ص٨١-٨٢.

(٥٤) الراتسبوني،رحلة الربي بتاحيا الراتسبوني،ص٨٣-٨٤وهامش(١)من الصفحة الأخيرة.

(٥٥) ينظر:**مادة(فيل حربي) ومادة(هودج)** في الموقع الالكتروني www.en.wikipedia.com؛ محمد حسين هيكل،الصديق أبو بكر،(القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،٢٠١٢)، ص٢٤٣؛ R.E. Hoare, Determinants of Human-Elephant conflict in a land-use mosaic, Journal of Applied Ecology,1999,vol.36,issue.5,p.689

والبحث منشور في المكتبة الافتراضية العلمية العراقية على الموقع الالكتروني : www.ivsl.org

(٥٦) **مادة (أبو العباس- فيل)** في الموقع الالكتروني www.en.wikipedia.com؛ أبو الفضل محمد خليل بن علي المرادي(ت:١٢٠٥هـ/١٩٧٠م)، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر،(القاهرة،المطبعة الميرية العامرة ببولاق،تصوير دار ابن حزم والبشائر،١٣٠١هـ)،ج٤، ص٢٣٧؛ علي عبدالله محمد خضر، الفيل الذي غرق قبالة الموصل فكان نذير شؤم لصاحبه،مجلة موصليات، مركز دراسات الموصل/جامعة الموصل، العدد٢٧، آذار، ٢٠١٢، ص٧١-٧٢.

(٥٧) الراتسبوني، رحلة الربي بتاحيا الراتسبوني، ص٨٤-٨٥وهامش (١) من الصفحة الأخيرة؛ وأرثر كوستلر روائي وصحافي وناقد إنكليزي هنغاري المولد حيث ولد في بودابست لأبوين يهوديين له العديد من الكتب لعل أبرزها The Thirteenth Tribe – أي القبيلة الثالثة عشر ونشره سنة ١٩٧٦، توفي سنة ١٩٨٣ عن عمر ٧٧سنة في لندن. للمزيد من التفاصيل ينظر حوله : **مادة (Arthur Koestler)** في الموقع الالكتروني www.en.wikipedia.com؛ أرثر كوستلر، إمبراطورية الخزر وميراثها. القبيلة الثالثة عشر، ترجمة: حمدي صالح، (دمشق، لجنة الدراسات الفلسطينية، دار الجليل للطباعة والنشر،١٩٨٥)،ص٩٦.

أعلام موصليون من خلال كتابات بعض الرحالة والجغرافيين
خلال فترة القرنين ٦-٨ الهجريين

د. هدى ياسين يوسف الدباغ *

تاريخ استلام البحث ٢٠١٨/٣/٢٩

تاريخ قبول النشر ٢٠١٨/٦/٣

ملخص البحث:

ذكر العديد من الرحالة والجغرافيين العرب مدينة الموصل، وتحدثوا عنها بشئ من التفصيل، وكان من بين ما ذكروه عنها أعلام وشخصيات موصلية، لذلك سعينا في هذا البحث إلى التعرف على الأعلام الموصليين الذين وردوا في كتابات هؤلاء الرحالة والجغرافيين، وكان من بين هؤلاء الأعلام، الزهاد والعباد والصالحون، وأعلام وشخصيات من الأدباء والعلماء، فضلاً عن أعلام من الوزراء والحكام، وقد تم الاعتماد على عدد من المصادر الخاصة بالرحالة والجغرافيين. مثل كتاب (تحفة الألباب ونخبة الإعجاب) للغرناطي، وكتاب (الإشارات لمعرفة الزيارات) للهروي، وكتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموي، فضلا عن كتاب (أثار البلاد وأخبار العباد) للقزويني، وأخيرا كتاب (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)لابن بطوطة.

Mosuli Notables According to Geographers and Travellers Writings

Dr.Huda Yassen Yousif AL-Dabbagh
Mosul Studies Centre

Abstract

Many travelers and geographers indicated in their writings to the city of Mosul ,and they spoke about it in detail .they also spoke a bout many far –famed people of Mosul .Therefore, in this research wetried to study some well-known men who were mentioned in the writings of those travelers and geographers. among them were the ascetics, the worshipers,the righteous , the men of letters ,udaba, and scalars , in addition to government, ministers, and rulers .in this research we relied upon some geographers and travelers, books, such as (Tuhfat Al-Albab wa-Nukhbat Al-I,gab)(gift of secrets and selection of wonders),,by Al-Garnati, kitab (Al-Isharat ila Ma,rifat Al-Ziyara) book of indications to make known

* مدرس، قسم الدراسات الادبية والتوثيق، مركز دراسات الموصل، جامعة الموصل.

the places of visitions by al-Harawi, and (Tuhfat an-Nazzar fi Gharaib al-Amsar wa Aja,ib al-Asfar) by ibn battuta

المقدمة

ذكر العديد من الرحالة والجغرافيين العرب مدينة الموصل في كتاباتهم بعد أن زاروا المدينة، وتحدثوا عن موقعها الجغرافي المميز، ودونوا كل ما شاهدوه فيها، في مختلف الجوانب التاريخية والعمرانية والاجتماعية والاقتصادية، ووصفوا هواءها ومناخها، ومحاصيلها الزراعية وصناعاتها ومنتوجاتها، وذكر العديد منهم صفات أهل الموصل ومزاياهم التي ميزتهم عن غيرهم من سكان الأقاليم الأخرى، ولم يقتصر هؤلاء الرحالة والجغرافيون في حديثهم عن الموصل على ذكر هذه المعلومات عن مدينة الموصل، وإنما ذكروا عددا من الأعلام والشخصيات الموصلية التي عرفت واشتهرت في هذه المدينة .

لذلك سعينا في هذا البحث إلى إبراز هذه الشخصيات التي وردت من خلال كتب بعض الرحالة والجغرافيين، من هم؟ وما هي اختصاصاتهم أو توجهاتهم؟ وبماذا عرفوا؟، بغض النظر عن أسباب رحلاتهم، ونود أن نشير إلى أننا سنقتصر في هذه الدراسة على تناول بعض الرحالة والجغرافيين، وذلك لسعة الموضوع، وسنتناول في هذا البحث خمسة من الرحالة المشهورين الذين أشاروا من خلال حديثهم عن الموصل إلى أعلام موصليين وهم: أبو حامد عبد الرحيم بن سليمان الغرناطي (ت٥٦٥هـ/١١٧٠م)، في كتابه (**تحفة الألباب ونخبة ونخبة الإعجاب**)[١] وأبو الحسن علي بن أبي بكر الهروي (ت٦١١هـ/١٢١٥م) في كتابه (**الإشارات إلى معرفة الزيارات**)[٢]، وشهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت٦٢٩هـ/١٢٢٨م) في كتابه (**معجم البلدان**)[٣]، وزكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت٦٨٠هـ/١٢٨١م) في كتابه (**أثار البلاد وأخبار العباد**)[٤]، ومحمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن يوسف اللواتي المعروف بابن بطوطة (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)[٥] في كتابه (**تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**) المعروف برحلة ابن بطوطة، وقسم الموضوع إلى عدد من النقاط الرئيسة: أولا: نبذة عن حياة هؤلاء الرحالة والجغرافيين. ثانيا: ما ذكروه عن أعلام وشخصيات موصلية، ويمكن تقسيم هذا الموضوع بدوره إلى: ١- الزهاد والعباد والصالحين والمحدثين،٢- الأدباء والعلماء،٣- الحكام والوزراء.

أولا: نبذة عن حياة هؤلاء الرحالة والجغرافيين:

قبل الحديث عن ما ذكره بعض الرحالة والجغرافيين عن عدد من الأعلام والشخصيات الموصلية لابد من إعطاء نبذة موجزة عن حياتهم. ولنبدأ بأبي حامد الغرناطي، وهو محمد بن عبد الرحيم بن سليمان بن أبي الربيع بن محمد بن علي بن عبد الصمد المازني القيسي الأندلسي الغرناطي القيرواني الأصل أبو حامد، ولد في غرناطة سنة (٤٧٣هـ/١٠٨٠م)[٦] مال منذ شبابه

للإسفار، ففي سنة (٥٠٨هـ/١١١٤م) قام بأولى رحلاته إلى مصر، وسمع من علمائها، ثم عاد إلى وطنه، ولم يمكث طويلا فغادرها مرة أخرى في عام (٥١١هـ/ ١١١٧م)، ومر في رحلته بجزيرتي سردينيا وصقلية في البحر المتوسط ثم القاهرة، وفي عام (٥١٦هـ/١١٢٢م)، رحل إلى بغداد حيث أمضى أربعة أعوام، وذلك بسبب رعاية الوزير يحيى بن هبيرة[٧] الذي رفع إليه الغرناطي أحد مصنفاته، وفي سنة (٥٢٤هـ/١١٢٩م) توجه إلى إيران، أما في سنة (٥٢٥هـ/١١٣٠م) فقدعبر بحر قزوين ووصل إلى مصب نهر الفولغا ودخل بلغاريا سنة (٥٣٠هـ/١١٣٥م) وهناك توفي احد أبنائه، وبعد خمس عشرة سنة رحل إلى باشغرد (هنغاريا) حيث كان يمتلك منزلا، وتزوج ابنه حامد بسيدتين من تلك البلاد واستقر هناك بشكل دائمي. وتلى ذلك القيام بثلاث رحلات إلى خوارزم. أما الأعوام الأخيرة من حياته فقد أمضاها في بغداد سنة (٥٥٤هـ/١١٥٩م) وبالموصل (٥٥٧هـ/١١٦٢م) وتوفي بدمشق عام (٥٦٥هـ/١١٧٠م)[٨]، وقد دون أبو حامد الغرناطي كل مشاهداته في كتابه **(تحفة الألباب ونخبة الإعجاب)** وقد صنف كتابه هذا في الموصل سنة (٥٥٧هـ/١١٦١م)،عند زيارته لها[٩].

أما الهروي، وهو الشيخ الزاهد تقي الدين أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي بن محمد العلوي الموصلي، فقد ولد بالموصل سنة (٥٤٢هـ/١١٤٧)[١٠] قدم إليها والده الذي كان شيخا زاهدا من هراة[١١] فأقام فيها، واليها ينسب[١٢]، وكان خراطا[١٣]، فانتقلت هذه المهنة إلى ولده تقي الدين، وكان والد الأخير من المشايخ الصالحين الموجودين في الموصل، إذ أمضى أربعين سنة من حياته يصوم النهار ويصلي الليل حتى توفي، ودفن في مقبرة المعافى بن عمران[١٤] نشأ الهروي بالموصل، واتجه منذ صغره نحو طلب العلم، ودرس على يد شيوخ الموصل ورحل إلى عدد من البلدان ودرس على يد مشاهير علمائها في الشام ومصر[١٥]، وسمع الحديث بمكة[١٦]، كما اهتم باللغة العربية إذ كانت له خطب وقصائد شعرية، فضلا عن كونه رحالة ومؤرخا[١٧]، وكان للهروي العديد من التلاميذ ومنح إجازة علمية للعديد منهم[١٨]، كما كان للهروي العديد من المؤلفات، ومنها كتاب **(الإشارات إلى معرفة الزيارات)**[١٩] وكان السبب في تأليفه كما ذكر الهروي في مقدمته بناء على طلب رسول الخليفة العباسي الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٨٠-١٢٢٥) لغرض توثيق ما شاهده أثناء رحلاته من العجائب والأبنية والعمارات والأصنام والآثار والكتاب اقتصر على ذكر الزيارات، أما الأبنية والآثار والعجائب فلها كتاب خاص بها غير هذا، وقد جاءت هذه الموافقة بعد أن رفض الطلب نفسه من أصدقائه[٢٠]، ومن الكتب الأخرى للهروي، **(التذكرة الهروية في الحيل الحربية)**[٢١] توفي الهروي في حلب سنة (٦١١هـ/١٢١٥م) وفيها دفن في قبة مدرسته[٢٢].

والرحالة الجغرافي الآخر، هو ياقوت بن عبد الله أبو عبد الله، الرومي الجنس، الحموي، البغدادي، الملقب شهاب الدين ولد سنة (٥٧٤هـ/١١٧٨م) في بلاد الروم[٢٣]. أُسر ياقوت الحموي من بلاده صغيراً، وحمل إلى مدينة بغداد طفلا عمره خمس سنين أو ست[٢٤] واشتراه رجل تاجر من حماه يدعى عسكر الحموي، ونشأ في رعايته، وعلمه الكتابة والخط، وحبب إليه العلم[٢٥]، ولما كبر ياقوت قرأ شيئا من النحو واللغة واشتغل بالأسفار والتجارة لسيده، ثم اعتقه سيده وذلك سنة (٥٩٦هـ/١١٩٩م). فاشتغل ياقوت الحموي بالنسخ بالأجرة. واطلع وأفاد مما كان ينسخه[٢٦]، ثم عاود العمل في التجارة لدى سيده مرة أخرى بعد أن أعطاه مبلغاً من المال، وعند عودته من إحدى سفراته تلك وجد سيده قد توفي وذلك في سنة (٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، وتبقى لدى ياقوت شيئ من المال، جعله رأس ماله، وانفرد بنفسه، وسافر به وجعل بعض تجارته كتبا[٢٧]. كان لياقوت الحموي رحلة واسعة إلى عدد من المدن والبلدان، وذلك بحكم ممارسته للتجارة، فضلا عن طلب العلم[٢٨]، وقد وقعت حادثة لياقوت الحموي أدت إلى انتقاله بين عدد من المدن، ففي سنة (٦١٣هـ/١٢١٦م) توجه إلى دمشق، وعند تواجده في بعض أسواقها ناظر بعض من كان يتعصب للإمام علي (رض)، فجرى بين الطرفين كلام أدى إلى ثورة الناس عليه، فخرج من دمشق منهزماً بعد أن بلغت القضية حاكم دمشق فطلبه ولم يقدر عليه، فوصل إلى حلب خائفا ثم توجه إلى الموصل سنة (٦١٣هـ/١٢١٦م)، ثم توجه إلى اربل ومنها انتقل إلى عدد من المدن ومنها خراسان[٢٩]، ثم استوطن مدينة مرو[٣٠] مدة، وبعد ذلك خرج عنها إلى نسا[٣١] ومضى إلى خوارزم[٣٢]، وخلال تواجده في المدينة الأخيرة صادف خروج التتار وذلك سنة (٦١٦هـ/١٢١٩م)، فهرب منها، وقد قاسى ياقوت في رحلته تلك الكثير من المضايقة والتعب[٣٣]، ثم وصل إلى اربل سنة (٦١٧هـ/١٢٢٠م[٣٤])، ورحل إلى الموصل في السنة ذاتها، بعد أن عانى من صعوبة العيش وأقام بها مدة من الزمن، وخلال تواجده بالموصل التقى ياقوت الحموي بابن الشعار الموصلي (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م) صاحب كتاب **(قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان)** وعن ذلك قال ابن الشعار[٣٥]:((شاهدته بالموصل وهو كهل أشقر أحمر اللون، ازرق العينين، وكانت بينه وبين أخي صداقة وأنس تام، واقتضيته شيئاً من شعره، فأجاب إلى ذلك وجعل يماطلني ويعدني هكذا مدة من الزمن، ثم سافر إلى بلاد الشام فما عدت رأيته بعد ذلك)). ثم انتقل إلى سنجار، ورحل إلى حلب، سنة (٦٠٩هـ/١٢١٢م)، وفي سنة (٦٢٤هـ/١٢٢٧م). توجه ياقوت الحموي إلى مصر، ثم رجع إلى حلب وأقام في خان بظاهرها، وتوفي هناك في شهر رمضان سنة (٦٢٦هـ/١٢٢٨م[٣٦]). ومما يذكر أن ياقوت الحموي قد لقي في أسفاره إلى تلك المدن والبلدان العديد من العلماء والشخصيات وعن ذلك قال ابن الشعار[٣٧]: ((... لقي مشايخها [المدن والبلدان] وعلماءها

وشاهد أدباءها وفضلائها، وجالس صدورها وكبراءها، واخذ عنهم الآداب الكثيرة واستفاد منهم الفوائد الغزيرة)).ألف ياقوت الحموي العديد من المؤلفات لاسيما في مجال الأدب والجغرافية والتاريخ وغيرها. ومن أهم هذه المؤلفات كتاب **(معجم البلدان)** وكتاب **(معجم الأدباء)** وكتاب **(المشترك وضعا المختلف صعقا)** و**(معجم الشعراء)** و**(المبدأ والمآل في التاريخ)** وكتاب **(الدول)** و**(المقتضب في النسب)**[٣٨].

أما القزويني، فهو زكريا بن محمد بن محمود، ولد في بلدة قزوين جنوب بحر قزوين من أسرة عربية في سنة (٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م) واليها ينسب، رحل فترة شبابه إلى العديد من المدن والبلدان في الشام، والعراق، مثل دمشق، وواسط، والحلة التي زارها في زمن الخليفة المستعصم بالله (٦٤٠-٦٥٦هـ/١٢٤٢-١٢٥٨م) أخر الخلفاء العباسيين في بغداد، وقد تولى القزويني منصب القضاء في مدينة الحلة سنة ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م. ثم انتقل إلى القضاء بمدينة واسط سنة ٦٥٢هـ/١٢٥٤م، كما أضيف إليه التدريس في احدى المدارس هناك، واستمر في عمله هذا إلى أن توفي في سنة (٦٨٢هـ/١٢٨٣م)[٣٩]، ولم يقتصر القزويني في عمله على ممارسة القضاء والتدريس فقط، بل كانت له اهتمامات أخرى في ميداني التاريخ والجغرافية، وحظي بمكانة بارزة فيهما،وكانت له مؤلفات في هذا المجال، ولعل من أبرزها كتابه الأول الذي يحمل عنوان **(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات)**، وكتابه الثاني والذي بعنوان **(آثار البلاد وأخبار العباد)**[٤٠]. ومما تجدر الإشارة إليه أن القزويني قد ذكر في كتابه الآخر **(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات)** ما يدل على زيارته للموصل وذلك من خلال الإشارة التي أوردها عن ذلك، ففي حديثه عن حيوانات عجيبة الصور. ذكر ما نصه: ((... ومنها ما حدثني به بعض الفقهاء بالموصل...))[٤١].

وأخيرا ابن بطوطة، هو محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن يوسف اللواتي ويكنى أبا عبد الله، ولد في مدينة طنجة ونشأ بها سنة (٧٠٣هـ/١٣٠٣م)، والمعلومات عن طفولة ابن بطوطة وحياته المبكرة مجهولة، والذي نعلمه، جاء من خلال المعلومات التي قدمها ابن بطوطة نفسه، إذ أن والده كان قاضيا، وابن بطوطة أيضا تولى القضاء[٤٢] وقد رحل ابن بطوطة من بلاده إلى بلاد المشرق عام (٧٢٥هـ/١٣٢٤م) وكان عمره اثنتين وعشرين سنة، وغادر بلدته لأداء فريضة الحج وزيارة قبر الرسول (ﷺ)، وكانت بداية لرحلة طويلة بدءا من المغرب وعبر مدن العالم الإسلامي، فدخل بلاد مصر والشام والعراق، وبلاد الهند والسند والصين واليمن والقسطنطينة، ولقي الملوك والمشايخ والعلماء، واستقر عند ملك الهند، فحظي لديه وولاه القضاء، وعاد إلى بلاد المغرب ودخل الأندلس ولم يعد إلى وطنه إلا بعد أكثر من ربع قرن وعند عودة ابن بطوطة إلى المغرب الأقصى انقطع إلى

السلطان أبي عنان المريني فأقام ببلاده، وقد طلب الأخير من أبي عبد الله محمد بن محمد ابن جزيّ (٧٢٣-٧٥٧هـ/١٣٢٣-١٣٥٦م)[٤٣] أن يدون رحلات ابن بطوطة، وأملى الأخير أخبار رحلته على ابن جزيّ بمدينة فاس سنة (٧٥٦هـ/١٣٥٥م) وسماها **(تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)** وقد توفي ابن بطوطة في مدينة مراكش سنة (٧٧٩هـ/١٣٧٧م)[٤٤]

ثانيا: ما ذكروه الرحالة والجغرافيون عن الأعلام الموصليين من خلال كتاباتهم:

١ـ الزهاد والعباد والصالحين والمحدثين:

ذكر الرحالة والجغرافيون، عددا من الأعلام والشخصيات الدينية في مدينة الموصل من الشيوخ والأولياء والصالحين، وفي مقدمة هؤلاء أبو حامد الغرناطي، الذي أشار إلى احد الزهاد والصالحين، الذين التقى بهم في مدينة الموصل ونزل عنده عند زيارته لها سنة (٥٥٧هـ/١١٧٩م) وهو الشيخ معين الدين، أبو حفص عمر بن الحضر الاردبيلي، وقد أشاد أبو حامد الغرناطي به، وذكر حسن ضيافته له، وكرمه، وتواضعه. وعن ذلك قال أبو حامد الغرناطي[٤٥]: ((ولما وصلت إلى الموصل سنة سبع وخمسين ونزلت في جناب الشيخ الإمام الزاهد الماجد معين المسلمين ومحيي سنن المرسلين وخاتم النبيين، بتأليفه **(وسيلة المتعبدين)** أبي حفص عمر بن محمد، متوخيا بذلك رضا الله تعالى، وشفاعة نبيه المصطفى محمد(ﷺ) فشهدت من إكرامه وتواضعه وبره بجميع المسلمين وإطعامه للقاصدين منهم والقاطنين، وتقشفه في لباسه، على زي الصحابة والتابعين، والاقتداء بالأئمة الصالحين العاملين، كأنه ملك في زي مسكين فهو في العصر معدوم القرين،جازاه الله عني وعن جميع المؤمنين أفضل جزاء المحسنين)). وهذه الشخصية كانت من الشخصيات المهمة والمعروفة، ولها مكانتها في الموصل في تلك الفترة التاريخية، وسمى الشيخ معين الدين (ملاء) لأنه كان يملأ تنانير الأجر أو الجص وهو يتلو القران، ثم يأخذ الأجر فيتقوتُ بها، ولم يكن عليه غير القميص والعمامة ولا يملك غيرها، وكان أيضا عالما بفنون الكلام ويزوره الملوك والأعيان ويتبركون به، وكان يجهز الطعام الكثير في المولد النبوي، ويحضره سلطان الموصل وأكابر البلد.[٤٦] ومن الجدير بالذكر، أن هذا الشيخ هو الذي شجع أبا حامد الغرناطي على تدوين كل مشاهداته وأسفاره وما رآه من عجائب البلاد فألف كتابه **(تحفة الألباب)** وعن ذلك قال أبو حامد الغرناطي: ((...ولم يزل أبقاه الله، ومن المكاره وقاه يحثني كلما كنت ألقاه أن اجمع ما رأيته في الأسفار من عجائب البلاد والبحار، وما صح عندي من نقلة الأخبار الثقات الأخيار، فأجبته إلى ذلك ... ورأيت أن اسمي هذا المجموع، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب))[٤٧].

أما الهروي فقد ذكر العديد من الأولياء والزهاد والصالحين المشهورين في مدينة الموصل، وذلك من خلال الإشارة إلى قبورهم، وذكر الهروي ثماني شخصيات، اشتهرت وعرفت في مدينة الموصل وهم: الشيخ المعافى بن عمران، الشيخ السراج، والشيخ أبو بكر الهروي، الشيخ النساج، الشيخ فتح الكاري، الشيخ فتح الموصلي، الطويل، والشيخ قضيب البان الموصلي[٤٨]، وجاءت معلوماته مقتضبة جدا عن بعض تلك الشخصيات، في حين أن هناك شخصيات أخرى ذكر أسمائهم فقط، ولعل سبب هذا الاقتضاب يعود إلى أن الهروي أراد أن يسلط الضوء على الأعلام والشخصيات الموصلية الشهيرة في مدينة الموصل، دون الدخول في تفاصيل تلك الشخصيات ربما لشهرتها، ولان هدف الهروي لم يكن توثيق تلك الشخصيات أو الحديث عنها وإنما كان هدفه توثيق ما شاهده أثناء رحلاته من العجائب والأبنية والعمارات، فضلا عن أن الكتاب مقتصر على ذكر الزيارات كما اشرنا أنفا.

ومن الأعلام والشخصيات الذين ذكرهم الهروي، الشيخ الزاهد المعافى بن عمران الذي قال عنه: ((...الشيخ المعافى بن عمران من كبار الأولياء والصالحين يقال إن ابليس حمل بين يديه المصباح إلى المسجد أربعين سنة والله اعلم...))[٤٩]والمعافى بن عمران هو شيخ محدثي أهل الموصل وعالمهم وزاهدهم، ولد سنة (١٢٠هـ/٧٣٧م)سمع من العديد من الشيوخ، وسمع منه كثيرون، قام برحلة علمية شملت بلداناً عديدة، منها بغداد والكوفة والبصرة ومكة[٥٠]، ومن الجدير بالذكر أن أبو زكريا الازدي[٥١] المؤرخ الموصلي الشهير (ت٣٣٤هـ/٩٤٦م) قدم معلومات مهمة جداً ومفصلة عن المعافى بن عمران وبين مكانته ومنزلته وعلمه وورعه . أما الشخصية الثانية التي عرفت في مدينة الموصل وذكرها الهروي[٥٢] فهو الشيخ السراج المقرئ، الذي يعد احد علماء الموصل، وهو علي بن سعادة أبو الحسن الجهني الموصلي. وقد وصف بالورع، سمع من أمام الجزيرة، ورحل إلى بغداد وسمع من شيوخها. وحدث عنه جماعة، توفي في مدينة الموصل سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م[٥٣]. والشخصية الثالثة التي أشار إليها الهروي،هو والده الشيخ أبو بكر الهروي وكان من الشيوخ الزهاد وقدم إلى الموصل وأقام بها إلى أن توفي كما ذكرنا أنفا. ومن الأعلام الموصليين الذين ذكرهم الهروي[٥٤] أيضا وكانوا من الرجال الصالحين، الشيخ النساج، وهو أبو الحسن خير النساج، أصله من سامراء، إلا انه أقام ببغداد، عمّر طويلاً، وكان يتكسب من الحياكة ونسج الثياب، ولذلك عرف بالشيخ النساج، ويقع مرقده في محلة المشاهدة بالقرب من المقابر التي تحف بمرقد الإمام الباهر[٥٥]والمدفون فيها[٥٦] والشخصية الأخرى التي ورد ذكرها لدى الهروي من أهل الموصل، الشيخ فتح الكاري[٥٧]، وهو أبو نصر و الفتح بن سعيد الكاري الموصلي، الذي سار ذكره شرقاً وغرباً، والكاري نسبة إلى الكار، وهي قرية عند الموصل، ينسب إليها فتح الكاري[٥٨]، ومن الجدير بالذكر،أن الأخير عرف أيضا بالفتح الموصلي، وأهل الموصل يسمونه (الشيخ فتحي) وسميت المحلة التي دفن فيها محلة الشيخ فتحي وتوفي فيها سنة(٢٢٠هـ/٨٣٥م)[٥٩]. فضلا عن ذلك فقد ذكر الهروي[٦٠]

الفتح الموصلي، وهو أبو محمد الفتح بن محمد بن وشاح الازدي الموصلي، والذي توفي سنة (١٧٠هـ/٧٨٦م) وكان احد الزهاد والعارفين والأولياء والاجواد، ومشهورا بالعبادة والفضل، وهو الفتح الموصلي الكبير، حدث عنه الكثيرون، كان كثير البكاء من خشية الله، ملازماً قيام الليل، وعند وفاته لم يبق ملي ولا ذمي إلا وحضرها[٦١].

ومن الرحالة والجغرافيين، الذين تحدثوا عن الفتح الموصلي أيضا في كتاباتهم، القزويني الذي أورد نصاً أوضح فيه الورع والخوف الذي كان عليه الفتح الموصلي من الله ﷻ فقال:((...كان الغالب عليه الخوف والبكاء، وفي أكثر أوقاته كان باكياً، فلما توفي رئي في المنام، قيل له :ما فعل الله بكَ؟ قال: أوقفني بين يديه وقال: ما الذي أبكاك؟ فقلت: يارب الخجالة من ذنوبي ! فقال: وعزتي وجلالي أمرت ملك الذنوب أن لا يكتب عليك أربعين سنة لبكائك من هيبتي)).[٦٢]وقد أوردت المصادر التاريخية التي تحدثت عن الفتح الموصلي، العديد من الروايات التاريخية التي تبين الزهد والورع اللذين كان عليهما هذا الرجل.[٦٣]

ومن الشخصيات الذين ذكرهم الهروي[٦٤] شخصية تدعى بالطويل، وهو من كبار الأولياء كما أشار الهروي، ولم يذكر الأخير اسمه بل ذكر لقبه ربما لعدم معرفته به وذكر سبب تسميته بالطويل نقلا عن شخص قدم إلى الموصل فقال:((...لما قدم إلى الموصل ودخل من باب المدينة الغربي الذي يقال له باب الميدان، وان رأسه لمس وسط القنطرة...)).أما الشخصية الأخيرة التي ذكرها الهروي[٦٥] من أعلام الموصل فهو الشيخ حسين المعروف بقضيب البان (ت ٥٧٣هـ/١١٧٧م)، وهو عبد الله الحسين بن عيسى بن يحيى ينتهي نسبه إلى الإمام علي بن أبي طالب (رض) ولقب بقضيب البان لحسن شكله وروعة طلته وقامته، وهو عالم ومتصوف، درس الفقه والأدب، وصلى أمام الشيخ عدي بن مسافر (ت٥٥٧هـ/١١٦١م)، ثم استدعاه الشيخ عبد القادر الكيلاني (ت٥٦١هـ/ ١١٦٦م) وصلى إماماً عنده نحو عشرين سنة، قام برحلة إلى حران ثم عاد إلى الموصل، وسافر إلى الشام واتصل بشيوخها، وزار مكة لأداء فريضة الحج وعاد إلى الموصل وانقطع للتدريس فيها والإرشاد ودفن خارج السور في مقبرة باب الميدان[٦٦].

أما ياقوت الحموي[٦٧]، فقد بدأ حديثه عن الشخصيات التي تنسب إلى أهل الموصل من أهل العلم فقال:((...وأما من ينسب إلى الموصل من أهل العلم فأكثر من أن يحصوا ولكن نذكر من أعيانهم وحفاظهم ومشهورهم ما ربما احتيج إلى كثير من الوقت عند الكشف عنهم ...)) وقد أورد ياقوت الحموي، شخصيتين من أهل الموصل تميزت في مجال العلوم الدينية، وهما عبد العزيز بن حيان بن جابر بن حريث أبو القاسم الازدي الموصلي (ت٢٦١هـ/٨٧٤م)الذي تميز في مجال علم الحديث، وزودنا ياقوت الحموي بمعلومات قيمة عن هذه الشخصية، إذ ذكر رحلاته في طلب علم الحديث، ومنها رحلاته إلى مدينة دمشق، وحمص، وعسقلان، ومصر. وسمع من الكثير من الشيوخ في هذه البلدان، كما انه حدث عنهم، وروى عنه أيضا ابناه، أبو جابر زيد، وإبراهيم أبو عوانة[٦٨].

والشخصية الثانية التي ذكرها ياقوت الحموي[٦٩] والتي تميزت في مجال الحديث هو أبو يعلي احمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيس ابن هلال التميمي الموصلي الحافظ، واكتفى ياقوت الحموي بذكر اسمه، ولعل الشهرة الكبيرة لهذه الشخصية هي التي جعلت ياقوت يذكر اسمه فقط، فهو محدث الموصل المشهور، حافظ، وعالم، فقيه، ومؤرخ، ولد بالموصل سنة (٢١٠هـ/٨٢٦م)، من أسرة علمية، بدأ رحلة في طلب العلم وهو في سن الخامسة عشرة، وسمع من الكثير من الشيوخ، وحدث عنه كثيرون ومنهم، أبو زكريا يزيد بن محمد بن إياس الازدي، المؤرخ، والمحدث الموصلي الشهير (ت٣٣٤هـ/٩٤٤م)، وقد أطنب المؤرخون والمحدثون وخبراء الحديث في الإشادة به علما وخلقا، ومن الكتب التي ألفها أبو يعلي الموصلي كتاب (**المسند**) الذي نال تقدير معاصريه ومن تبعهم، ومن مؤلفاته أيضا(**مسند المغاربة**) و(**معجم شيوخه**) في ثلاثة مجلدات، توفي سنة(٣٠٧هـ/ ٩٢٠م). وعند وفاته أغلقت الموصل أبوابها، معلنة الحداد العام، وحضر جنازته جمع غفير من الناس[٧٠].

٢ـ الأدباء والعلماء:

أشار الرحالة والجغرافيون إلى عدد من الأعلام الموصليين من الشخصيات الأدبية والعلمية التي عرفت واشتهرت في مدينة الموصل، ومن هذه الشخصيات، السري بن احمد الرفاء الشاعر الموصلي، وقد ذكر ياقوت الحموي[٧١] هذه الشخصية الأدبية الموصلية في معرض حديثه عن مدينة الموصل، وأورد أبياتاً شعرية لهذا الشاعر يتشوق فيها إلى مدينة الموصل فقال:

سقى ربُىَ الموصل الفيحاءِ من بلدٍ
جُود من المزُنْ يحكي جُود أهليها
أأندُبُ العيشَ فيها أم أنوح على
أيامها أم اعزي في لياليها
أرضٌ يحنُ إليها من يُفارقها
ويحمدُ العيشَ فيها من يدانيها

والسري الرفاء، أديب وشاعر من أهل الموصل، كان في صباه يَرفو ويطرز فعرف بالرفاء، جاد شعره ومهر في الأدب، قصد سيف الدولة الحمداني (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م) بحلب، فمدحه وأقام عنده مدة ثم انتقل بعد وفاته إلى بغداد، ومدح جماعة من الوزراء والأعيان، ثم ضاقت دنياه واضطر للعمل في الوراقة (النسخ والتجليد)، وكان يجلس يورق شعره ويبيعه، ثم نسخ لغيره بالأجرة، له عدد من المؤلفات، وقد توفي السري الرفاء في بغداد وكان له العديد من المؤلفات[٧٢].

وفيما يتعلق بالأدباء والعلماء الموصليين، زودنا ياقوت الحموي بمعلومات مهمة جدا، وذلك من خلال حديثه عن شخصية عبد العزيز بن حيان بن جابر بن حريث أبي القاسم الازدي

الموصلي الذي تميز في مجال الحديث كما اشرنا أنفا، وذلك بالإشارة إلى كتاب(**طبقات محدثي أهل الموصل**) لأبي زكريا الازدي، وهذا الكتاب من الكتب المفقودة للأخير[٧٣]، ويبدو أن هذا الكتاب كان موجودا في زمن ياقوت الحموي، وانه قد اطلع عليه واستقى منه معلومات مهمة عن شخصية عبد العزيز بن حيان فقال:((وقال أبو زكرياء يزيد بن محمد بن إياس الازدي في كتاب طبقات محدثي أهل الموصل، عبد العزيز بن حيان بن جابر بن حريث المعولي، ومعولة من الازد، كان فيه فضل وصلاح، وطلب الحديث ورحل فيه وأكثر الكتابة . سمع من المواصلة والكوفيين والحرانيين والجزريين وغيرهم . وكتب بالشام،وصنف حديثه وحدث الناس عنه دهراً طويلاً. توفي سنة٢٦١هـ/٨٧٥م))[٧٤].

أما القزويني فمن الشخصيات العلمية التي تحدث عنها وذكرها في كتابه (**أثار البلاد**)، العالم الموسوعي الشهير كمال الدين بن يونس بن منعة (ت٦٣٩هـ/١٢٤١م)، والذي كان يعد من أنبغ علماء العرب والمسلمين على مر العصور، وكان متضلعاً بعلوم كثيرة في اللغة والنحو والفلسفة والرياضيات والطب وأنواع الحساب والجبر وغيرها، كما كان يُضرب به المثل بذكائه وسعة علومه[٧٥]، وقد وصفه القزويني[٧٦]بقوله:((كان جامعاً لفنون العلوم عديم النظير في زمانه، في أي فن باحثته فكأنه صاحب ذلك الفن من المنقول والمعقول)). وقد غطّت شهرة كمال الدين بن منعة في مجال الحساب والجبر على شهرته في بقية المجالات . وقد ذكرت المصادر التاريخية عدداً من الروايات التي تبيّن كفاءته ومقدرته النادرة على حل بعض المسائل الرياضية والهندسية التي كان يصعب على معظم رجال أهل العلم حلها في ذلك الزمان، حتى أن الوفود كانت تقصده من بلاد الروم والفرنج من أجل حل مسائل معينة في الرياضيات والهندسة. وقد أورد القزويني[٧٧] رواية تاريخية مفصلة ذكر فيها ذلك إذ قال:((... وأما فن الرياضيات فكان فيه منفرداً،ومن عجيب ما رأيت منه أن الفرنج في زمن الملك الكامل[٧٨] بعثوا إلى الشام مسائل أرادوا جوابها، منها طبية، وفيها حكمية، ومنها رياضية. أما الطبية والحكمية فأجاب عنها أهل الشام، والهندسة عجزوا عنها. والملك الكامل أراد أن يبعث جواب الكل، فبعثوا إلى الموصل إلى المفضل ابن عمر الأبهري، أستاذنا، وكان عديم النظير في علم الهندسة، فأشكل الجواب عليه فعرضهُ على الشيخ ابن يونس، فتفكر فيه وأجاب عنه، والمسألة هذه نريد أن نبين قوساً أخرجنا له وتراً، والوتر أخرج من الدائرة عملنا عليهِ مربعاً، تكون مساحة القوس كمساحة المربع،هذه صورتها:

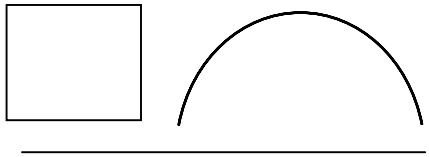

فكتب برهانه المفضل وجعله رسالة بعث بها إلى الشام إلى الملك الكامل، فلما مشيت إلى الشام رأيت فضلاء الشام يتعجبون من تلك الرسالة،ويثنون على استخراج ذلك البرهان، فإنه كان نادر الزمان))، وقد انفرد القزويني عن غيره من المؤرخين الذين تحدثوا عن كمال الدين ابن منعة برسم صورة توضيحية للمسألة الرياضية التي طُلب من كمال الدين بن منعة إيجاد حل لها.

٣ـ الحكام والوزراء:

ذكر الرحالة والجغرافيون أعلاماً موصليين عرفوا في المجال السياسي سواء من الحكام أم الوزراء، فقد أشار ابن بطوطة[٧٩] إلى حاكم الموصل، وذلك عندما زار ابن بطوطة الموصل سنة (٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م)، والتقى بحاكمها،وهو علاء الدين علي بن شمس الدين محمد الملقب بحيدر، وقد أشاد ابن بطوطة به وبكرمه، ومما قاله عنه:((...وكان أميرها حين قدومي عليها السيد الشريف الفاضل علاء الدين علي بن شمس الدين محمد الملقب بحيدر[٨٠]، وهو من الكرماء الفضلاء، أنزلني بداره، وأجرى علي الإنفاق مدة مقامي عنده، وله الصدقات والإيثار المعروف، وكان السلطان أبو سعيد يعظمه، وفوض إليه أمر هذه المدينة وما يليها ويركب في موكب عظيم من مماليكه وأجناده، ووجوه أهل المدينة وكبراؤها يأتون للسلام عليه غدواً وعشياً، وله شجاعة ومهابة...))[٨١]. ومما يذكر أن ابن ملك الموصل كان موجوداً في مدينة فاس في بلاط السلطان المريني أبي عنان وعن ذلك قال ابن بطوطة:((...وولده [أي ملك الموصل] في حين كتب هذا في حضرة فاس، مستقر الغرباء، ومأوى الفرق، ومحط رحال الوفود...)) ويبدو أن ابن ملك الموصل كان شخصا محترما يلقب بالفارس، مثقفاً، راوية للشعر، وقد التقى به المؤرخ ابن الأحمر (ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م) في مدينة فاس وسمع عنه قصيدة طويلة لصفي الدين الحلي (٧٥٢هـ/ ١٣٣٩)[٨٢]

أما القزويني، فقد ذكر من الشخصيات البارزة في مدينة الموصل في العصر الاتابكي، وزير اتابكة الموصل وهو أبو جعفر محمد علي بن أبي المنصور الملقب بجمال الدين المعروف بالجواد الأصفهاني (٥٢١-٥٥٩هـ/١١٢٧-١١٦٣م)[٨٣] ومما قاله عنه:((...كان من كرام الدنيا، أصله من أصفهان توزر من صاحب الموصل...))[٨٤]. وتجدر الملاحظة إلى أن جمال الدين الأصفهاني نشأ في أسرة اشتهرت بالأدب والعلم وتهذب في بلاط السلاطين وهذا مما جعله يبرز في مجال الأدب ويظهر كفاية ومقدرة عالية، وشغل بعض المناصب فذاعت شهرته ووصلت إلى عماد الدين زنكي[٨٥] الذي اصطحبه عندما تولى الموصل فتفتحت أمامه أبواب الشهرة، اِذ ولاهُ عماد الدين زنكي عدداً من المناطق فأبان كفاية وعفة، فكان من خواصهِ وأكبر ندمائهِ.

ومما ميّز هذا الوزير الأتابكي وأعطاهُ شهرة فائقة هي كرمه الكبير الذي كان السبب في منحه لقب الجواد[٨٦]، وقد ركزت المصادر التاريخية التي تحدثت عن الجمال الموصلي على وصف هذا الجود والكرم. ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره عماد الدين الأصفهاني[٨٧]. إذ قال :

((ولم يقنع بما جادَ به للوفود، حتى زم إلى البلاد ركائب الجود فجعل لكل بلدة من بلاد الإسلام من مواهبه راتباً، وأصبح جوده في الآفاق إلى المقيمين سائراً وللطالبين طالباً)). ووصفه ابن الأثير[٨٨] فقال: ((كان رحمه الله أسخى الناس وأكثرهم عطاءً وبذلاً للمال رحيماً بالناس متعطفاً عليهم...)). وفيما يتعلق بكرم هذا الوزير أشار القزويني[٨٩] إلى العناية الخاصة والأموال الطائلة التي أنفقها على الأماكن المقدسة (مكة والمدينة)، إذ أشار إلى اللباس الأخضر الذي ألبسه الجمال الأصفهاني للكعبة بعد أن استأذن الخليفة في ذلك فأذن له . وكذلك أشار إلى الأموال التي أنفقها على أهل مكة وحجاجها لا سيّما الفقراء منهم.وقد أكدت المصادر التاريخية على ما فعله الجمال الموصلي في مكة والمدينة والأموال الطائلة التي أنفقها عليهما وذلك من خلال توفير جميع وسائل الراحة والأمان للناس لا سيّما حجاج بيت الله الحرام. وكذلك مساعدة الفقراء والمحتاجين[٩٠]. ومن الأمور الأخرى التي ذكرها القزويني[٩١] عن الوزير الجمال الموصلي معرفته بعلم الكيمياء وأورد رواية تاريخية حول ذلك فقال:((...وكان يعطي أكثر من عبر الموصل، فعرف الناس أن عنده علم الكيمياء ...وحكي أن رجلاً صوفياً قال له: أنت الجمال الموصلي؟ قال: نعم، قال: اعطني شيئاً! قال له: سل ما شئت . فنزع طرطورة وقال: املأ هذا دراهم! فقال: اتركه عندي وارجع غداً خذهُ! فتركه عنده، فلما عادَ أعطاه إياهُ مملوءاً من الدراهم، فأخذه وخرج ثم عادَ وقال: مالي إلى هذا حاجة، وإنما أردت أن أجربك هل أنت أهل لهذه الصنعة أم لا، فعرفت أنك أهل، وأنت ما تعرف إلاّ عمل الفضة أريد أن أعلمك عمل الذهب أيضاً. فعلّمه وذهب)) وعند مراجعة عدد من المصادر التاريخية التي تحدثت عن الجمال الموصلي لم نجد ما يؤيد هذه الرواية، ولعل الكرم الكبير لهذا الوزير وكثرة عطاياه والمبالغ الطائلة من المال التي كان ينفقها في العديد من أعمال الخير كما مرَّ معنا. جعلت الناس تذكر بعض القصص والروايات التي تبيّن مدى غنى هذا الرجل وذلك بقدرته على تحويل بعض المعادن إلى ذهب أو فضة.

هذا وقد ذكر القزويني[٩٢] وفاة الجمال الموصلي فقال:((...وحكي أنهُ كان بينهُ وبين بعض الأمراء صداقة، فتعاهدوا على أن من مات منهما أولاً فصاحبه يحمله إلى البقيع، فمات الجمال الموصلي أولاً في سنة خمسين وخمسمائة، فاشترى ذلك الأمير جمالاً كثيرة، وعيّن قوماً من الصلحاء وأقواماً من المقرئين، وأموالاً للصدقة عنهُ في كل منزل، وقال: الجمال الموصلي لا يبعث إلى البقيع إلاّ هكذا ودفنته بالبقيع بهذا الاحترام)). ومن خلال النص السابق أشار القزويني إلى العهد والاتفاق الذي كان بين الجمال الموصلي وأسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين الأيوبي (٥٦٧-٥٨٩هـ/١١٧١- ١١٩٣م) على أن من مات منهم قبل صاحبه يحمله إلى المدينة ليدفن فيها . وقد توفي الجمال الموصلي قبل صاحبه أسد الدين شيركوه

فتكفل الأخير بعملية نقل الوزير جمال الدين من مدينة الموصل إلى المدينة المنورة ومكة المكرمة حيث طافوا به حول الكعبة ثم صعدوا به إلى جبل عرفات وطافوا به مراراُ ثم حمل إلى مدينة الرسول ﷺ ودفن بالبقيع بعد أن ادخل المدينة وطيف بهِ حول حجرة الرسول ﷺ مراراً [٩٣].

الخاتمة

من خلال هذا البحث توصلنا إلى النتائج الآتية:

١-هناك العديد من الرحالة والجغرافيين الذين تحدثوا عن مدينة الموصل بشكل عام، ومن خلال حديثهم عنها ذكروا الأعلام والشخصيات الموصلية وذلك من خلال كتاباتهم .

٢- الأعلام والشخصيات الموصلية الواردة من خلال كتابات هؤلاء الرحالة والجغرافين كانت لأعلام وشخصيات دينية، من الزهاد والعباد والصالحين والمحدثين، فضلا عن شخصيات علمية وأدبية، وشخصيات من الحكام والوزراء .

٣- ذكر أبو حامد الغرناطي، شخصية واحدة عرفت واشتهرت في مدينة الموصل وهو الشيخ معين الدين، أبو حفص عمر بن الحضر الاردبيلي، الذي كان من العباد والزهاد الصالحين. وأورد الهروي، ثماني شخصيات موصلية من الزهاد والعباد والصالحين وهم: الشيخ المعافى بن عمران، الشيخ السراج، والشيخ أبو بكر الهروي، الشيخ النساج، الشيخ فتح الكاري، الشيخ فتح الموصلي، قبر الطويل، والشيخ قضيب البان الموصلي. أما ياقوت الحموي، فلكثرة من اشتهر بالعلم من أهل الموصل كما أشار هو، اقتصر على ذكر ثلاث شخصيات شهيرة، تميز اثنان منها في مجال الحديث، وهما عبد العزيز بن حيان بن جابر بن حريث أبو القاسم الازدي، والشخصية الثانية، هو أبو يعلي الموصلي، أما الشخصية الثالثة والأخيرة، التي ذكرها ياقوت الحموي، فكانت شخصية أدبية، وهو الشاعر والأديب الموصلي المعروف السري الرفاء. والقزويني، ذكر ثلاث شخصيات من أهل الموصل، وهما الشيخ الزاهد الفتح الموصلي والذي ذكره الهروي أيضا، وكذلك شخصية العالم الموسوعي الشهير كمال الدين بن يونس بن منعة، فضلا عن شخصية وزير اتابكة الموصل، أبي جعفر محمد بن علي بن أبي منصور الملقب بجمال الدين المعروف بالجواد الأصفهاني.أما ابن بطوطة فقد ذكر شخصية سياسية من أهل الموصل، وهو حاكمها علاء الدين علي بن شمس الدين الملقب بحيدر والتقى ابن بطوطة بالأخير وأشاد به وبفضله.

الهوامش:

(١) ينظر:(المغرب، دار الأفاق الجديدة، ١٩٩٣)، ص٣١.

(٢) تحقيق: جانين سورديل طومين(بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٥٣) ص٧٠-٧١ .

(٣) ينظر:(بيروت، دار صادر للطباعة والنشر،١٩٥٧) مج٥/٢٢٤-٢٢٥ .

(٤) بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر،١٩٦٠) ص٤٦١.

(٥) ينظر(بيروت، دار الكتاب اللبناني، د.ت . القاهرة، دار الكتاب المصري، د.ت)١٥٧-١٥٨.

(٦) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات،(بيروت، دار صادر،١٩٧٢) ج١/٣٩٦

(٧) يحيى بن هبيرة : بن محمد بن هبيرة الشيباني، أبو المظفر، من كبار وزراء الدولة العباسية، ولد سنة ٤٩٩هـ في قرية دجيل من أعمال العراق، ودخل بغداد وتلقى العلم، واتصل بالمقتفي لأمر الله فولاه بعض الأعمال قبل أن يستوزره سنة ٥٤٤ه، واستمر في منصبه حتى وفاته سنة٥٦٠هـ وكان عالما بالفقه والأدب، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد المعروف بابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان(بيروت، دار صادر،١٩٦٨)ج٦/٢٣٠-٢٤٤.

(٨) الصفدي، الوافي بالوفيات،ج١/٣٩٦؛ الغرناطي، تحفة الألباب، مقدمة المحقق، ص٧ -٨؛ مصطفى الشهابي، الجغرافيون العرب(مصر، دار المعارف، ١٩٦٢)،ص٦٧؛ اغناطيوس يوليا نوفتش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله عن الروسية :صلاح الدين عثمان هاشم، ط٢(بيروت، دار الغرب الإسلامي،١٩٨٧) ص٣٢٦.

(٩) الغرناطي، تحفة الألباب، ص٩.

(١٠) جمال الدين أبو حامد محمد بن علي المحمودي المعروف بابن الصابوني، تكملة أكمال الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب، تحقيق: مصطفى جواد(بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٧) ص٢٠٥؛ شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام حوادث ٦١١-٦٢٠هـ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط٢(بيروت، دار الكتاب العربي، ٢٠٠١) ص٨١-٨٢؛ إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين وأسماء المؤلفين وأثار المصنفين، ط٣، (طهران، المكتبة الإسلامية،١٩٦٧) مج١/٧٠٥؛ كمال الدين أبو البركات المبارك بن أبي بكر المعروف بابن الشعار، قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان المشهور بـ عقود الجمان في شعراء هذا الزمان، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، ط١(بيروت، دار الكتب العلمية،٢٠٠٥) مج٤/ج٥/٣١-٣٣.

(١١) هراة: مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان، وهي من أعظم وأفخم المدن،فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة. شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، (بيروت، دار صادر، ١٩٥٧) مج٥/٣٩٦.

(١٢) شرف الدين أبو البركات المبارك بن احمد ابن المستوفي، تاريخ اربل المسمى بنباهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل، تحقيق: سامي الصفار(بغداد، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠) ق١/١٥١.

(١٣) خراط: هو الذي يقوم بصقل الورق أو الخشب.أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ط٣ (بيروت، دار صادر، ١٩٩٤)ج١/٨١٤.

(١٤) ابن المستوفي، تاريخ اربل، ق١/١٥١؛ ابن الشعار، قلائد الجمان، مج٤/ج٥/٣١-٣٣؛ بسام الجلبي، موسوعة أعلام الموصل،(الموصل، مطبعة كلية الحدباء، ٢٠٠٤) مج١/ ٨٧.

(١٥) ناظم رشيد، أبو الحسن الهروي الموصلي رحالة في القرن السادس للهجرة، مجلة الجامعة، جامعة الموصل، ع٢، ١٩٧٩، ص٧٩.

(١٦) ابن الصابوني، تكملة إكمال الإكمال، ص٢٠٦.

(١٧) ابن الشعار، قلائد الجمان، مج٤/ج٥/٣١-٣٣؛ الزركلي، الإعلام، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٣) ج٥/ ٧٣.

(١٨) عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، التكملة لوفيات النقلة، تحقيق: بشار عواد معروف (النجف الاشرف، مطبعة الآداب، ١٩٧١م) ج٤/١٣٢-١٣٣؛ ابن الصابوني، تكملة الإكمال، ص ٢٠٥-٢٠٦.

(١٩) ابن الشعار، قلائد الجمان، مج٤/ج٥/٣١.

(٢٠) الهروي، الإشارات، ص١؛ رشيد، أبو الحسن الهروي، مجلة الجامعة، ع٢/٨١.

(٢١) البغدادي، هدية العارفين، مج١/ ٧٠٥.

(٢٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٣/٣٤٦-٣٤٧.

(٢٣) جمال الدين ابي الحسن علي بن يوسف القفطي، أنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١(القاهرة، دار الفكر العربي، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٨٦)ج٤/ ٨٠؛ ابن الشعار، قلائد الجمان،ج٩/ ١٩٧ ؛ ابن خلكان،وفيات الأعيان، ج٦/ ١٢٧.

(٢٤) ابن الشعار، قلائد الجمان، ج٩/ ١٩٧؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦/ ١٢٧.

(٢٥) ابن الشعار، قلائد الجمان، ج٩/ ١٩٧

(٢٦) القفطي، أنباه الرواة، ج٤/ ٨٠- ٨١ ؛ابن الشعار، قلائد الجمان، ج٩/ ١٩٧؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦/ ١٢٧.

(٢٧) القفطي، أنباه الرواة،ج٤/ ٨٠-٨١؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦/ ١٢٧

(٢٨) ابن الشعار، قلائد الجمان، ج٩/١٩٧.

(٢٩) خراسان: بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق وأخر حدودها مما يلي الهند وطخارستان وغزنة وسجستان، وتشمل على أمهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومرو، وهي كانت قصبتها ومن الناس من يدخل أعمال خوارزم فيها. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢/٣٥٠.

(٣٠) مرو: اشهر مدن خراسان وقصبتها مرو تعني الحجارة البيضاء التي يقدح بها. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٥/ ١١٢.

(٣١) نسا: مدينة في خراسان بينها وبين مرو خمسة أيام وبين نيسابور ستة أيام، وهي مدينة وبئة جدا كما أشار ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٥/٢٨٢.

(٣٢) خوارزم: تقع في الإقليم السادس وخوارزم ليس اسما للمدينة إنما اسم للناحية بجملتها، وأما القصبة العظمى فيقال لها الجرجانية . ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢/ ٣٩٥.

(٣٣) القفطي، أنباه الرواة، ج٤/ ٨٢؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦/ ١٢٨.

(34) A.m.n.e.Elahie&c.e.Bosworth,The life and works of Yaqut Al-Hamawi, International Journal of middle east studies ,volume 1,issue: 2,1970,p2.

(٣٥) البحث نقلا عن المكتبة الافتراضية العلمية العراقية على الموقع الالكتروني: www.ivsl.org

(٣٦) ابن المستوفي، تاريخ اربل، ق١/٣٢١، ٣٢٣.

(٣٧) ينظر: قلائد الجمان، ج٩/ ١٩٧.

(٣٨) القفطي، أنباه الرواة، ج٤/٨٠-٨١- ٨٢ ؛ كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص٣٦٥.

(٣٩) ينظر: قلائد الجمان،ج٩/ ١٩٧.

(٤٠) المصدر نفسه، ج٩/ ١٩٧؛ ابن المستوفي، تاريخ اربل، ق١/٣٢٢.

(٤١) كمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق بن الفوطي البغدادي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، حققه وعلق عليه: مصطفى جواد (بغداد، مطبعة الفرات ١٩٥٥) ص٤٣٣؛ الشهابي، الجغرافيون العرب، ص٨٥؛ كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص٣٨٩ ومابعدها.

(٤٢) المصدر نفسه، ص ٣٨٩.

(٤٣) زكريا بن محمد بن محمود القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، قدم له وحققه: فاروق سعد، ط٣ (بيروت، دار الأفاق الجديدة، ١٩٧٨) ص٤٩٣-٤٩٤ .

(٤٤) أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن احمد التلمساني المعروف بابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، شرحه وضبطه: يوسف علي الطويل(بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣) مج٣/٢٠٦؛ الشهابي، الجغرافيون العرب، ص٩١.

(٤٥) ابن جزيّ: برز في الأدب والشعر وإتقان الخط، نشأ بغرناطة في كنف والده، وعرف بالذهن الثاقب، وسعة الحفظ، وتميز في الكتابة، وانتقل إلى المغرب، فأقام بفاس وحظي عند ملكها أبي عنان المريني، وتوفي فيها. (ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢/١٦٢-١٦٤)

(٤٦) ابن الخطيب، الإحاطة، ج٣/٢٠٦؛ جزيل عبد الجبار الجومرد، رحلة ابن بطوطة إلى الموصل بين الحقيقة والتأليف، بحث منشور ضمن بحوث ندوة الموصل في مدونات الرحالة العرب والأجانب، مركز دراسات الموصل ١٩٩٧،ص٤٧-٥٠؛ الزركلي، الأعلام، مج٦/ ٢٣٥-٢٣٦.

(٤٧) ينظر: الغرناطي، تحفة الألباب، ص٣١.

(٤٨) للمزيد عن هذه الشخصية ينظر: شمس الدين ابي المظفر يوسف بن قزاوغلي المعروف بسبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ط٢، (حيدر أباد الدكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥١م) ج٨/٢٤٩، ٣١٠؛ علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل، تحقيق: عبد القادر احمد طليمات (القاهرة، دار الكتب الحديثة، بغداد، مكتبة المثنى، د.ت)ص٢٣١، ٢٧٩، ٣٠٩.

(٤٩) الغرناطي، تحفة الألباب، ص٣١.

(٥٠) الهروي، الإشارات، ص٧٠-٧١.

(٥١) المصدر نفسه، ص٧٠.

(٥٢) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١(بيروت، دار الكتاب العربي،١٩٨٧) ج١٢/٤٠٢؛ الجلبي، موسوعة أعلام الموصل،ج٢/٢٥٩.

(٥٣) للمزيد عن المعافى بن عمران ينظر: أبي زكريا يزيد بن محمد بن إياس بن القاسم الازدي، تاريخ الموصل، تحقيق:علي حبيبة (القاهرة، دار التحرير للطبع والنشر،١٩٦٧) ص٨١، ١١١، ١١٣، ١٧٣، ١٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٨، ٣١٢، ٣١٦، ٣٦٣.

(٥٤) ينظر: الإشارات، ص٧٠

(٥٥) تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح الحلو، ط١ (القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي،١٩٧٠) مج٤/٢٧٨.

(٥٦) ينظر: الإشارات، ص٧٠-٧١.

(٥٧) الإمام الباهر: بن جعفر الصادق، يرتقي نسبه إلى الإمام علي بن أبي طالب (رض)؛ ينظر: سعيد الديوه جي، تاريخ الموصل (بغداد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٢)ج١/٣٦٢.

(٥٨) محمد أمين بن خير الله الخطيب العمري، منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدباء، تحقيق: سعيد الديوجي (الموصل، مطبعة الجمهورية، ١٩٦٨) ج٢/٩١-٩٢.

(٥٩) ينظر: الإشارات، ص٧٠-٧١. للمزيد عن الفتح الكاري ينظر: احمد إسماعيل عبد الله، الشيخ الزاهد الفتح بن سعيد الكاري الموصلي (ت ٢٢٠هـ/٨٣٥م) حياته وزهده، مجلة أوراق موصلية، جامعة الموصل، مركز دراسات الموصل، ع٥، ٢٠٠٤.

(٦٠) أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، الأنساب والقبائل، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، ط١(بيروت، دار الجنان للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٨٨)ج١١/ ٢١.

(٦١) ابو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تصحيح : محمد سعيد العرفي (بيروت، دار الكتاب العربي، د. ت)ج١٢/٣٨١-٣٨٣.

(٦٢) ينظر: الإشارات، ص٧١.

(٦٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٠/٣٩١؛ احمد الصوفي، خطط الموصل (الموصل، مطبعة ام الربيعين، ١٩٥٣)ج١/٦٦.

(٦٤) القزويني، أثار البلاد وأخبار العباد، ص٤٦٣.

(٦٥) للمزيد عن الفتح الموصلي ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام،ج١٠/٣٩١؛ جمال الدين أبي المحاسن الاتابكي المعروف بابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة(مصر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦٣) ج٥/١٢٠.

(٦٦) ينظر:الإشارات، ص ٧١

(٦٧) المصدر نفسه،ص٧١.

(٦٨) الخطيب العمري، منهل الأولياء، ص١١٦-١٢٨؛ احمد الصوفي، خطط الموصل، ج١/٥٨؛ الجلبي، موسوعة أعلام الموصل، ج١/٢٢٧-٢٢٨؛ الديوه جي، تاريخ الموصل، ج١/٤٥٣.

(٦٩) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٥/٢٢٥ .

(٧٠) لمعرفة المزيد ينظر: المصدر نفسه، مج٥/٢٢٥ .

(٧١) المصدر نفسه، مج٥/٢٢٥

(٧٢) الجلبي، موسوعة أعلام الموصل، مج١/١١٢؛ الديوه جي، تاريخ الموصل، ج١/٢١٣.

(٧٣) معجم البلدان، مج٥/ ٢٢٥

(٧٤) الزركلي، الأعلام، ج٦/ ٢٠٧.

(٧٥) للمزيد من التفاصيل حول هذا الكتاب ينظر: ميسون ذنون العبايجي، سبل انتقال مادة طبقات محدثي أهل الموصل لأبي زكريا الازدي (ت٣٣٤هـ/٩٤٤م) إلى المؤرخين اللاحقين، مجلة أبحاث كلية التربية، كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، مج٦،ع٢، ق٥، ٢٠٠٧، ص٢٩٣.

(٧٦) معجم البلدان، مج٥/ ٢٢٥

(٧٧) شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد معروف ومحيي هلال السرحان،ط١١(بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١) ص٣٣٧؛ الديوه جي، تاريخ الموصل، ج١ /٣٨١.

(٧٨) أثار البلاد وأخبار العباد، ص٤٦٢.

(٧٩) المصدر نفسه، ص٤٦٢.

(٨٠) الملك الكامل: محمد بن أبي بكر محمد بن أيوب بن شاذي، السلطان الملك الكامل ابن العادل، ولد سنة (٧٥٣هـ/١٣٥٢م) وهو اكبر إخوته، وكان شجاعا مهيبا ذكيا فطنا، يحب العلماء وسماع مناظراتهم، احمد بن إبراهيم الحنبلي، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق: ناظم رشيد، (بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٩) ص٢٩٩، ٣٠٠ .

(٨١) ينظر:رحلة ابن بطوطة، ص١٨٥.

(٨٢) أشار الجومرد، رحلة ابن بطوطة، ص٥٢، إن اسم حاكم الموصل ورد خطا في رحلة ابن بطوطة حيث أن ما رواه هو اسم الابن علي، أما الأب فهو محمد المدعو بحيدرة [وليس حيدر] ابن الأمير ملك الموصل حسن ابن الشريف النقيب عبد الله الحسني .

(٨٣) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص١٨٥-١٨٦.

(٨٤) الجومرد، رحلة ابن بطوطة، ص٥٢.

(٨٥) لمعرفة المزيد من التفاصيل ينظر: عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، اختصار: الشيخ الإمام الفتح بن علي بن محمد البنداري(بيروت، دار الأفاق الجديدة، د.ت)،ص١٩٥؛ ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص٨٤-٨٥-٨٦-١٢٧؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٥/ ١٤٣-١٤٤.

(٨٦) القزويني، أثار البلاد وأخبار العباد، ص٤٦٢.

(٨٧) عماد الدين زنكي: وهو احد أمراء الدولة السلجوقية، تولى حكم الموصل في سنة (٥٢١هـ/١١٢٧م) وقتل في سنة (٥٤١هـ/١١٤٦م) وهو يحاصر قلعة جعبر. للمزيد ينظر: ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص٢٤؛ عماد الدين خليل، عماد الدين زنكي (موصل، المطبعة: بلا،١٩٨٥)، ٢٤ .

(٨٨) تاريخ دولة آل سلجوق، ص١٩٥؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٥/ ١٤٣-١٤٤

(٨٩) تاريخ دولة آل سلجوق، ص١٩٥.

(٩٠) التاريخ الباهر، ص١٢٨.

(٩١) أثار البلاد وأخبار العباد، ص٤٦٢.

(٩٢) ينظر: ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص١٢٨؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٥/ ١٤٣-١٤٤.

(٩٣) أثار البلاد وأخبار العباد، ص٤٦٢.

(٩٤) المصدر نفسه، ص ٤٦٢.

(٩٥) ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص١٢٧؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٥/١٤٥؛ وينظر: علي سلطان عباس، وزير اتابكة الموصل جمال الدين الأصفهاني (٥٢١-٥٥٩هـ/١١٢٧-١١٦٣م)، مجلة دراسات موصلية، جامعة الموصل، مركز دراسات الموصل، ع١١، ٢٠٠٦، ص٣٣ وما بعدها.

عز الدين مسعود الثاني امير الموصل
(٦٠٧_٦١٥هـ/١٢١٠_١٢١٨م)

د. صهيب حازم الغضنفري *

تاريخ استلام البحث ٢٠١٨/٤/١٥
تاريخ قبول النشر ٢٠١٨/٥/٢٧

ملخص البحث :

يتناول البحث سيرة وحكم أمير من أمراء الموصل الزنكيين الذين حكموا المدينة في السنوات الأخيرة من عمر الدولة الزنكية التي قامت في مدينة الموصل وحلب فيما بعد وما شهدته تلك السنوات من تغيرات في هيكل الدولة ونظامها وأثر ذلك على طبيعة حكم الامير القاهرعز الدين مسعود الثاني، وعلى علاقات الدولة الزنكية في عهده، اِذ شهد عهده تغيرات جوهرية ومصيرية في كيان ومستقبل الدولة التي حكمها آبائه وأجداده، فقد شهدت الدولة الزنكية ضعفا لم يشهد له مثيل،مما جعلها مطمعا لبدر الدين لؤلؤ الذي أصبح وصيا على الأمير عز الدين ومن بعده ثم انهائه للدولة الزنكية والاستيلاء على حكم الموصل لحين غزو المغول.

Izz Al-Din Masoud II Prince of Mosul (607-615 AH /1210-1218 BC)

Lec. DR. Suhaib Hazim Alghadhanfary

Abstract :

The research deals with the biography and rule of an prince of Mosul's Al-Zankiyyah princes who ruled the city in the late years of Al-Zankiyyah state, which took place in the city of Mosul and the changes during these years in the structure and system of the state and the impact on the nature of the reign of Prince Izz al-Din Massoud II, and on the relations of Al-Zankiyyah state in his reign . as his reign witnessed fundamental and fateful changes in the entity and future of the state ruled by his fathers and his ancestors .

المقدمة :

لقد شهد العصر الاسلامي وتحديدا عصر الخلافة العباسية ظهور دول وامارات أسهم البعض منها في نصرة الدين الاسلامي والخلافة العباسية سواء عن طريق الولاء لها أو من خلال الجهاد ضد من عاصرها من اعداء الخلافة العباسية من خلال نشاطه العسكري، وولائه لها، والبعض الآخر كان له موقف سلبي اذ ان هدفه هو الانفصال عن الخلافة العباسية وعدم

* مدرس، مركز الدراسات الاقليمية، جامعة الموصل.

الاعتراف بها، وقد كان لظهور تلك الدول ظروف واساليب متعددة،أما عن طريق التمردوالعصيان وهذا على الأغلب نتيجة لضعف الدولة، أو نتيجة توسع رقعة الدولة العربية الاسلامية، فلا يكون هذا انفصالا بل يتصف بنوع من الاستقلال في الإدارة، إلّا أن الولاء للخليفة موجود، واحيانا قد يكون ظهور الدولة نتيجة اجتياح لاراضي الخلافة العباسية، ولعلّ السبب في ذلك يعود الى ضعف الخليفة العباسي، ومن الامثلة على ذلك النفوذ التركي خلال الاعوام (٢٤٧-٣٣٤هـ/٨٦١-٩٤٥م)، ومن بعده التسلط البويهي خلال الاعوام (٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٥-١٠٥٥م)، ومن ثم السيطرة السلجوقية خلال الأعوام (٤٤٧-٥٨٩هـ/ ١٠٥٥-١١٩٣م)، التي تطورت الى الدولة السلجوقيـــة فأصبح لها سلاطين يحكمون الى جانب الخليفة العباسي، واحيانـــا ينفرد السلطان السلجوقي برأيه دون الرجوع الى الخليفة، على الرغم من أن للدولة السلجوقية مواقف أيجابية لا يمكن نكرانها في نصرة الاسلام.

إلاّ أن مايهمنا هو قيام الدولة الزنكية التي كان قيامها اشبه بالانشطار عن الدولة السلجوقية نتيجة الظرف السياسي الذي كان سائدا في العصور العباسية المتأخرة، مما ادى الى كثرة الكيانات التي ظهرت في تلك العصور، وقد تناولت الدراسات امراء الدولة الزنكية لكنها اهتمت بالامراء الاوائل منهم، اما هذا البحث فقد اختاراميرا زنكيا ظهر في السنوات الاخيرة من عمر الدولة الزنكية، ولـــم تذكره الدراسات المختصة بتلك الحقبة، ولم يتوفر عنه من المعلومات الا النادر جدا، لذلك فقد ارتأينا البحث فيه بما تيسر لنا من معلومات عنه وهو الأمير الزنكي القاهر الذي لم تذكر المصادر الاولية ولا المراجع الحديثة عنه الّا القليل، وإن ذُكِر لم يُذكر إلا اسمه، وإنّه أبن الامير نورالدين ارسلان، إلّا أن هناك صعوبات واجهتنا في الحصول على معلومات تخص سيرته، أو أعماله، ولم نجد عنه من معلومات سوى القليل، إلاّ أن السنوات القليلة التي نُصِّبَ فيها شكلت مرحلة انتقالية من الحكم الزنكي للموصل الى عهد آخَر وهـــو تسلط بدر الدين لؤلـــؤعلى حكم الموصل.

وقد كان الهدف من هذا البحث هو التوضيح بأن الحقبة التي بدأت بعز الدين مسعود الثاني هي حقبة الهوان وبدأ انتهاء الدولة الزنكية، سائلين الله (سبحانه وتعالى) أن يوفقنا في ذلك وهو ولي التوفيـــق.

وقد اشتمل البحث على تمهيد، ومحاور عدة، تناول التمهيد توضيح للصورة التي قامت بها الدولة الزنكية وما سبق وصول عز الدين الثاني الى السلطة، وتناول المحور الاول سيرة الاميرعز الدين الثاني، وتناول المحور الثاني البعد السياسي لتولي الامير عز الدين منصب امير الموصل، بينما تناول المحور الثالث علاقة الامير بالجهات السياسية المتنفذة والتي عاصرت حكمه، وفي النهاية الخاتمة والتي تضمنت ما توصل اليه البحث من نتائج.

التمهيد :

لقد قامت الدولة الزنكية في العام (٥٢١هـ/١١٢٧م)، وقد ظهرت في بدايتها كأتابكية، لأنها ضمت عدداً من الأتابكة، والأتابكة جمع اتابك، والأتابك كلمة تتكون من مقطعين (اتا- بك) وتعني (الاب الامير) وهم المسؤولون عن تربية الامراء السلاجقة وعندما يوكل الى الشخص تربية الأمير،فإن ذلك يرجع الى الثقة الكبيرة التي يكنها السلطان السلجوقي للرجل الذي جعله اتابكا لإبنه[١]، ونتيجة للدور الايجابي الذي أظهره الزنكيون في مجال السياسة والحرب[٢]، فقد تمكنوا من إقامة دولة كانت تمثل صفحة مشرقة في التاريخ الاسلامي، ومؤسس الدولة الزنكية هو عماد الدين زنكي بن اق سنقر بن عبد الله الترغان[٣]، وقد تسلم منصبه أميراً للموصل في العام (٥٢١هـ/١١٢٧م) بموافقة من السلطان السلجوقي محمود بن محمد بن ملكشاه، فهذه الموافقة هي شرط مهم لتسلم الامير الزنكي لمنصبه، إذ أن علاقة الدولة الزنكية كانت أقرب الى السلطنة السلجوقية منها الى الخلافة العباسية، إذ أن امير الموصل يجب أن يبدي طاعته للسلطان السلجوقي[٤]، فضلا عن أن والد عماد الدين وهو اق سنقر على علاقة طيبة بالسلطان السلجوقي ملكشاه، وكان قد جعله اميرا على حلب ولقبه بقسيم الدولة في العام (٤٧٩هـ /١٠٨٦ م)[٥]، لكن ليس هذا هوالسبب الوحيد في اختيار زنكي أميراً للموصل، بل ان خيرة رجالات الموصل اقترحوا أن يكون هو أميرا للموصل ومنهم القاضي بهاء الدين علي بن الشهرزوري، وصلاح الدين الياغيسياني اللذان شغلا منصب أمير حاجب في الموصل هما اللذان رشّحا الامير زنكي عند السلطان في بغداد، وكان ذلك في عهد الخليفة العباسي ابو المنصور المسترشد بالله (٥١٢-٥٢٩هـ/١١١٨-١١٣٤م)[٦]. وفي العام التالي (٥٢٢هـ/١١٢٨م) تمكن الأمير زنكي من ضم حلب الى دولته اضافة الى مابينهما من مدن فأصبح اميراً للموصل وحلب، فتولى إدارتهما وحمايتهما، فضلا عن اتساع نطاق جهاده ضد الصليبيين إذ كانوا قد احتلوا مصر والشام[٧]. وقد استمر حكم الموصل وحلب بين أبناء وأحفاد عماد الدين زنكي عن طريق الوراثة، فبعد استشهاده أصبح ابنه سيف الدين غازي اميرا للموصل للاعوام (٥٤١-٥٤٤ هـ/١١٤٦-١١٤٩م) وابنه الثاني نورالدين محمود أميرلحلب للاعوام (٥٤١-٥٦٩هـ/١١٤٦-١١٧٤م)[٨]، وبعد وفاة سيف الدين غازي أصبح أخوه قطب الدين مودود بن عماد الدين أميراً للموصل خلال الاعوام (٥٤٤هـ-٥٦٥هـ/١١٤٩-١١٧٠)[٩]، وبعد وفاته اصبح ابنه سيف الدين الثاني اميرا على الموصل خلال الاعوام (٥٦٥-٥٧٦هـ/١١٧٠-١١٨٠م)[١٠]، وبعد وفاته أصبح اخيه عز الدين مسعود اميرا للموصل خلال الاعوام (٥٧٦-٥٨٩هـ/١١٨٠- ١١٩٣م)[١١]، اما نور الدين محمود امير حلب فقد تمكن من ضم دمشق ايضا الى حكمه في العام (٥٤٩هـ)، وبعد وفاة نورالدين محمود في

العام (٥٦٩هـ/١١٧٤م) اصبح ابنه (الصالح أسماعيل) اميرا لحلب خلال الاعوام (٥٦٩-٥٧٧ هـ/١١٧٤-١١٨١م)[١٢]، وكان صغير السن وفي عهده بدأ النفوذ الايوبي يمتد الى الشام[١٣]. وبعد وفاة الصالح اسماعيل في العام (٥٧٧هـ/١١٨١م) عُيِّن عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود أمير الموصل اميراً لحلب ايضا بتوصية من الملك الصالح قبل وفاته لكفاءته، وفي الوقت نفسه استُبعِدَ اخيه عماد الدين الثاني بن قطب الدين مودود، لأنه لا يملك كفاءة إخوته أو أعمامه أو جده[١٤] وكان عماد الدين الثاني قد ساوم اخوه عز الدين بأن يتنازل له عن حلب مقابل سنجار التي تحكم من قبله، وفي حالة عدم قبول عز الدين بالمساومة فأن عماد الدين هدد بأن يتعاون مع صلاح الدين الايوبي[١٥] مؤسس الدولة الايوبية لاحقا، إذ كان صلاح الدين الايوبي انذاك في نزاع وتنافس مع الزنكيين فاضطرعز الدين الى الموافقة فأصبح عماد الدين بن قطب الدين اميرا لحلب في العام (٥٧٨هـ/١١٨٢م)[١٦]، لكنه لم يحكمها سوى أقل من عام واحد ثم تنازل عنها لصلاح الدين الايوبي[١٧]، وبذلك خسرت الدولة الزنكية املاكها في الشام ولم يبقَ لها سوى الموصل وسنجار منذ العام (٥٧٩هـ /١١٨٣م)، في حين كان أخوه معز الدين سنجر شاه بن سيف الدين غازي الأول اميراً لجزيرة ابن عمر حتى العام (٥٩٤هـ/١١٩٨م)[١٨]، أما بعد وفاة عز الدين مسعود، فقد أصبح ابنه نور الدين الثاني اميراً للموصل خلال الاعوام (٥٨٩-٦٠٧هـ/١١٩٣-١٢١٠م)[١٩].

ومن الجدير بالذكر أنه بوفاة عز الدين مسعود الأول قد انتهى عصر الجيل الاول من الزنكيين الذين شهدوا قوة وعز الدولة الزنكية[٢٠]، وكانوا قد شهدوا اتساع رقعة الدولة الزنكية، اذ كانت تحكم الموصل وحلب ودمشق وكثير من مدن الشام[٢١]، أما بعد تولي نور الدين الثاني ومَن بعدَهُ فلم يكن للزنكيين اي نفوذ في الشام، ويمكن اعتبار نورالدين الثاني اخرالأمراء الزنكيين الاقوياء[٢٢] الذين حكموا المدن الزنكية بأنفسهم ودون اوصياء، وقد تمكن في العام (٥٩٤هـ/١١٩٨م) من السير الى نصيبين وكان يحكمها ابن عمه قطب الدين الثاني بن عماد الدين بن قطب الدين مودود واصبحت ضمن املاكه[٢٣]، وبوفاته في العام (٦٠٧هـ/١٢١٠م) تولى منصب اميرالموصل ابنه عزالدين مسعود الثاني موضوع البحث وقد حكم الموصل خلال الاعوام (٦٠٧-٦١٥هـ/١٢١٠-١٢١٨م)[٢٤]، فقد بدأت بحكمه حقبة الزنكيين الضعفاء الذين حكموا الموصل بشكل رمزي وتحت وصاية بدر الدين لؤلؤ[٢٥] الذي عمل على أنهاء الحكم الزنكي.

أولا_سيرته :

هو مسعود الثاني بن نور الدين(ارسلان شاه) بن عز الدين مسعود الاول بن قطب الدين مودود الاول بن عماد الدين زنكي الاول[٢٦] ولد في العام ٥٩٧هـ/١٢٠١م[٢٧] وقد لقب بعز

الدين الثاني ولقب بالقاهر، وكنيَ بأبي المظفر[٢٨]، كما كني بابي الفتح[٢٩]، تولى منصب امير الموصل بعد وفاة أبيه نور الدين ارسلان شاه في رجب من العام (٦٠٧هـ/١٢١٠م)[٣٠]، فقد اوصى والده وهو على فراش الموت أن يخلفه عز الدين في حكم الموصل، في حين أوصى لأبنه الآخر عماد الدين زنكي الثالث بحكم قلاع الشوش وعقر والحميدية[٣١]، وقد كان عز الدين الثاني محبوبا من قبل الناس، اذ كان كريما حليما نزيها، لم يكن لديه طمعا في اموال الرعية، وقد كان حاميا لهم وراعٍ لحقوقهم[٣٢]، وصف بالوسامة والسماحة[٣٣]، وقد كان عادلا بين الناس ويطبق العدل حتى على أقرب الناس اليه، فقد جاءته امرأة ضريرة ادعت أن أحد اقاربه ضربها ببندقة[٣٤] افقدتها بصرها، فامر باحضاره الى القاضي وانصف المرأة منه وخيرَّه بين الدية أو القصاص، فرضخ واختار الدية، وعفت المرأة عن حقها[٣٥]. لقد اضفى حكم القاهر للموصل ولعامة الناس البهجة والسرور، **اذ يقول ابن الاثير عنه :"اضحت الدولة به باسمة، بعد أن كانت باكية، وشاكرة، بعد أن كانت شاكية، ومستبشرة، بعد أن كانت باسرة،وعاودها بهاؤها وروعتها، وفارقها عبوسها.."**[٣٦] وهو بهذا قد حذى حذو ابيه واجداده الامراء الزنكيون.

تزوج القاهر من احدى بنات مظفر الدين كوكبوري[٣٧] في العام ٦٠٦هـ/١٢٠٩م[٣٨]، وكانت مدة حكم القاهر سبعة أعوام وتسعة اشهر، فقد توفي في ليلة الاثنين السادس والعشرين من ربيع الاول من العام ٦١٥هـ/٢١ حزيران ١٢١٨م نتيجة حمى[٣٩]، وحزن عليه الناس حزنا شديدا في كل دار، واصيب اهل الموصل بموته وعظم عليهم فقده، فقد كان محبوبا لديهم[٤٠]، إلاّ أن مصادراخرى تذكر انه مات مسموما على يد بدر الدين لؤلؤ[٤١]، فقد ذكر أحد المؤرخين المختصين بأخبار الدولة الزنكية ذلك بقوله: "**بلغني أن لؤلؤ سقى القاهر سما فمات..**"[٤٢]، كما ذكرآخر الخبر قائلا: "**سُمّ ومات في ربيع الاخر**"[٤٣]، كما يذكر آخر عنه أنه مات فجأة في تلك السنة بقوله: " **توفي بها فجأة..**"[٤٤]، فوفاته فجأة تعني انه لم يكن مريضا، فضلا عن انه توفي في عمر صغير ثمانية عشر سنة، فهذا يعني انه قد قتل، وربما تكون الحمى التي ذُكرت هي نتيجة السم.

ثانيا_البعد السياسي في تولي عز الدين القاهر إمارة الموصل :

لقد كان القاهر أميرا زنكيا تولى حكم الموصل وراثة عن ابيه نور الدين بن عز الدين كتحصيل حاصل لوفاة ابيه، كمن سبقه من الامراء الزنكيين، إلا أنه وُلِدَ وتولى منصبه في وقت شهدت فيه الدولة الزنكية آخر أعوامها ومرحلة هوانها، فضلا عن أنه كان صغيراً في العاشرة من العمر أي أنه لن يتمكن من ادارة دفة الحكم لوحده، لذلك فقد ظهرت في حكمه علامة من علامات الضعف التي لم تظهر في العهود التي سبقت عهده في الموصل وهي أنه الامير الزنكي

الأول الذي كان عليه وصيا وهو بدر الدين لؤلؤ الذي تولى امره منذ ولايته والى وفاته، ومما جعل نور الدين والد القاهر يقربه ويرفع من شأنه وفاة مجاهد الدين قايماز[٤٥] نائب قلعة الموصل في عهد سيف الدين غازي الثاني في (ربيع الاول من العام ٥٩٥هـ/كانون الثاني من العام ١١٩٩م)[٤٦]، كما انه في عهد القاهر كان أكابر رجال الدولة الزنكية قد قضوا نحبهم، لذلك فانٍ المصادر الأولية لم تذكر ما هو كاف عن عصر القاهر ومن تلاه، ولم تذكر ما يوضح الصورة عن الحياة السياسية في مدينة الموصل.

لقد كان لؤلؤ قد أخذ مكانه كمستشار في الدولة، اذ ان نور الدين والد القاهر ولثقته الشديدة بلؤلؤ كان قد ولاه امورا مهمة في الدولة الزنكية ومنها إمارة الجيش ومهمة الاشراف على القبائل والعشائر[٤٧]، وقد ابدى لؤلؤ اهتماما بالقاهر في بداية تنصيبه اميرا على الموصل وعند وفاة نور الدين ارسلان كتم بدر الدين لؤلؤ خبروفاته ولم يعلنه الى ان مضى يوم على وفاته[٤٨]، ومن الباحثين من يعزي أمر كتمان وفاة نور الدين الى ان لؤلؤ لم يذكر خبر الوفاة حتى يضمن البيعة لعز الدين القاهر[٤٩]، اذ ان تولي القاهر منصب اميرالموصل يتلائم تماما مع تطلعات لؤلؤ في السيطرة على الموصل ليتولى إدارتها هو بنفسه، فضلا عن أن لؤلؤ كان يدرك انّ ليس من مصلحته تولي امير حازم قوي على الموصل[٥٠]، بل انه وبتولي القاهر منصب اميرالموصل يعني ان لؤلؤ قد تولى ادارة الموصل اذ ان امور الحكم كانت في يده، وقد أرسل لؤلؤ أحد معتمديه وهو العماد بن يونس الى الخليفة العباسي الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٨٠-١٢٢٥م) ببغداد طالبا منه الخلع والتقليد والاقرار للقاهر اميرا على الموصل، والاقرار بوصايته عليه، فبعث له الخليفة الناصر الخلع مع رجل يدعى بدر الدين محمد سبط العقاب[٥١].

ومن الاساليب التي اتبعها بدر الدين لؤلؤ لتحقيق ما يرمي اليه :

١_لم يُبقِ لؤلؤ للقاهر كأمير سوى الاسم، وطبع اسمه على النقود ايضا للدلالة على وجوده كأمير ولابعاد انظار الناس عما يرمي اليه[٥٢].

٢_حرص على ان يكون هو وصيا على القاهر ومَن بعدَه.

٣_عمل على كسب الخليفة العباسي من خلال الايقاع بينه وبين مظفر الدين كوكبوري والتقرب من رجال الخليفة[٥٣].

٤_عمل على كسب العامة من خلال الاسراع في تعيين نور الدين بن القاهر بشكل مباشر بعد وفاة القاهر، واعطاء الخلع[٥٤] للعامة جميعهم[٥٥].

٥_ عمل على اخراج كل من يخشى امره من الموصل للانفراد بالقاهر وتسيير الامور كما يريد هو عن لؤلؤ[٥٦]، وفضلا عمّا تقدم فإنّ ضعف الوضع السياسي في الدولة الزنكية وصغر اعمار

الامراء الزنكيين في اواخر الحقبة الزنكية سهل للؤلؤ ما يرمي اليه من تقرير مصير الامراء الثلاثة الأواخر في الدولة الزنكية، عز الدين وابنيه نورالدين الثالث ومحمود، فقد كان لؤلؤ يعمل على التخلص منهم كلٌّ حسب ظرفه، اذ انه كان يبعد القاهر عن امور الحكم عن طريق اشغاله بالملذات واحاطته باعوانه من بطانة السوء، والزنكيون لا يستطيعون مساعدته لضعفهم[٥٧]، حتى قَتله مسموما[٥٨].

وقد ذكرت المصادر أن القاهر كان يكثر من ذكر الموت[٥٩]، وربما كان ذلك نتيجة خوفه من بدر الدين لؤلؤ، أو من يأسه من حياته تحت وصايته، اذ كان قد فرض عليه سيطرته فكان يتوقع منه الشر، فلماذا يكثر من ذكر الموت وهو فتى في سن الشباب إن لم يكن في حالة يأس، وربما كـــان ذلك لانه كان يتمنى الموت للخلاص من سيطرة لؤلؤ عليه، لا سيما وأنه قام بالحَجْرِ عليه وابقائه فـــي داره ليبعده عن شؤون الحكم ويضيق عليه حياته[٦٠]، وبعد وفاة القاهر فقد كان اخوه عماد الدين يطمـــح الى تولي أمارة الموصل، وقـــد كان قويا حازما يستطيع ان يدبر شؤون الحكم بنفســـه، لذلك لم يكن مـــن مصلحة لؤلؤ توليـــه الحكم فعارض ذلك وعمل على اخراجه من الموصل لينفـــرد بامرها[٦١].

أما الاميرين الزنكيين من بعده فقد كانا ضعيفين، لذلك فقد تمكن لؤلؤ من فرض نفسه وصياً عليهما وبالتالي فرض كلمته في تسيير امور الحكم[٦٢]، وقد استمرت وصايته علـــى الاميرين علي بن القاهر الذي سمي بنور الديـــن بعد وفاة جده نور الدين ارسلان، وقد ارسل لؤلؤ الى الخليفة الناصر لدين الله يطلب منه اقرار حكم نور الديـــن وتوليته وصياً عليه تماما كما كان الحال مع القاهر فتم له ذلك، إلاّ أنَّ الأمير نور الدين بن القاهر حكم أياماً قليلة من العام (٦١٥هـــ/١٢١٨م) وتوفي في العام نفســـه[٦٣]، ثم قام لؤلؤ بتنصيب الأميرالزنكيّ الاخير ناصـــر الديـــن محمود بن القاهرعز الدين وهو طفل ايضا وتولى لؤلؤ الوصاية عليه ايضا[٦٤].

ثالثا _العلاقة بين القاهر ومظفر الدين كوكبوري :

لم يكن هناك ما يمنع لؤلؤ من اعلان نفسه اميرا على الموصل، إلا أن وجود مظفر الدين كوكبوري أمير اربل المخلص للدولة الزنكية منعه من ذلك فقد كانت علاقة مظفر الدين كوكبوري بالزنكيين حسنة منذ عهد الزنكييـــن الاقوياء، إذ كان والده زين الدين علي كوجك نائبا في أربل ثم أصبح نائبا للموصـــل في عهد عماد الدين زنكي الأول، فأصبح هو أميراً لأربل[٦٥]، ولم يتخلَّ عن موقفه الايجابي من الدولة الزنكية في كافة مراحل وعهـــودامرائها، بل بقي مؤيدا لها[٦٦]، أما بعد وفاة نور الدين ارسلان شاه وتولي القاهر منصبه، لم يكن شيء يحفـــظ للدولة الزنكية هيبتها سواه، فقد كان مظفر الدين كوكبوري مساندا للقاهر، اذ لولاه لقتله لؤلؤ منذ وفاة والده[٦٧]، فضلا عن ان القاهر عز الدين واخوه عماد الدين كانا قد تزوجا من

ابنتي مظفر الدين كوكبوري[٦٨]. وفي (الرابع عشر من رمضان من العام ٦٣٠هـ الموافق نيسان ١٢٣٣م)، توفي مظفر الدين كوكبوري[٦٩]، وبعد وفاته قام لؤلؤ بقتل ناصر الدين محمود ابن القاهر بطريقة بشعة، أذ ادخله حماما ساخنا واغلق عليه الباب وابقاه فيه اياما، فهلك من العطش فاستغاث اخرجوني واسقوني الماء ثم اقتلوني، فاخرج واسقي الماء ثم خُنِقَ بحبل حتى قتله، وقد ذكر أحد المؤرخين عن قتل لؤلؤ لناصر الدين محمود بن عز الدين القاهر :"**ثم ادخل ابنه محمود بعد ذلك حماماً حامياً وأغلق عليه الباب فاستكربه وعطشه فاستغاث أخرجوني واسقوني ماء ثم اقتلوني، فأخرج وقد تغيرت خلقته وكان من احسن الناس صورة فأسقي ماء ثم خنق بوتر**"[٧٠]، وقد ايَّدَ مصادر اخرى ذلـــك، فقد ذكر ابن كثير نصا يقول فيه :"**جرت خطوب كثيرة ببلد الموصل بسبب موت ملوكها اولاد قرا أرسلان واحـــداً بعد واحد وتغلب مملوك ابيهم بدر الدين لؤلؤ على الأمور والله اعلم..**"[٧١]، فهذا النص يدل على ان موتاً جماعياً قد شمل أولاد نور الدين ارسلان وفي وقت قصير، كما قال ابن كثير ايضا عن قتل لؤلؤ للناصر محمود: "**وقد أقامه بدر الدين لؤلؤ صورة حتى تمكن امره وقويت شوكتـــه، ثم حجر عليه فكان لا يصل الى احد من الجـــــواري ولا شيء من السراري، حتى لا يعقب، وضيق عليه في الطعام والشراب، ثلاث عشرة يوما حتى مات كمدا وجوعا وعطشا رحمه الله، وكان من احسن الناس صورة، وهو من اخر ملوك الموصل من البيت الاتابكي**"[٧٢]. فالطريقة التي قتل فيها الأمراء الثلاث هو دليل على ان لؤلؤ يكنُّ حقداً دفيناً على الامراء الزنكيين، لذلك فقد قام بقتلهم بطريقة قاسية،و يتضح ايضا أن لؤلؤ كان يخطط لجعل السلطة في يده، ويظهر ذلك من خلال قتله للامراء الزنكيين. ومن الجدير بالذكر أن لؤلؤ كان دخيلاً على الدولة الزنكية وليس فردا من افرادها تولى الحكم كأمير زنكي كما رآه أحد الباحثين[٧٣]، بل هو مغتصب للسلطة، اذ لم يكن زنكيـــا، فالزنكي يعني أنه، من سلالة عماد الدين زنكي الأول مؤسس الدولة الزنكية، أما لؤلؤ فقد كان مملوكا وضع نفسه وصيا علـــى الاتابكة الزنكيين في الموصل بعد نـــور الدين الثاني بن عز الدين الأول، اذ ان ثقـــة نور الدين به كما سبق ذكره، والضعف الذي شهدتـــه الدولة الزنكية مكناه من ذلك.

رابعا_العلاقة مع الخلافة العباسية :

لقد كانت العلاقة بين الزنكيين والخلافة العباسية منذ قيام الدولة الزنكية تقتصر على السلطة الدينية للخليفة وكثيرا ما كان السلطان السلجوقي اقرب الى الامير الزنكي من الخليفـــة، لاسيما إذا كان الخليفة ضعيفا، اذ كان الاتصال على الأغلب مابيـــن الامير الزنكي والسلطان السلجوقي[٧٤]، فعلى سبيل المثال بعد تولي عماد الدين زنكي منصب امير الموصل كان

استحصال الموافقة من السلطان السلجوقي محمود كما سبق ذكره، اما في حالات اخرى فقد يُرجَع الى الخليفة العباسي، ولكن ذلك لاسباب منها :

١- اما ان يكون الخليفة العباسي قويا وذا نفوذ يضاهي نفوذ السلطان السلجوقي أو يغلب عليه كالخليفة الناصر لدين الله[٧٥].

٢- أو لأن من تولى منصب امير الموصل لم تكن علاقته حسنة بالسلطان السلجوقي، فيلجأ الى الخليفة لغرض سياسي، لكن في بعض الأحيان كان الامير الزنكي يحترم وجود الخليفة لمكانته الدينية، كما فعل نور الدين محمود الاول امير دمشق وحلب، حينما قام بمحاسبة اخيه قطب الدين مودود لِأنه وقف الى جانب السلطان السلجوقي محمد بن السلطان محمود في الحصار الذي فرضه على الخليفة المقتفي لأمر الله (٥٣٠-٥٥٥ للهجرة /١١٣٥-١١٦٠ للميلاد) ببغداد في العام (٥٥٣هـ/١١٥٨م)، فاحتج نور الدين وطلب من اخيه قطب الدين الاعتذار للخليفة المقتفي لأمر الله (٥٣٠-٥٥٥هـ/١١٣٥-١١٦٠م)[٧٦]، أما في الأعوام الاخيرة من عمر الدولة الزنكية فقد كان للخليفة العباسي الناصر لدين الله دور كبير في الاعتراف بتنصيب الامير الزنكي على الموصل او باقي الأطراف التي لها دور في ادارة الموصل او باقي المدن وهذا لم يكن موجودا من قبل، واحيانا في التوسط للصلح او ارسال الخلع، ويرجع السبب في ذلك الى ان الخليفة العباسي الناصر لدين الله كان من الخلفاء العباسيين الاقوياء الذين ظهروا في القرن السادس من عمر الخلافة العباسية (عصر نهضة الخلافة)[٧٧]، ونجح في القضاء على الوجود السلجوقي في العراق[٧٨] وعمل على إقامة الصلح بين نور الدين أرسلان شاه والملك العادل الأيوبي شقيق السلطان صلاح الدين الايوبي[٧٩] حينما أراد العادل مهاجمة سنجار واميرها قطب الدين، فأرسل الخليفة رسوله وهو بهاء الدين بن الضحاك استاذ الدارالعزيزة[٨٠] وتم الصلح في العام (٦٠٦هـ/١٢١٠م)[٨١]، مما يدل على مكانة نور الدين العالية لدى الخليفة من خلال إرساله لشخص عالي المكانة مثل الضحاك، وعلى العلاقة الطيبة بينهما.

وعند استلام القاهر منصب امير الموصل قام لؤلؤ بارسال طلب الى بغداد يطلب من الخليفة الناصر لدين الله أعترافا بولاية القاهر على الموصل ووصايته عليه فوافق الخليفة على ذلك وارسل له الخلع[٨٢]، ولكن الأمر هنا يختلف، اذ كان تعامل الخليفة مع لؤلؤ وليس مع القاهر، فالأمير نور الدين ارسلان قد توفي وكانت علاقته حسنة مع الخليفة، وهذا يعني أن الخليفة الناصر لدين الله قد وافق على تولي القاهر لأنه أمير زنكي، وقد استغل لؤلؤ هذه العلاقة بحكم ما كان يرمي اليه من تطلعات للسيطرة على الحكم في الموصل، إذ أنه كان دخيلاً على الاسرة الزنكية، فضلاً عن أن القاهر كان صغير السن وليس كمن سبقه من آبائه وأجداده الذين تسلموا منصب أمير الموصل قبله، ولا يفقه ما كانوا يفقهوه في امور السياسة والحكم

وخصوصياتهما ومن هو الحليف، نتيجة وصاية وسيطـــرة لؤلؤ عليه، فهذا لا يعني أن لؤلؤ كان يميل الى الخلافة العباسية بل أن الموقف اضطره الى ذلك لأنه شخصٌ غريبٌ عن البيت الزنكي وهو الذي انهى الحكم الزنكي لاحقا، وفي الوقت نفسه فإن الخليفة العباسي لم يكن على علم بنية لؤلؤ في السيطرة على حكم الموصل، بل كان يخاطبه كرجـــل دولة زنكي(٨٣).

خامسا_اهم اعمال القاهر عزالدين مسعود الثاني :

لم يكن للقاهر نشاط سياسي أو عسكري يذكر، حسب المعلومات الواردة عنه، إلا أن كلام المصادر عنه وعن محبة العامة له تؤكد أنه كان على اتصال بهم، وكان قد غمرهم بكرمه وخدماته، ومن المؤكد أنه كان قد انجز لهم ما يسهل لهم حياتهم، إلا أن المصادر لم تذكر شيئا من تلك الأخبار، قد يكون ذلك لأنه يلتقي بالناس على غفلة من انظار لؤلؤ، أو في أوقات قليلة، اذ يقول ابن الاثير عنه: "**واصيب اهل البلاد بموته، وعظم عليهم فقده وكان محبوبا اليهم قريبا من قلوبهم، ففي كل دار لاجله رنة وعويل..**"(٨٤)، فهذا النص يؤكد أن القاهر كان محبوبا لدى الموصليين، وأنه قد قدَّم لهم الكثير مما غرز في قلوبهم محبته، الا ان المصادر لم تسعفنا بأعمال كثيرة له، ومن أهم آثار القاهر:

١_ بناء المدرسة القاهرية :

وقد كانت المدرسة القاهرية من أشهر مدارس الموصل في العصر الاتابكي، بناها القاهر ودفن فيها، وأول من درّس في المدرسة القاهرية العلامة ابو الفتح كمال الدين بن يونس بن محمد منعة بن مالك بن محمد (٥٥١-٦٣٩هـ/١١٥٦-١٢٤٢م) الفقيه الشافعي(٨٥)، قال ابن خلكان عنه: "**لما توفي اخوه الشيـــخ عماد الدين محمد المقدم ذكره تولى المدرسة العلائية موضع اخيه. ولما فتحت القاهرية تولاها، ثم تولى البدريـــة في ذي الحجة سنة عشرين وستمائة**"(٨٦) وبنى له فيها تربة (مقبرة) دفن فيها بعد موته(٨٧)، كمـــا درّس فيها ابنه ابوالفضل احمد بن كمال الدين في العام (٦١٧هـ/١٢٢٠م)(٨٨)، كما يذكر ان الشيخ عبد الوهاب بن ابراهيم الزنجاني الخزرجي أتم كتابه (المعرب عما في الصحاح والمغرب) في المدرسة القاهرية في الموصل(٨٩). كان موقع المدرسة قرب كنيسة الطاهرة اليوم، (اي في سوق الشعارين)، ولا أثر لها اليوم(٩٠).

٢_ ضرب النقود :

لقد قام الزنكيون بضرب النقود منذ عهد عماد الدين زنكي الأول مؤسس الدولة الزنكية، فقاموا بضرب العملات المختلفة ومنها الفلس والدرهم والدينار ومن معادن مختلفة كالنحاس والفضة والذهب، واستمر ضرب النقود بعملاتها وانواعها حتى عصر الأمير القاهر(٩١)، وهذا أمر ليس بالغريب على دولة ذات حضارة وعلـــم واقتصاد كالدولة الزنكية(٩٢). ففي حقبة نهاية

الدولة الزنكية ضرب بالموصل دينار من الذهب بأسم نور الدين ارسـلان شاه والد الأمير القاهر والدينار محفوظ في متحف (همايون) بأسطنبول(٩٣).

أما امير الموصل عز الدين القاهر فقد سار على خطى ابيه واجداده، فقد ضرب دينار من الذهب باسم "**الملك القاهر عز الدين مسعود**"، والدينار محفوظ في المتحف البريطاني(٩٤)، كما ضرب فلس نحاسي باسم الملك القاهر عـزالدين، والفلس محفوظ في متحف همايون باستانبول(٩٥)، وضرب بالموصل ايضا فلس نحاسي باسم "**اتابك مسعود بن ارسلان**" (القاهر)، وهو محفوظ في المتحف البريطاني(٩٦).

وقد تميز شكل الدينار الذهبي الذي ضُرِبَ في عهد الامير القاهر عز الدين بأن وجه الدينار مكتوب في مركزه **(لا اله الا الله وحده لا شريك له)** وتحتها مكتوب : الناصر لدين الله امير المؤمنين، وتحيط بها كلمات اخرى.

أما ظهر الدينار فقد كتب في مركزه :**(محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم)**، وتحتها عز الدنيا والدين أتابك مسعود، وتحيط بها كلمات اخرى كما موضح في الشكل الاتي :

الوجه: الظهر:

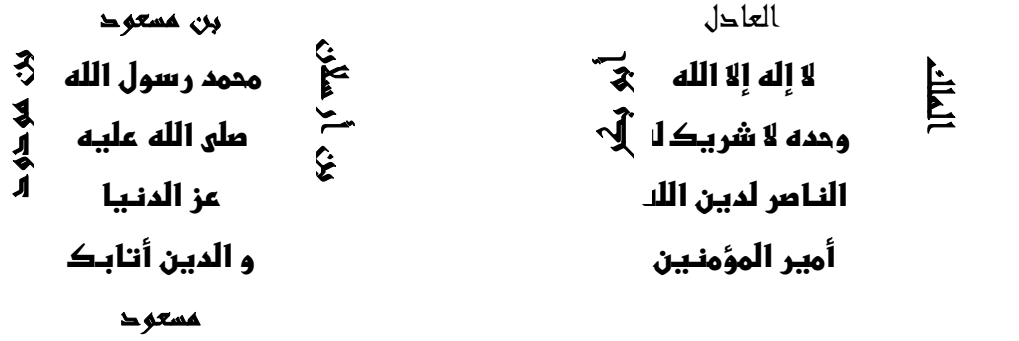

هـامش داخلي/	بسم الله ضرب هذا الدينار بالموصل سنة سبع وستمائة.	هامش/	محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
هـامش خارجي/	لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله (٩٧)		

وقد تمكنا من الرجوع الى نسختين من العملة المذكورة التابعة للقاهر وهما في الشكلين١ و٢ ادناه:

شكل رقم ١

مسكوكات موجودة في جامعة الموصل / كلية الآثار_

(بعدسة الباحث بتاريخ ٢٠١٨/٤/٩)

شكل رقم ٢
مسكوكات موجودة في جامعة الموصل / كلية الآثار_
(بعدسة الباحث بتاريخ ٢٠١٨/٤/٩)

الخاتمة

تبين لنا أن من أهم ماتميز به عهد القاهر عن ما سبقه من عهود امراء الدولة الزنكية ما يلي :

١- يمكن اعتبار عهد القاهر بداية لإنتهاء الدولة الزنكية.

٢- في عهد القاهر بدأ التدخل في شؤون الدولة الزنكية من قبل اعدائها، وبالتالي القضاء على امرائها وتفريقهم واسقاطها.

٣- كان القاهر هو أول امير زنكي عليه وصاية من قبل أحد مماليك والده، وهي سابقة جديدة في العصرالزنكي، كان ذلك من خلال وصاية بدر الدين لؤلؤ على الاميـــرعز الدين مسعود الثاني (القاهر)، وقد كانت تلك الوصاية تدخلا وجد له طريقا للتغلغل في جسد الدولة الزنكية في العقود الثلاثة الاخيرة من عصرها.

٤- كان لثقة نور الدين ارسلان شاه بلؤلؤ دور كبير في وصوله الى منصب اقرب الى الوزير في الدولة الزنكية ثـــم وصوله الى الحكم فيها.

الهوامش :

(١) ابو العباس احمد القلقشندي (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، نهاية الارب في معرفة انساب العرب، تحقيق : ابراهيم الابياري، (بيروت، دار الكتب، ١٩٨٠م، ط٣)، ٤ :١٨؛ رشيد عبد الله الجميلي، دولة الاتابكة في الموصل بعد عماد الدين زنكي، (بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٠م)، ص٢٧.

(٢) عز الدين علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بين عبد الكريم ابن الاثير (ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م)، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل ، تحقيق : عبد القادر احمد طليمات، (بغداد، مكتبة المثنى، د.ت)، ص ٢٥-٢٦.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٤؛ عماد الدين خليل، عماد الدين زنكي، (بيروت، الدار العلمية، ١٣٩١هـ/١٩٧١م)، ص ٣١.

(٤) ابن الاثير، الباهر، ص ٣٤ ؛ رشيد عبد الله الجميلي،امارة الموصل في العصر السلجوقي ٤٨٩-٥٢١، (جامعة بغداد، كليةالاداب، ١٩٨٠م)، ص ٩٨.

(٥) ابن الاثير، الباهر، ص ٦؛ كمال الدين ابي القاسم عمر بن احمد ابن العديم (ت٦٦٠هـ /١٢٦٢م)، زبدة الحلب في تاريخ حلب، (دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٦٨م) ٢ :١٠٢.

(٦) ابن الاثير، الباهر، ص ٣٤.

(٧) المصدر نفسه، ص ٣٨ ؛ وينظر صهيب حازم عبد الرزاق الغضنفري، العلاقات بين الموصل وحلب في عصر الاتابكية الزنكية (٥٢١-٥٧٩هـ/١١٢٧-١١٨٣م)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة الموصل، كلية التربية للعلوم الاساسية، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)، ص٣٣-٣٤.

(٨) ابن الأثير، الباهر ، ص ٨٦.

(٩) المصدر نفسه ، ص ٩٤.

(١٠) المصدر نفسه،ص ١٤٦

(١١) المصدر نفسه،ص ١٨١.

(١٢) ابن العديم، زبدة الحلب، ٣ : ٩.

(١٣) عز الدين علي بن ابي الكرم ابن الاثير (ت٦٣٠هـ /١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ، تحقيق : ابي الفداء عبد الله القاضي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م، ١٠ : ٦٦ ؛ جمال الدين ابي المحاسن يوسف ابن تغري بردي(ت ٨٧٤هـ /١٤٧٠م)،النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (القاهرة، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ١٩٦١م)، ٦ : ٢٤؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ٣ : ٢١.

(١٤) المصدر نفسه، ٣: ٤١.

(١٥) يوسف بن نجم الدين ايوب بن شاذي، والملقب بصلاح الدين، والمعروف بصلاح الدين الايوبي، مؤسس الدولة الايوبية،ولد في العام٥٣٢هـ/١١٣٨م في تكريت،وانتقل مع والده الى الموصل،اصبح مقربا من نورالدين بن عماد الدين عن طريق والده نجم الدين،وعمه اسدالدين شيركوه،

بهاء الدين بن شداد(ت ٦٣٢هـ/١٢٣٥م)،النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيّال، (القاهرة، المؤسسة المصرية للتاليف والترجمة، ١٩٦٤م)، ص ٦.

(١٦) ابن العديم، زبدة الحلب، ٣ : ٥٤.

(١٧) أبن شداد، النوادر السلطانية، ص ٥٩ ؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ٣ : ٥٤.

(١٨) المصدر نفسه، ٣ :٥٢ ؛ عماد الدين اسماعيل بن محمد ابو الفداء المعروف بصاحب حماه (ت٧٣٢هـ /١٣٣١م)، المختصر في اخبار البشر، تعليق : محمود ديوب، بيروت، (دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م)، ٣ : ١٣٨.

(١٩) ابن الاثير، الباهر، ص ١٩٧.

(٢٠) الغضنفري، العلاقات بين الموصل وحلب ، ص٤٥.

(٢١) ابن الاثير، الباهر، ص١٥٢؛ ابو الفداء، المختصر، ٣ : ١١٧.

(٢٢) علاء محمود قداوي، الموصل والجزيرة الفراتية في عهد المغول الاليخانية، ٦٥٦-٧٣٥هـ/١٢٥٨_١٣٣٥م، (دراسة تحليلية عن الاحتلال والمقاومة والجوانب الحضارية)، (عمان، دار غيداء للنشر والتوزيع، م٢٠١٥_١٤٣٦هـ)، ص٢٤.

(٢٣) ابن الأثير، الباهر،ص ١٩٧_٢٠١.

(٢٤) ابن الأثير، الكامل، ١٠: ٣٥٤.

(٢٥) يرد ذكره لاحقا.

(٢٦) ابن الأثير، الباهر،ص ٢٠٢.

(٢٧) ابن الأثير، الكامل : ١٠: ٣٥٤ ؛ جمال الدين محمد بن سالم ابن واصل (ت٦٩٧هـ/١٢٩٨م)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق : حسنين محمد ربيع ،سعيد عبد الفتاح عاشور، (القاهرة، مطبعة دار الكتب ، ١٩٧٧م)،٣ :٢٠٦؛ محمد سهيل طقوش، تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام، (بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٩١هـ/١٩٩٩م)، ص ١٩٧؛ القاهرعزالدين مسعود، ص١_٢، مقالة متاحة على الرابط https://books.google.iq/books?id=p1Dt0ibB-:source=bl&ots=w3I473KiOZ&si&.

(٢٨) ابن الاثير، الباهر، ص٢٠١.

(٢٩) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٦ : ٢٢٥.

(٣٠) ابن الأثير، الباهر،ص ٢٠١ ؛، الكامل، ١٠ : ٣٨٢ ؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٣: ٢٠٦. شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل ابو شامة(٦٦٥هـ/١٢٦٧م)، الروضتين في اخبار الدولتين النورية واليوسفية،تعليق : ابراهيم شمس الدين،(بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).

(٣١) ابن الاثير، الكامل، ١٠: ٣٨٢؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٣ :٢٠٦.

(٣٢) ابن الاثير، الكامل، ١٠ : ٣٨٢.

(٣٣) ابي الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، (بيروت، دار احياء التراث العربي، د.ت)، ٥: ٦٢.

(٣٤) البندقة : اداة يرمى بها، وجمعها بنادق، جمال الدين بن محمد بن مكرم الأنصاري (ت٧١١هـ/١٣١٣م)، تقديم : عبد الله العلايلي، اعداد : يوسف الخياط ،(بيروت، دار لسان العرب، د.ت)، ١ : ٣٥٩.

(٣٥) ابن الاثير، الباهر، ص ٢٠٣ ؛ شاكر احمد ابو بدر، الحروب الصليبية والاسرة الزنكية، (الجامعة اللبنانية، كلية الاداب والعلوم الانسانية، قسم الدراسات العليا، ١٩٧٢م)، ص٤٢٨.

(٣٦) ابن الاثير، الباهر،ص ٢٠٢ ؛ الكامل، ١٠ :٣٨٣.

(٣٧) وهو الملك المعظم مظفر الدين كوكبوري ابن زين الدين علي كوجك بن بكتكين نائب قلعة الموصل في الاعوام الاولى من قيام الدولة الزنكية،ولد بالموصل في محرم من العام(٥٤٩هـ / اذار من العام ١١٥٤م) كان والده زين الدين علي كوجك قد تملك اربل وبلاد كثيرة في تلك النواحي،وعندما توفي في العام (٥٦٣هـ /١١٦٧م) تولى بعده ابنه مظفر الدين كوكبوري وعمره انذاك ١٤ عام، ابن واصل، مفرج الكروب، ٥ :٥٦_٦٢ ؛الكامل، ١٠: ٣٥٠ ؛ سبط ابن العجمي الحلبي (ت٨٨٤هـ /١٤٧٩م)، كنوز الذهب في تاريخ حلب، تحقيق : شوقي شعث واخرون، (حلب، دار القلم العربي، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م)، ١ : ٣٩٣ ؛ الجميلي، دولة التابكة، ص ١٩٢.

(٣٨) ابو العباس محمد شمس الدين احمد ابن خلكان (ت٦٨١هـ /١٢٨٢م، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق : احسان عباس، (بيروت، دار صادر ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م)، ٥ : ٢٠٨.

(٣٩) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٥ : ٢٠٨ ؛.

(٤٠) ابن الاثير، الكامل، ١٠ : ٣٨٢.

(٤١) بدر الدين لؤلؤ : هو مملوك ارمني، سبي صغيرا من ارمينيا واشتراه رجل خيّاط بدر الدين لؤلؤ، فاصبح مملوكا من مماليك نور الدين ارسلان شاه والد القاهر جعله مستشارا له واوكل اليه معظم شؤون الحكم، وقد اعتمد عليه نور الدين لأنه رأى فيه دهاءا لذلك فقد جعله مستشارا له في تدبير امور الدولة، وعمل على ترقيته من رتبة الى اخرى حتى جعله مسؤولا ومشرفا على امارة الجيش، وشؤون القبائل والعشائر ، ابن الاثير، الباهر، ص٢٠٣ _٢٠٤ ؛ الكامل، ١٠ : ٣٨٦ ؛ سعيد الديوه جي، تاريخ الموصل، (بغداد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي،١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ١: ٣٠٩ ؛ بدر الدين لؤلؤ، ص١، مقالة متاحة على الرابط :

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D8%AF%D8%B1 .

(٤٢) ابو شامة، الروضتين، ٥ : ١٧٣.

(٤٣) الحنبلي، شذرات الذهب، ٥ :٦٢.

(٤٤) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٥ : ٢٠٨.

(٤٥) كان مجاهد الدين قايماز هوالمستشار الاول لامراء الموصل منذ عهد سيف الدين الثاني بن قطب الدين الاول الى عهد نور الدين ارسلان بن عماد الدين زنكي مؤسس الدولة الزنكية، ابن الاثير، الباهر، ص١٧٧ _١٩٣.

(٤٦) المصدر نفسه، ص١٩٣ ؛ ابن الأثير، الكامل، ١٠ : ٣٨٢.

(٤٧) أبن الأثير، الباهر، المصدر نفسه، ص ٢٠٤ ؛ ابو بدر، الحروب الصليبية، ص ٤٢٨.

(٤٨) ابن الاثير، الكامل، ١٠ : ٣٨٢ ؛ الجميلي، دولة الاتابكة، ص١٩٠.

(٤٩) ابو بدر، الحروب الصليبية، ص ٤٢٧_ ٤٢٨.

(٥٠) ابن الاثير، الكامل، ١٠ : ٣٨٢ ؛ شمس الدين ابي المظفر يوسف بن قراوغلي المعروف بسبط ابن الجوزي ، سبط ابن الجوزي (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، تحقيق : محمد بركات واخـــرون، (بيروت، دار الرسالة العلمية، ١٤٣٤هـ /٢٠١٣م)، ٢٢ : ١٧٤ ؛ وينظر: الجميلي، دولة الاتابكة ،ص ١٩٠ ؛ طقوش، تاريخ الزنكيين، ص ١٩٧ .

(٥١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٢٢: ١٧٤ ؛ ابن الاثير، الباهر، ص١٩٨.

(٥٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣ : ٨١ ؛ نقود الملك القاهر عز الدين مسعود الثاني، ص٢، مقالة متاحة على الرابط الاتي : attachment<www.coins4arab.com

(٥٣) ابن الاثير، الكامل، ١٠ : ٣٨٢.

(٥٤) الخلع جمع خلعة وهي ما يهدى من الثياب، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي(ت٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م)، مختار الصحاح،(الكويت، دار الرسالة للنشر، د.ت)، ص١٨٥ ؛ صهيب حازم الغضنفري، الموصل في التاريخ العربي الاسلامي، مقالة منشورة،(مجلة موصليات، جامعة الموصل، مركز دراسات الموصل، ذي القعدة ١٤٢٩هـ/ تشرين الثاني ٢٠٠٨م)، ع :٢٤، ص٣٥).

(٥٥) ابن الاثير، الكامل، ١٠ : ٣٨٣.

(٥٦) ابن الاثير، الباهر، ٢٠١؛ الديوه جي، تاريخ الموصل، ٣٠٩.

(٥٧) ابن الاثير، الكامل، ١٠ :٣٨٢ ؛ الديوه جي، تاريخ الموصل، ص ٣٠٩.

(٥٨) ابو شامة، الروضتين، ٥ : ١٧٣.

(٥٩) ابن الاثير، الباهر، ص٢٠١ ؛ الكامل، ١٠ : ٣٨٣.

(٦٠) الديوه جي، الموصل في العهد الاتابكي، ص٣٤ ؛ طقوش، الزنكيون، ص٢٣٧.

(٦١) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣ : ٧٩ ؛ الجميلي، دولة الاتابكة، ص ٢٢١ ؛محمود زيباوي، عرض كتاب تاريخ النقود في نهاية العصر العباسي خلال فترة بدر الدين لؤلؤ لهشام البساط،(بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، د.ت)، ص١_٢.

(٦٢) ابن الاثير، الكامل، ١٠: ٣٨٦ ؛ ابو شامة، الروضتين ؛ ٥ : ١٧٣.

(٦٣) ابن الاثير، الكامل، ١٠ : ٣١٧.

(٦٤) المصدر نفسه، ١٠ : ٣٥٠ ؛ ابو شامة، الروضتين، ٥ : ١٧٣.

(٦٥) ابن الاثير، الباهر، ص ١٣٦ .

(٦٦) المصدر نفسه، ص ١٣٩، ١٨٥، ١٩٧، ٢٠٠ ؛ الكامل، ١٠ :٣١٥ ؛ ابو الفداء، المختصر، ٣ : ١٢١.

(٦٧) ابو الشامة، الروضتين، ٥ : ١٧٣.

(٦٨) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٥ : ٢٠٨ .

(٦٩) المصدر نفسه، ٤ : ١٢٠.

(٧٠) ابو شامة، الروضتين، ٥ : ١٧٣.

(٧١) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣: ٧٩ ؛ سعيد الديوه جي، الموصل في العهد الاتابكي، (بغداد، مطبعة شفيق، ١٣٧٨هـ /١٩٥٨م)، ص ٣٤.

(٧٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣ : ١٣٦.

(٧٣) إن أحد الباحثين اعتبر لؤلؤ زنكيا، واعطاه التسلسل العاشر والاخير في سلسلة الامراء الزنكيين في الموصل. الزنكيون أو الدولة الزنكية، ص١، مقالة متاحة على الرابط : Knozalmady.allahmontada.com، ٤_٢٠١٤، ١٢: ٤٦ p .m.

(٧٤) ابن الاثير، الباهر، ص ٣٤ ؛ الجميلي، امارة الموصل، ص ٩٨.

(٧٥) ابن الاثير، الكامل، ١٠ : ٣٨٣.

(٧٦) المصدر نفسه، ٩ : ٤٠٩ ؛ الغضنفري، العلاقات بين الموصل وحلب، ص ٤٦.

(٧٧) خليل ابراهيم السامرائي، تاريخ الدولة الاسلامية في العصر العباسي (١٣٢-٦٥٦هـ)، (جامعة الموصل، دار ابن الاثير للطباعة والنشر، ١٩٨٨م)، ص ٣٣٣.

(٧٨) عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الاصفهاني (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠١م)، تاريخ دولة ال سلجوق، تقديم : يحيى مراد،(بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ص ٣٨٢ ؛ ابن الأثير، الكامل، ١٠ : ٢٣٢-٢٣٣ ؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ٢١ : ٢٦٧ ؛ حسين أمين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، (بغداد، مطبعة الأرشاد، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م)، ص١١٥.

(٧٩) سيف الدين ابو بكر احمد بن ابي الشكر أيوب بن شاذي بن مروان الملقب بـ (الملك العادل) ابو بكر (٥٣٨هـ-٦١٥هـ/ ١١٤٤-١٢١٨م)، ابن العديم، زبدة الحلب، ٣ : ٧٤، ابن واصل، مفرج الكروب، ٢ :١٥٢ ؛ العادل ابو بكر بن ايوب، مقالة متاحة على الرابط الاتي : https://ar.m.wikipedia.org/wiki/، ص١_٢.

(٨٠) استاذ دار : من المناصب الأدارية التي ظهرت في بغداد منذ منتصف القرن(الرابع الهجري / العاشر الميلادي)، وصاحب المنصب مسؤول عن رعاية دار الخلافة العباسية وصيانتها، ثم تطور المنصب الى السفارة، واستقبال الوفود ، ثم تطور صلاحية الاستاذ دار في مطلع القرن(السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) الى التدخل في الاحداث السياسية والداخلية في بغداد، ابي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م)، المنتظم في تاريخ الملوك

والأمم، تحقيق : محمد عبد القادر عطا وأخرون، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ١٨ : ١٦٤ ؛ محمد عبد الله القدحات، منصب استاذ دار في الخلافة العباسية (٣٥٢_٦٥٦هـ)، بحث منشور، (المملكة العربية السعودية،مجلة جامعة الملك خالد، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، م : ٤، ع : ٧، ص ١_٨.

(٨١) ابن الاثير، الباهر، ص١٩٧.

(٨٢) ينظر ص ٥ من البحث.

(٨٣) ابن الاثير، الكامل، ٩: ٤٠٩.

(٨٤) المصدر نفسه، ١٠ : ٣٨٢.

(٨٥) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٥ :٣١١ ؛ سعيد الديوه جي، دور العلم في الموصل،(الموصل، مكتبة الميثاق،٢٠١١م)، ص ٣٦.

(٨٦) ابن خلكان، وفيات الاعيان ، ٥ : ٣١٦ ؛ الديوه جي، دور العلم، ص٣٦.

(٨٧) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٥ : ٢٠٨ ؛ الديوه جي، دور العلم، ص٣٦.

(٨٨) المرجع نفسه، ص ٣٦.

(٨٩) مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، كشف الظنون في اسامي الأدب والفنون، تصحيح : محمد شرف الدين واخرون، (بيروت، دار احياء التراث العربي، د.ت)، ص ١٧٣٨.

(٩٠) الديوه جي، دور العلم، ص ٣٧.

(٩١) ابن واصل، مفرج الكروب، ١ : ١٠٥ ؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ٢ : ٢٨٥ ؛ سبط ابن العجمي ، كنوزالذهب، ٢ : ٢٣٨ ؛ ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص ٢٥٢ ؛ اليوزبكي، الحياة الاقتصادية في الموصل، (موسوعة الموصل الحضارية)، (جامعة الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٩٢م)، ٢: ٣١٣؛ محمد باقر الحسيني، العملة الاسلامية في العهد الاتابكي،(بغداد، بلا، ١٩٦٦م)، ص٤٦ ؛ بسام ادريس الجلبي، حوليات الموصل منذ الفتح الاسلامي سنة ١٦هـ /٦٣٧م حتى نهاية القرن التاسع عشر سنة ١٩٠٠م/١٣١٨م، (الموصل، الجيل العربي، ٢٠١٣م)، ٢ :٦١ ؛ وينظر، الغضنفري، العلاقات بين الموصل وحلب، ص ١٣٢_١٣٣.

(٩٢)أبن الأثير، الباهر، ص١٧١ ؛ يسري عبد الغني عبد الله، التعليم في عصر نور الدين، المدرسة النورية انموذجا، (المكتبة الافتراضية، دورية كان التاريخية ، ايلول، ٢٠١٠م)، ع ٩: ٥٣ – ٥٦، على الموقع الاتي : http://www.kanhistorique.org/Archive/2010/Issue09/Zang

(٩٣)الحسيني، العملة الاسلامية،ص ٤٩_٥٠ ؛ الجلبي، حوليات الموصل، ٢ : ١٥٠ .

(٩٤)الحسيني، العملة الاسلامية، ص٥٢ ؛ الجلبي، حوليات الموصل، ٢: ١٥٠.

(٩٥)الحسيني، العملة الاسلامية، ص١١٥ ؛ الجلبي، حوليات الموصل، ٢ : ١٥٠.

(٩٦)الحسيني، العملة الاسلامية، ص١١٥ ؛ الجلبي، حوليات الموصل، ص ١٥١.

(٩٧)نقود الملك القاهر عز الدين مسعود الثاني ٦٠٧ – ٦١٥ هـ / ١٢١٠ – ١٢١٨ م، ص١–٣، مقالة متاحة على الرابط الاتي : www.coins4arab.com/vb/attachment.php?attachmentid=3630&d=1158440128

أهمية الحفاظ على التراث الثقافي غير المادي في الموصل

د.علي احمد محمد العبيدي *

تاريخ استلام البحث ٢٠١٨/٤/٣ **تاريخ قبول النشر** ٢٠١٨/٥/٢٧

ملخص البحث:-

يكتسب التراث الثقافي غير المادي أهمية بالغة في المحافظة على الهوية الوطنية وصيانتها وإحيائها. ويتجلى ذلك بمنحه مزيداً من الاهتمام وبمختلف أشكاله، لاسيما الألسن بوصفها حاملةً للتراث الثقافي غير المادي الذي تتناقله الأجيال بصفة متواترة وبذلك يشكل شهادة على الهوية الجماعية.

Taking care off in tangible heritage in Mosul

Asst. Prof. Dr. Ali A. M. Alubaidi

Abstract

Cultural heritage is a great and very important in preserving and minting national identity .This is reflect of fact it gives more attention to the various forms, especially languages, as a carrier of the intangible cultural heritage, which is frequently passed on by generations and constitutes a witness to collective identity.

المقدمة:

(في التراث الثقافي غير المادي)

يعد التراث الثقافي غير المادي جزءاً مهماً من تاريخ الشعوب وثقافتها، فهو الوعاء الذي تستمد منه عقيدتها وتقاليدها وقيمها ولغتها وأفكارها وممارساتها وأسلوب حياتها الذي يعبّر عن ثقافتها وهويتها الوطنية، كما يعد جسر التواصل بين الأجيال، وإحدى الركائز الأساسية في عملية التنمية والتطوير والبناء،وهو المكوّن الأساس في صياغة الشخصية وبلورة الهوية الوطنية لكل شعب من الشعوب*.

وإننا إذ نعيش اليوم تحديات متنامية في سبيل الحفاظ على هويتنا الوطنية في ظل تركيبة سكانية معقدة وواقع يفرض علينا مجاراة التطور الحضاري والتغيرات الاجتماعية المتلاحقة، فلا سبيل لنا نحو الحفاظ على هذه الهوية الوطنية في ظل هذه التحديات، سوى العمل بجد للحفاظ على موروثنا الثقافي وترسيخه في نفوس أبنائنا ليصبح جزءاً من واقع حياتهم اليومية.

* استاذ مساعد، رئيس قسم الدراسات الادبية والتوثيق، مركز دراسات الموصل، جامعة الموصل.

ويُعرَّف التراث الثقافي غير المادي بحسب اتفاقية اليونسكو سنة ٢٠٠٣ في باريس التي عُرفت بـ (اتفاقية صَون التراث الثقافي اللامادي) بأنه مجموعة: "الممارسات، والتصورات، وأشكال التعبير، والمعارف، والمهارات وما يرتبط بها من آلات، وقطع ومصنوعات وأماكن ثقافية، التي تعدها الجماعات والمجموعات، وأحياناً الأفراد، جزءاً من تراثهم الثقافي.

وهذا التراث الثقافي غير المادي ينتقل من جيل إلى جيل، ويتحقق بعثه من جديد من قِبل الجماعات، والمجموعات طبقاً لبيئتهم، وتفاعلهم مع الطبيعة ومع تاريخهم، وهو يعطيهم الشعور بالهوية والاستمرارية، بما يسهم في تطوير احترام التنوع الثقافي، والإبداع الإنساني"[١]. وبذلك ينسحب مفهوم التراث الثقافي غير المادي بشكل كبير على التقاليد المعيشية، والتعبيرات الثقافية للمجموعات، والأفراد، والعمليات الإبداعية، والمعرفية، والقيم التي تُمكّن من إنتاج هذه التعبيرات الثقافية، وطبيعة العلاقة بين المنتجين والمتلقين لهذه التعبيرات، وتَسِم هذه المصادر التراثية الثقافية خصوصية كل شعب، وتؤدي البيئة الاجتماعية والطبيعية دوراً في تكوينها،إذ تعدّ من العوامل الأساسية في تميّز أفراد هذا المجتمع عن غيره.

يكتسب التراث الثقافي أهميته البالغة في محافظته على الهوية الوطنية وصيانتها وإحيائها. ويتجلى ذلك بخاصة في مزيد من الاهتمام بالمخزون الحضاري بمختلف أشكاله ومن ضمنها تكثيف العناية بالموروث الشفاهي ومنها الألسن بوصفها حاضنةً للتراث الثقافي غير المادي الذي تتناقله الأجيال بصفة متواترة ويشكل شهادة على الهوية الجماعية. كما يمثل التراث الثقافي غير المادي الذاكرة العريقة لمعارف الجماعة وصنائعهم ومعتقداتهم وحذق معارفهم التقليدية ومختلف تعابيرهم عن حياتهم اليومية.

فحين ندرك الروابط الحميمة بين التراث المادي وغير المادي، سيتأكد لنا أن الفصل بينهما صعب، فالآلات الموسيقية التراثية مثلا توجد في نقطة تقاطع بين نوعين من التراث، فهي تراث مادي بالنظر إلى كونها ملموسة ومصنوعة من مواد محددة، وهي أيضًا تراث غير مادي نظراً لخبرات صانعها ومهاراته.وعليه يحق لنا تصنيف التراث الثقافي: بأنه تشكيلة من القيم المادية واللامادية التي تستوعب الموضوعات والتقنيات،والخبرات،والمعارف،والمعتقدات والعادات، التي خلفها لنا أسلافنا بالتلقين والسماع لنقلها إلى الأجيال التالية، وهذه العناصر والمكونات كلها، تتقاسم خاصية محددة، وهي كونها موارد غير قابلة للتجدد، فكل عنصر أو مظهر يهمل سيضيع إلى الأبد،فمن هنا وجب الحفاظ على التراث الثقافي وتثمينه[٢].

ولا يختلف اثنان في أصالة التراث الثقافي غير المادي وعراقته، واللافت للانتباه أن هذا الارث لم يحظ بالعناية اللازمة، فكم من الحكايات والأساطير والأغاني والأشعار الشعبيّة وغيرها من التعبيرات قد اندثرت بموت أصحابها؟! وهي خسارة جسيمة ناتجة أساسا عن قلّة وعي بأهميّة هذا المكوّن الثقافي والحضاري لهويتنا، وعن الاحتقار الذي ينظر به بعضهم لهذا

الارث بوصفه من نتاج العامة أو المهمشين لذلك فهو مادة بسيطة لا ترتقي إلى مستوى إبداع النخبة؟!

ومما لاشك فيه أن هذا التقييم يأتي مجانبا للحقيقة وللأمانة العلمية إذ ينمّ عن قصور ذهني وافتقار الى الإحساس بالمسؤولية عن قصد أو دونه، فإذا كانت البشرية قد حققت منذ الثورة الصناعية وصولاً الى الثورة الرقمية مكاسب عديدة بإفادتها من الابتكارات التكنولوجية، بدرجات متفاوتة تختلف باختلاف ذائقة الشعوب مما ساعدها على الارتقاء بمستويات معيشتها لكنّ هذا التحول قد ترك أثارا سلبية أتت على حساب الهوية والخصائص الثقافية المميزة لكل مجموعة بشرية ولاسيما تلك التي تفتقر الى التقدم العلمي والتكنولوجي وتعاني من صعوبات اجتماعية واقتصادية كأغلب البلاد العربية.

وتبرز أهمية التراث الثقافي غير المادي لدواع ثقافية وحضارية واقتصادية واجتماعية وأخرى وطنية وأمور تتعلق بمخاطر العولمة وتحدياتها وكذلك لأمور تربوية وتعليمية، ذلك أنه بوساطته يتم التركيز على الدور الحضاري للشعوب والمحافظة على مكوناتها الثقافية غير المادية،الشعبية الفولكلورية والشفاهية من الاندثار، وبخاصة أن هذا الحفاظ إنما يحقق التواصل المعرفي والوجداني بين الأفراد والجماعات ويطور إحساسهم بالمسؤولية المشتركة إزاء حضارة بلدانهم وإغناء تنوعهم الثقافي، وكل ما يجعلهم يسعون لصون تراثهم غير المادي وإدارته ورصده وحصره بغية الإسهام في التنمية المستدامة، ومن أجل زرع قيم جديدة للأطفال واليافعين بكل ما يساعد في إدراك الجذور والهوية الثقافية الاجتماعية(٣).

إنّ أهمية المحافظة على التراث الثقافي غير المادي تمثل صمام أمان لتثبيت الهوية الوطنية والقومية، فهو إبداع مخصوص مميز تصوغه عبقرية الفكر الإنساني ويثريه الخيال الشعبي في ارتباط وثيق بالتاريخ والجغرافيا، لذلك فإن الحاجة ملحة للتعامل مع تراثنا تعاملا عقلانيا جاداً وليس عاطفياً أومُتحفّيا عبر جمعه وتصنيفه وتوظيفه في الحياة اليومية وإدراجه في الدورة الاقتصادية بوصفه رافداً من روافد السياحة الثقافية والاستلهام من خصوصياته في المجال الفني والإبداعي، بل لكي يظلّ موروثنا مكوّنا أساسيا من مكونات هويّتنا نحتمي به في خضم التيارات الجارفة الوافدة من كل اتجاه في ظل عولمة تسعى الى اكتساح المجتمعات وتنميطها والهيمنة عليها.

التمهيد: كيفية صون التراث الثقافي غير المادي.

ويقصد بعبارة (الصَون): تلك التدابير الرامية إلى ضمان استدامة التراث الثقافي غير المادي، وذلك بتحديد هذا التراث وتوثيقه وإجراء البحوث فيه والمحافظة عليه وحمايته وتعزيزه وإبرازه ونقله، لا سيما عن طريق التعليم النظامي وغير النظامي، وإحياء مختلف جوانب هذا الموروث،وإن ما يميزه هي الحيوية التي تجعله قادراً على الاستمرار والحياة ككائن حي يتكيف

باستمرار مع تطور المجتمعات والبيئة والمحيط ليمضي في وجوده على الرغم من هشاشته وعدم الإهتمام به[٤].

إنّ التراث الثقافي غير المادي هشّ وسريع الاندثار وعمره رهين أعمار حَمَلَتَه إن لم يجد الوسيلة المُثلى لتوثيقه وتمريره الى اللاّحق من الأجيال، وتتطلّب إجراءات صونه كثيراً من المتابعة والجهد، ومنهجية واضحة قوامها تحديد الأولويات وتأطير وضبط الأعمال والأنشطة ذات العلاقة قانونيا وإداريا وماليا وتقنيا، لضمان أوفر فرص النجاح لتوثيقه وصيانته[٥]، وهذا ما يصعّب تحقيقه في ظلّ التعاطي معه من خلال قرارات سطحية لا تمس تعقيدات الواقع، ولذا يجدر بنا أن نتساءل كم فقد بلدنا ذاكرة تختزن رصيداً هائلاً من ذلك الموروث خلال عشر السنوات الماضية؟ – أي بعد مصادقة العراق على اتفاقية اليونسكو – وكم من مهارة وحرفة في طريقها إلى الزّوال؟ أو الذي هو بصدد التّلاشي من موروثنا الشّفوي؟

ـ أقسام التراث الثقافي:

يمكن تقسيم التراث الثقافي على قسمين هما:

١– التراث الثقافي الذي يعني العادات والتقاليد والمعتقدات والأعراف واللهجات والأدب الشعبي بأصنافه جميعاً.

٢– الفنون الشعبية وهي الحرف الشعبية وما تشتمل عليه من أدوات الزراعة والدباغة وصناعة الجلود والحديد والخشب والنسيج وصناعة الفخار والملبوسات... وغيرها.

المبحث الأول: التراث الثقافي غير المادي في مدينة الموصل.

إنّ التراث الثقافي غير المادي أمانة مجتمعية، على المجتمع الموصلي بكل أطيافه المحافظة عليه بعد جمعه وتوثيقه وتصنيفه، ليبقى ذخيرة حية للأجيال القادمة، وهذا الاهتمام، وهذه الرعاية لا يأتيان دون الوعي بأهمية التراث سواء كان لا مادياً أم مادياً، فالتراث دليل الهوية والهوية هي التي تحفظ لنا مكانة في العالم، وهي التي تقدم بالصوت والصورة والكلمة ثقافتنا الى هذا العالم[٦]. ومن هنا تأتي أهمية الحفاظ على موروثنا الثقافي في مدينة الموصل بشقيه (المادي وغير المادي) لأنه مدخل مناسب لدراسة الماضي وفهم الحاضر واستشراف المستقبل.

نظرا للدور الايجابي الذي يضطلع به التراث الشفاهي في الحفاظ على الذاكرة الثقافية الجماعية فقد اضطلع مركز دراسات الموصل في جامعة الموصل آخذاً على عاتقه الدور الريادي في إقامة الندوات التي تتمحور بمعارفنا الشعبية، وقام بطباعة الكتب لبعض المهتمين بهذا الشأن،وقام عدد من الباحثين في المركز بكتابة البحوث المتعلقة بجمع ودراسة أهم الموضوعات الخاصة بالتراث الثقافي غير المادي لمدينة الموصل، ومنها(الحكاية الشعبية، والألعاب الشعبية، والمهن الشعبية، والأغاني الشعبية، والأمثال الشعبية، وأغاني هدهدة الأطفال،

والألغاز الشعبية، والمعتقدات الشعبية،.....الخ) من الأبحاث التي عالجت التراث الثقافي غير المادي.

ويمكن دراسة التراث الشعبي بوصفه مجالاً معرفياً متعدد الأبعاد، ويتشكل من شقين: الشق الشفهي (غير المادي) ويتكون من: **الفنون القولية، أو الأدب الشعبي** وتشتمل على (الشعر الشعبي، والحكاية الشعبية، والمثل، واللغز، والنادرة، والأحجية، والسير، والمدائح، والموسيقى وأغاني العمل، والأعياد والمناسبات الاجتماعية، والرقص والحركات التعبيرية، والطقوس والمعتقدات، والسحر، والتعاويذ، والجان، والرموز الرقمية، والألوان، ودلالات الجسم الإنساني، والعادات والتقاليد (المتعلقة بدورة الحياة: الولادة، والزواج، والوفاة)، والمعارف (كالطب الشعبي)، والتصورات بشأن (الجمادات، والنباتات، والحيوانات). وهذا الشق من التراث لا يقل أهمية عن التراث الثقافي والطبيعي، فهو يُخلد ذاكرة المدينة وهويتها،لأنه يرتبط بالمأثورات الشعبية والمعارف، والممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون، وكذلك المهارات المرتبطة بالفنون والحرف التقليدية وفنون الأداء. وبهذا فإن مصطلح (التراث الثقافي) لا يقتصر على المعالم التاريخية الأثرية والتحف الفنية فحسب،وإنما يشمل المأثورات الشفوية،والممارسات الاجتماعية،والمعارف والمهارات الحرفية التقليدية،فضلاً عن الأكلات الشعبية، والوصفات التي تعود إلى عصور قديمة.

والتراث غير المادي، شأن الثقافة، يتغير ويتطور ويزداد ثراءً جيلاً بعد جيل، ولكن في ظل الحداثة والعولمة فإنّ كثيراً من أشكال التعبير ومظاهر التراث الثقافي غير المادي باتت مهددة بالاندثار، وبذلك أصبحنا بحاجة لاتخاذ تدابير من أجل أن يظل هذا التراث جزءاً لا يتجزأ من الثقافة الشعبية والهوية الوطنية، فنحن بحاجة لمحاولات جادة لإحياء وتطويع التراث ليُصبح في متناول الجيل الجديد، ويغدو منبعاً ثرياً يُسهم في تحقيق الثقافة[٧]. إبقاء للقيم الروحية والاجتماعية الرابطة بين أفراد المجتمع المحلي.

أما **الشق الفعلي (المادي)** فيتكون من: الاحتفالات والأعياد والمناسبات الزواج والولادة والرقص والألعاب والزيارات والأزياء وأثاث البيت وزينته والمنتجات المادية المحسوسة كالثياب المطرزة والحلي وأدوات الموسيقى، والطبخ،والحصاد،والأبنية والمساكن، والحرف الشعبية؛ ومجمل متطلبات الحياة الشعبية بشقّيها الروحي والمادي التي تصور لنا مدى ارتباطها بحياة الشعب ارتباطاً وثيقاً،وبطقوسه وعاداته وتقاليده،وعلى صفحته تنعكس خصائص مختلف المراحل التاريخية؛ لذلك نشاهد علوماً أخرى ينصب اهتمامها عليه، مثل علم اللغة والأدب والأجناس والتاريخ والفلك... الخ. ويتناول كل علم من هذه العلوم دراسة التراث الشعبي من وجهة نظره، فعلم اللغة يتناول الكلمة في التراث،وتاريخ اللغة التي تتراءى فيه،وعلاقتها باللغات الأخرى...وهكذا.

أمّا الأدب فيدرس السمات العامة للتراث الشعبي والفرق بينه وبين الأدب الرسمي، وعلم الموسيقى يدرس العناصر الموسيقية والمسرحية فيه(التراث)، وعلم الأجناس يتعرض لدور التراث وأثره في حياة الشعوب وارتباطه بالطقوس والتقاليد، ويبحث علم التاريخ في الوعي الشعبي لتفهم الأحداث التاريخية التي يعكسها بصفته ذاكرة وهويّة للأجيال، إنّ الثقافة المادية وغير المادية هما وجهان لعملة واحدة هي ثقافة المجتمع؛ إذ لا يمكن الفصل بينهما لأن كل منهما يؤثر في الآخر ويتأثر به ويجب أن يكون هناك انسجام تام بين شقيّ الثقافة هذين، وذلك من أجل ثبات ثقافة المجتمع ورسوخها ودوامها.

يمكن للتراث الثقافي غير المادي أن يجمع ويوثق شأنه شأن المعالم التاريخية والأعمال الفنية. وتتمثل الخطوة الأولى في صون التراث الثقافي غير المادي بتحديد أشكال التعبير والمظاهر التي يمكن وصفها تراثاً ثقافياً غير مادي ثم تسجل أو تدرج في قوائم الحصر. لتصبح قوائم الحصر هذه أساساً لوضع تدابير حفظ مظاهر التراث الثقافي غير المادي المدرج والموصوف في هذه القوائم وأشكال تعبيره. وينبغي أن يشارك المجتمع المحلي في تحديد التراث الثقافي غير المادي وتحديده، فهو الذي يقرر أي الممارسات تشكل جزءا من تراثه الثقافي(٨).

والتراث الثقافي لا يمكن أن يعني الماضي فحسب، بل هو حلقة الوصل بين الماضي والحاضر والمستقبل، وذلك من خلال الأجيال التي تتناقله، وإذا كانت الهوية من سمات حضارية وثقافية هي القاسم المشترك بين أبناء الشعب الواحد، والتي تميزه عن غيره من الشعوب، فإنّ التراث الشعبي هو العمود الفقري لهذه الهوية، وبوساطته–لاسيما مع ازدياد قيمته وتحسين كيفية التعامل معه– يستطيع المجتمع أن يصنع لنفسه مكانة محترمة في الحضارة الانسانية عامة(٩).

المبحث الثاني (ثقافة المجتمع الموصلي):

يتميز الإنسان عن غيره من الكائنات الأخرى بأن له بناء معيارياً يعكس القيم لكل ما تحتويه من معايير وقواعد سلوكية، ولكل مجتمع إنساني ثقافة معينة تحدد رؤيته لما يحيط به من أطر مادية ومعنوية. ومع أن لكل مجتمع ثقافة خاصة به ينفرد بها عن غيره من الشعوب إلا أن هناك تشابهاً بين المجتمعات في بعض العناصر الثقافية.

تزخر مدينة الموصل بكثير من أوجه التراث الثقافي غير المادي، يتمثل بكل ماهو شفاهي ومتناقل من جيل لآخر، ويعد التراث الثقافي غير المادي جزءًا مهماً من الذاكرة الشعبية الموصلية على المستويين الوطني والإنساني، فينبغي على المعنيين في مدينة الموصل الاهتمام به وتوثيقه وحمايته من الضياع والنسيان، لاسيما أنه تراث روحي أو وجداني، يؤدي إهماله أو التهاون في حفظه الى جعله ذرات تنثرها ريح الزمن، حتى تختفي، وبذلك يُنسى تدريجيا، وقد يجيء زمن لا يذكر عنه شيئا وكأنّه لم يكن، وهو بذلك يفقد خصوصيته وهويته التراثية لانتفاء صفة الاستمرار عنه، لنطلق عليه تسمية التراث.

والمجتمع الموصلي كغيره من المجتمعات، يتعدد تراثه الثقافي ويتنوع، وهو بمثابة الوجه الحي للفنون في العمران والصناعات التقليدية والشعر والطبخ واللباس التقليدي والغناء والرقصات الشعبية ويعود تراثه الى الجذور والتاريخ والحضارة الاولى بالمنطقة.

ويتمثل التراث الثقافي غير المادي في الموصل بـ :

ـ العادات والتقاليد:

ترتكز العادات والتقاليد على الموروث الثقافي الشعبي الذي ينبع من أصالة المجتمع وتمتد قيمته الإنسانية حتى أعماقه ويقتبس منها ذلك المجتمع المقومات السامية للأسس المكونة لهويته الدينية بصفة عامة والعربية بصفة خاصة. وقد تميّزت مدينة الموصل بعاداتها وتقاليدها العربية الأصيلة الملتزمة بالأخلاق والقيم الدينية، سواء في عادات الخطوبة أو الزواج أو المآتم والموالد والأعياد والمناسبات الأخرى.

الأعياد: تمثل الأعياد في حياة الشعوب فرصة للاحتفال،وإدخال السرور إلى النفوس التي أعيتها تعقيدات الحياة ومشكلاتها فهي مناسبة للخروج من كدر المعيش اليومي بأسلوبه المعهود وإطلاق العنان لأشكال احتفالية متنوعة، ولكل مدينة أيام للترويح والترفيه في أوقات خاصة من حياتهم ولمدينة الموصل أيامها وأعيادها، فضلا عن عيد الفطر وعيد الأضحى فقد كان لأهل الموصل مناسبات أخرى للاحتفال والفرح منها:

- أيام الربيع: الذي يبدأ مع بداية الربيع في الشهر الثالث من السنة، إذ يحتفل الناس بالخروج الى الأماكن الواسعة(الجول) التي تتواجد فيها الخضرة والمياه مبتهجين بقدوم الربيع واعتدال المناخ، وقد كان يُقام في الموصل مهرجان سنوي يسمى(مهرجان الربيع).
- يوم رجب: ويوافق هذا اليوم ليلة السابع والعشرين من رجب ذكرى الإسراء والمعراج.

_يوم الشعبانية: في منتصف شهر شعبان،حيث يحتفل الناس به ويصومون نهاره مستبشرين بقرب قدوم شهر رمضان.

- يوم المولد النبوي الشريف: وتقام حفلات الذكر والمديح في المساجد ويطلق عليها(المولدية) ويحتفل الناس بهذه المناسبة كلٌ على طريقته الخاصة وتوزع الهدايا والأطعمة والحلويات على المارة في شوارع الموصل.
- ليلة القدر: هي ليلة القدر في السابع والعشرين من رمضان، ويقوم الناس بإحياء هذه الليلة في المساجد وتقام فيه الصلوات والأدعية حتى مطلع الفجر ويكثر فيه توزيع الصدقات.
- **مراسيم الختان:** لأهل الموصل طقوس ومراسيم خاصة يتم من خلالها الاحتفال بالختان تميزها عن مناطق أخرى؛ يقام حفل الختان بطريقة إذ تقوم النسوة بترديد أغان من التراث الموصلي خاصة بهذه المناسبة ومنها:

يم المطهّغ دعلقي الناغه حس المطهغ شلش داره[١٠].

ثم تقدم الهدايا للطفل المختون من الحاضرين حفلة الختان(الطهوغ).

- **مراسيم الزواج:** مراسيم الزواج في الموصل مازالت تحتفظ بطقوس تراثية وعادات خاصة الى حدٍ ما، وهنالك تقاليد خاصة لأهل الأرياف والبدو. ولمراسيم الزواج في الموصل عدة مراحل منها:

- مرحلة الخطوبة وما يعقبها.
- مرحلة القْطوغْ: وهو اليوم الذي تحدد فيه النقديّة(النيشان).
- مرحلة الحمالي(الجهاز).
- مرحلة حفلة (النيشان).
- مرحلة جهاز العروس والعَقِدْ .
- ليلة الحناء .
- حفلة الزفاف.
- ليلة الدخلة.
- الصبحية.
- الأربعة أيام(١١).

_ التراث القولي:

إن هذا النوع من الأدب متداول بشكل شفاهي عبر العصور التاريخية، متوارث جيلاً بعد جيل، ويشمل الفنون القولية مثل (الأغاني الشعبية والحكاية الشعبية، والأمثال الشعبية، والألغاز، والنكات، والنوادر، ونداءات الباعة، وغيرها من التعابير الشعبية الشائعة، وهو العمود الفقري في الموروث الشعبي. ولا يعود إبداعه لفرد بعينه، بل شاركت الجماهير في إبداعه عن طريق قبولها لها، وتعديلها لصورته، وتهذيبها لصياغته لتناسب ذوقها الشعبي قبل أن تتداوله، وفي أثناء تداوله، وما احتفاء الجماعة بها، إلا لأنها صادرة عن وجدانها الجمعي.

والتراث الشعبي بصورة عامة ومنه: (الأغنية الشعبية) ذات الطابع التراثي، يمثل منعطفات اجتماعية تكتنف سلوكيات الشعوب، يقرر واقعها الاقتصادي والثقافي والنفسي في آن واحد. وبما أن اللغة مادتها، فإن الشعر الشعبي يظهر حقيقة الشخصية الموصلية وهو حدث سماعي مثقل بالصراع الذي يتجسد يوميا بأسراره ومقاصده في ميدان الحياة الاجتماعية والدينية وله صدى في الروح والذاكرة، وتحمل الأغنية الشعبية الأصالة عبر التاريخ الطويل وتعبر عن روح المجتمع الموصلي وطموحاته وتطلعاته وهي أنواع:

- **أغاني هدهدة الأطفال:** وهي أغان تغنيها الامهات لتنويم أولادهنّ، ذات ايقاعٍ حزين غالباً ومنها:

دللوي دللوي يالولد يابني دللوي عدوك عليل وساكن الجول

وهدهدتوك بليل الطويل وقعتو عل المولى دخيل

وقلو يامولى احفظلي الجنين

انيمك بالليل وانا وحدي انجوم السما تسري

وانا اهدّي بعد عزيزي وبعد قلبي(١٢)

أغاني الألعاب الشعبية: وهي أغانٍ يغنيها الأطفال في أثناء لعبهم، ذات ايقاعٍ موسيقي راقص. ولعل اللعب عند الأطفال من أقوى الدوافع لعملية الإبداع والخلق، فهنالك أغان تبدأ فورية بسيطة يُزادُ عليها مع الأيام حتى تصبح ألعاباً كاملة متوارثة، كما في اغنية لعبة:

" أم الريث "

يمُ الريث ريثينا لولا المطر ما جينا

صبونا بالطبشي صبُحْ ولدكم يمشي

صبونا بالغربال صبح ولدكمْ خيال(١٣).

ـ أغاني مراسيم الزواج:

تشكل أغاني مراسيم الزواج والأفراح تراثاً فنياً وكنزاً من الاغنيات التي تتعدد أشكالها وألوانها وطقوسها، وبحكم وظيفتها الاجتماعية والترفيهية وارتباطها بأهم المسرات في حياة الانسان، كانت لها الأهمية الكبرى من بين أشكال التعبير الشعبي الاخرى. إذ أنها لم تهمل أو تنسى أو تندثر الى حدٍ كبير حتى الآن، على الرغم من العوامل والمؤثرات والتأثيرات السلبية التي كانت لها اليد الطولى في اندثار نوعيات أخرى منها ونسيانها. وهذه الأغاني تُؤدى مشتركة في مناسبات الاحتفال بالخطبة والزواج بطقوسها وخطواتها المختلفة(١٤). ومن بين هذه الأغاني المتوارثة الأكثر شعبية اغنية:

بلله فغشولو بصدغ الإيوانا .. مات العدو واصفغت ألوانا

فغشتولو(لفلان) وهلهلتلو .. بخشيش من عد أمو كن جانا

ودقومي يا ميمتو وتباهي بقامتو.. هذا (فلان) المدلل هليوم يوم زفتو

ودقومي يا خيتو وتباهي بطلعتو .. هذا(فلان) المدلل هليوم يوم دخلتو(١٥)

- **أغاني العمل:** وهي مجموعة من الأغاني المأثورة التي تؤديها الجماعة سواء من الرجال أو الشباب، أو مجموعة من النسوة والفتيات في أثناء العمل الجماعي الذي لا يرتبط بحركة موحدةٍ منتظمة، مثل اغاني البناء وأغاني الحصاد، وغيرها من الأعمال الأخرى،الغرض منها استنهاض همّة العمال لينشطوا في عملهم، فيغني لهم أحدهم، ويرد عليه العمال والأطفال، ولعل من أكثر هذه الأغاني شعبية عند بناء الدور هي:

بنيناكي ياوده بنيناكي بالعزّي بناكي الصبي لسمغ أبو محزمْ الجزّي
ومنو عقد العقدي واستادي عقد العقدي
ومنو التعب بيها وهو بيها يدري(١٦)

- **أغاني الحصاد:** هي نوع من الحُداء باللهجة العامية الدارجة، ولكل منطقة لهجتها الخاصة بها، وتشبه الى حد كبير الموشح الشعري من جهة ترتيب قوافيه أو الزجل العامي في تركيب أبياته، وغالباً ما تكون أغراضها في الغزل ووصف محاسن الحبيبة وهموم المحبين، وعندما يكون الغزل بالذات البشرية، فإنه يولّدُ حالة من اللاشعور يمكن الإفادة منها في تجاوز حالة التعب والإرهاق التي تصاحب عملية الحصاد، ونادراً ما تكون في الأغراض الاخرى، ومنها:

هلا بعدله الغويه وكرحه وخاتون وحبتج يانظيفه تطلج المجنون
ياغالي من أجلكم رأس الكَلب مطعون يبو رثمات من ريجك تداويني
حسن ألف حجي من خاطرك يازين اشكد عندك نجابه وماتخون الدين
ياداده شلون شوكي بضبط هالعينين مثل بكرة عفا بذود الميامين(١٧)

ـ الحكاية الشعبية: وهي فن القول التلقائي العريق المتداول بالفعل، المتوارث جيلاً بعد جيل والمرتبط بالعادات والتقاليد. وتمثل العمود الفقري في الموروث الثقافي، وهي التي نطلق عليها مجازاً الأدب الشعبي(١٨). وللحكاية الشعبية مدىً تعبيري غير اعتيادي، لأن الحكاية تشترك مع الفنون الشعبية الأخرى، في حقيقة كونها عملاً وتكويناً إبداعياً فذاً قادراً على تشكيل صورة مرئية خيالية. وتعد الحكاية الشعبية في الموصل من أهم وسائل الاستمتاع للأسرة الموصلية، ولاسيما في ليالي الشتاء الباردة والطويلة، فقد كانت الجدات يقمنّ بدور الراوي لهذه الحكايات قرب المواقد. وعادة ما تبدأ الحكاية الشعبية الموصلية بعبارة(**كان ياما كان وعلى الله التكلان، كل من علينو ذنب يقول التوبة واستغفر الله)** وهذا موطن الاختلاف في الحكاية الشعبية الموصلية،عن مثيلاتها من الحكايات الشعبية العراقية والعربية في بداياتها أو استهلالاتها، فهي تحث المتلقي منذ بدايتها التوكل على الله في بداية كل أمر من حياتنا،ومنها-بالطبع- الاستهلال في القص الشعبي، تحث المتلقي على التوبة والاستغفار من كل ذنب، لتهيئة المتلقي نفسياً وذهنياً لاستقبال الحكي، وقد امتازت الخواتيم هي الاخرى عن مثيلاتها من الحكايات الشعبية المحلية والعربية، باستعانتها بألفاظ محلية يكثر تداولها في كل بيت، فقيل في الخواتيم(كنا عدكم وجينا ولو كان بيتنا قغيب كان جبنا لكم حمل زبيب) وفي بعض الروايات(كنا عدكم وجينا، لو بيتنا قغيب جبنا لكم حمل قسب* وحمل زبيب).

وتحمل الحكاية الشعبية في مضمونها طابعاً إنسانياً ومغزى أخلاقياً،الغرض منه غرس المبادئ والمثل في النفوس؛ لأنها تحاكي الكُره، والبخل، والجبن، والكسل، والاعتداء، والاستبداد، بشكل ساخر؛ لتصل إلى تطهير نفوس السامعين، والسمو بسلوكهم وتفكيرهم عموماً.

وقد جمع بعض الباحثين في الموصل الحكاية الشعبية ونشرها في كتب،ومنهم الباحث احمد الصوفي في كتابه (الحكاية الشعبية في الموصل) والباحث التراثي أزهر العبيدي في كتابه (الحكاية الشعبية الموصلية) ونشر بعض منهم عدداً منها في مجلة (التراث الشعبي) العراقية، في أوقات متباعدة، كما أصبحت الحكاية الشعبية الموصلية مجالاً رحباً بتوظيفها لعدد من الأدباء في نصوصهم الأدبية.

ـ المثل الشعبي: تعد الأمثال الشعبية من أكثر أنواع الأدب الشعبي انتشاراً وتداولاً. فاستعمالها لا يتطلب أية مواصفات أو مهارات معينة من قبل المستعمل، ولا توجد أية ظروف نفسية ومناسبات اجتماعية يمنع معها استعمال الأمثال على العكس من ذلك فإن لكل ظرف ولكل مناسبة مجموعة من الأمثال تتناسب معها، فالذهن لا يستدعي مثلاً ما من خزانته إلا إذا كان، من جهة، عارفاً عن طريق العادة معنى المثل الذي يصبح في حكم الدليل اللغوي ومتمثلاً للموضوع الخارجي الذي يريد أن يجعله مضرباً للمثل. وتمتاز الأمثال الشعبية بعموميتها بقدر ما تحتفظ بخصوصيتها في اللغة واللهجة وارتباطها بالبيئة، فالمثل مشترك بالهوى والحدث والوعظ، وطبيعة علاقة الناس وما يربط بينهم من مشاعر إنسانية، إذ يعد ذلك فالمثل ناتج عن الثقافة الشعبية، ويتفق المعنى والغاية في كل أمثال العالم، وإن اختلفت كلماتها أو شخصياتها أو حتى طرائق إلقائها ولهجات شعوبها، فالمثل يبقى ابن بيئته ولغته وحدثه[١٩].

ـ مدى شيوع الأمثال الشعبية في الموصل:

نعني بمدى شيوع الأمثال عدد المرات التي يتكرر بها ذكر كل مثل من قبل أشخاص مختلفين من أفراد العينة، وقد جمعت المعلومات المستعملة في هذه الدراسة من عينة مكونة من (٢٠) شخصاً من أبناء مدينة الموصل وكانت طريقة الجمع بأن أعطيت كل شخص ورقة، وطلبت من كل واحد منهم أن يحاول كتابة أكبر عدد ممكن من الأمثال الشعبية التي يستعملها، أو يستطيع أن يتذكرها خلال مدة (١٠) دقائق، ثم قمت بجمع الأوراق بعد انتهاء العشر دقائق مباشرة. وقمت بعد ذلك بتفريغ جميع الإجابات على بطاقات مكنتني بإجراء التحليلات التي سنشرحها فيما بعد.

النتائج:

كان مجموع ما ذكره أفراد العينة (١٢٦) مثلاً ، وقد تراوح عدد ما ذكره الفرد من (٣) إلى (١٢) مثلاً. ولم تكن جميع الأمثال التي أدرجت مستوفية لشروط المثل الشعبي الحقيقي فقد كان بينها أمثالاً باللهجة الفصحى، أو كانت حكماً أو تشابيه شعبية، أو أقوال مأثورة، أو جاء

المثل مشوهاً إلى درجة أبعدته عن الصيغة الحقيقية للمثل المقصود، وقد رفضنا مثل هذه الأمثال المخطوءة واحتفظنا لكل فرد من أفراد العينة برقمين كان أحدهما مجموع ما أدرجه الشخص من أمثال والثاني مجموع ما وجد مقبولاً من تلك الأمثال. وقد حكمنا على (٩٠) مثلاً من أصل (١٢٦) بأنها صحيحة ومقبولة وبذلك كان معدل الأمثال الصحيحة التي ذكرها كل فرد من الأمثال الصحيحة من صفر إلى (٦) أمثال. وقد تكرر ذكر بعض الأمثال من قبل عدد من أفراد العينة وبعد حذف الأمثال المتكررة وجدنا أن جميع أفراد العينة ذكروا ما مجموعه (٦٠) مثلاً مختلفاً من الأمثال الشعبية الحقيقية والمذكورة بشكل صحيح، أي أن كل فرد من أفراد العينة ذكر ما معدله حوالي (٤) أمثال شعبية صحيحة لم يذكرها غيره من أفراد العينة. وبالعكس يمكننا القول أن ما معدله حوالي(٦) أمثال من الـ (١٢٦) مثلاً التي ذكرها كل فرد جرى ذكرها من قبل فرد واحد آخر على الأقل من أفراد العينة. وتراوح تكرار الأمثال المختلفة من مرة واحدة إلى ١٢ مرة .

ويظهر في القائمة الآتية جميع الأمثال التي تكرر ذكرها من قبل عشرة أفراد أو أكثر.

الترتيب من حيث كثرة التكرار	نص المثل	عدد مرات التكرار
١	أبو عادي ما يترك عادتو	٦
٢	إذا كان صديقك حلو لا تاكلو كلّه	٧
٣	اقعد اعوج واحكي عدل	٦
٤	إلما ييجي معاك تعال معانو	٥
٥	ايودّينو عالشط وايجيبو عطشان	٣
٦	بيت الأسكافي حيفي وبيت السقا عطشان ـــ كلمن يمد غجلو على قد بساطو	٤ ٣
٧	الحائط لوّا آذان ـــ ذيل الكلب مايتعدل كل ضيق وبعدو فرج	٣ ٣ ٢
٨	حميتك تحبك ما كل أصيبيعك سوا	١٢ ١٢ ١١
٩	الدم ما يصيغ ماي ماكل ؟ ! شارب ؟ !	١١ ١٠
١٠	راح جلدو لدباغ	١٠

	ضغب عصفوغين بحجغ	١٠

ومن خلال معايشة الباحث لواقع المجتمع الموصلي، لاحظ استخدام الأمثال الشعبية بكثرة من قبل فئات المجتمع جميعاً، على اختلاف مستويات أفرادها الثقافية والاجتماعية، فمنهم من يستخدم هذه الأمثال لمجرد التسلية والسخرية ومنهم من يستخدمها بقصد التوجيه والإرشاد والتذكير، وقد حملت هذه الأمثال في طياتها العديد من القيم كما اشتملت على نقائضها.

وقد تركت الأمثال السلبية آثاراً سيئة على سلوك الأفراد الذين يتعاملون معها عن غير وعيٍ أو إدراك لمضمونها ومقصدها، ومن الملاحظ عزوف الباحثين في البيئة الموصلية عن دراسة الأمثال الشعبية، وإخضاعها لدراسة نقدية على وفق أسس ومعايير علمية واضحة، فضلاً عن وجود فئة من المثقفين الذين يقللون من شأن هذه الأمثال ويتجاهلون أثرها في حياة الناس، وينظرون إليها بوصفها شيئاً من التراث القديم ينبغي أن يسدل عليه الستار[٢٠].

الألغاز الشعبية: تعرف الحزورة أو (الألغاز الشعبية) على أنها ذلك الكلام المبهم المتداول بين عامة الناس،يتم تناقله من جيل إلى أخر، وتكون تارة بصيغة جدية تحمل في طياتها نصائح وعبراً وحكماً مستنبطة من الحياة اليومية، وتأتي تارة في أشكال مضحكة بأسلوب تهكمي وذلك لخلق جو من الطرافة والمرح، وقد تختلف تسميتها من بلد الى آخر، ففي العراق نطلق عليها (الحزورات) وفي مصر (الفوازير) وفي الجزيرة العربية والخليج (الحزازير) وفي بلاد المغرب العربي (الألغاز الشعبية)، وهي من العادات والتقاليد والمعارف الثقافية المكونة للتراث الثقافي غير المادي.

ولم يجد الباحث الى زمن كتابة هذه الدراسة من تصدى لجمع الألغاز الشعبية في مدينة الموصل ودراستها، وسيقوم الباحث في قابل الأيام بعملية جمع الألغاز الشعبية فيها ودراستها بإذن الله، لما لها من الأهمية في موروثنا الثقافي غير المادي.

الاستنتاجات والتوصيات:

١- الاهتمام بالتراث الثقافي غير المادي، والعمل على جرده وحصره وتصنيفه، داعين إلى ضرورة إيجاد مراكز متعددة متخصصة بجمع تراثنا الشعبي ومعرفة كيفية الحفاظ عليه. وسيشكّل هذا الاهتمام اللبِنة الأولى والأهم في توظيفه.

٢-تفعيل التراث الثقافي غير المادي في البرامج الثقافية والتعليمية،ودعوة وسائل الإعلام لنشره، بهدف حمايته وتوثيقه. ووضع برامج دراسية ومسابقات تعليمية خاصة بالموروث الثقافي غير المادي، في مراحل التعليم كلها من الابتدائي وصولاً الى الجامعي، يشرف على إعدادها كوادر بحثية مطلعة بعمق على هذا الموروث، تدرك أهمية تقديمه لأبنائنا ونشره بينهم وترسيخه في نفوسهم، لما له من أهمية في تهذيب النفوس وتعزيز الشعور بالانتماء.

٣ – يعد التراث الثقافي غير المادي في الموصل من الذاكرة الثقافية العراقية والعربية الأصيلة، والحاضنة للقيم الحضارية للأمة، وإبداعاتها الماضية المدونة في الوثائق العتيقة والمخطوطات النفيسة، فضلا عن التراث الشفهي والفنون الشعبية لما له من دور إيجابي في الحفاظ على الذاكرة الثقافية الجماعية.

٤ – إجراء دراسات الجمع والتنقيب والتوثيق والتصنيف والأرشفة والترويج لعناصر التراث اللامادي و نشر الوعي به والانتقال من الصورة المقتصرة على الجوانب المادية الملموسة كالقطع الفنية والحرف والصناعات اليدوية، إلى التركيز على جمع التراث الحي المتمثل بالتعابير وفنون الأداء والعادات والتقاليد والمعتقدات والمعارف الشعبية الاخرى.

٥ – إصدار العديد من الضوابط القانونية والإدارية المحلية والمركزية لحماية التراث الثقافي غير المادي في الموصل وصونه والترويج له في المعارض والندوات والمؤتمرات العلمية.

٦ – وضع برامج إعلانية عن روائع التراث الشفهي غير المادي للموصل وإيجاد مزية تقديرية محلية تعد إجراء أولياً مباشراً وتلقائياً للتعريف بالتراث غير المادي ودعمه.فضلاً عن إقامة مسابقات ومهرجانات للألعاب الشعبية، ومسابقات في الألغاز الشعبية،ومسابقات للشعر الشعبي وتشجيع الشباب على حفظه وتدوينه.

الهوامش :

* بخصوص التراث الثقافي والهوية الوطنية للشعوب ينظر: الفولكلور: الهوية والتاريخ، أشرف صالح، مجلة (كان) التاريخية، مجلد(٥) العدد(١٨) ٢٠١٢، ص١٢، والبحث منشور في المكتبة الافتراضية العلمية العراقية على الموقع الإلكتروني www.ivsl.org.

(١) http://qistas.com/legislations/jor/view / اتفاقية حماية التراث الثقافي غير المادي منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة(اليونسكو) لسنة ٢٠٠٣/ المادة(٢).

(٢) راهنية التراث في عالمنا المعاصر ، عبد الرزاق التجاني
https//aawsat.com/home/article/781471.

(٣) فاروق خورشيد : الموروث الشعبي، دار الشروق، بيروت، لبنان،١٩٩٢،ط١، ١٢.

(٤) إشكالية التراث: فردريك معتوق، مجلة الموقف الأدبي السورية، العدد٤٢٩، ٢٠٠٧، ٤٥.

(٥) https://nawaat.org/portail/ قطاع التّراث بين الحاجات المؤجّلة والقرارات المرتجلة: التّراث الثّقافي اللاّمادّي نموذجا: Hamad Ghodhbani .

(٦) http://folkculturebh.org/ar/index.php?issue / الثقافة الشعبية بين المادي واللامادي: عاطف عطية، مجلة الثقافة الشعبية(الالكترونية) العدد(٣١).

(٧) http://www.alhayat.com/ التراث المادي والتراث المعنوي: علي عفيفي علي غازي.

(٨) http://www.al-jazirah.com/2016/20160221/wo1.htm/ التراث الثقافي غير المادي.. روح الماضي النابضة فينا/ محمد أبو الفتوح غنيم.

(٩) http://www.alayam.com/alayam/Variety/245687/ التراث هو حلقة الوصل بين الماضي والحاضر والمستقبل/ شادية طوقان.

(١٠) للمزيد ينظر: الختان في الموصل: عبد الباري عبد الرزاق النجم، مجلة التراث الشعبي، العدد(٤) ١٩٧٣، ضمن موسوعة الموصل التراثية، منشورات مركز دراسات الموصل، جمع وإعداد أزهر العبيدي، ٣١٣- ٣٢٤ .

(١١) للمزيد ينظر: تقاليد الزواج في الموصل: سعيد الديوه جي، مجلة التراث الشعبي، العدد (٤) ١٩٧٣، ضمن موسوعة الموصل التراثية،٥٢٥-٥٦٠ .

(١٢) للمزيد ينظر: أغان للصغار في الموصل: أنور عبد العزيز، مجلة التراث الشعبي، العددان (٨-٩) ١٩٧٦، ضمن موسوعة الموصل التراثية، ٣٣٧-٣٥٠ .

(١٣) للمزيد ينظر: ألعاب التسلية عند الأطفال: مثري العاني، مجلة التراث الشعبي، العدد (٢-٣)١٩٧٠، ضمن موسوعة الموصل التراثية، ١٢٩-١٤٠.

(١٤) مدخل الى دراسة المأثورات الشعبية الغنائية(الفلكلور الغنائي): فتحي الصنفاوي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،٢٠٠١، ١٠٣

(١٥) للمزيد ينظر: أغاني حفلات الزواج في الموصل، سعيد الديوه جي، مجلة التراث الشعبي، العدد(٥) ١٩٧٣، ضمن موسوعة الموصل التراثية، ٥٦٢ .

(١٦) الأغاني الشعبية الموصلية: زكي إبراهيم، الناشر أزهر العبيدي، مكتب المنصور للاستنساخ، الموصل، العراق، ١٩٩٩، ٥٢

(١٧) الموروث الشعبي الغنائي لقرى جنوب الموصل(أغاني الحصاد): خلف راوي الجميلي _ محمد عجاج جرجيس، مطبعة الشعب ، بغداد، ط ١، ١٩٨٦، ٢٤

(١٨) الفنون الشعبية: احمد رشدي صالح، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، طبعة١٩٦١، ٦٥ .

(١٩) البعد التداولي في الأمثال الشعبية الموصلية: علي احمد محمد العبيدي، بحث مودع في مركز دراسات الموصل، ٢٠١٣ .

(٢٠) المصدر نفسه .

الوعي البيئي الواقع وسبل التطوير
(دراسة ميدانية)

م. هناء جاسم السبعاوي *

تاريخ استلام البحث ٢٠١٨/١/٨
تاريخ قبول النشر ٢٠١٨/١/٢٤

ملخص البحث:-

حاول البحث التعرف على واقع الوعي البيئي عند أفراد المجتمع الموصلي وسبل تطويره من خلال دراسة ميدانية طبقت على مدينة الموصل، وقد توصل البحث إلى قلة الوعي البيئي لدى أفراد العينة من خلال العديد من السلوكيات والتصرفات الخاطئة تجاه طريقة تعاملهم مع البيئة والمتمثلة برمي الزجاجات الفارغة وأعقاب السكاير من المركبات، ورمي القمامة المنزلية في أي مكان فارغ أو الشارع، العبث بالحدائق والمتنزهات العامة.....الخ.

Actual Environmental Consciousness and Means of Development Afield study

Lect. Hanaa jasim AL-Sabawy

Abstract:-

The research tried to introduce to acutalit of the environmental consciousness of individuals of Mosuli society and means of its development through afild study applied in Mosul city .Therefor the research concluded the little environmental consciousness and the wrong behaviors of individuals of the sample through many of wrong behaviors and conducts towarals way of treatment with the envioronment in throwing of wastes from the vehicles and the house garbage in any empty place or street, then playing with the public gardens and parks etc…..

مقدمة:-

خلال العقود الثلاثة الأخيرة تحولت البيئة ومشكلاتها إلى أهم القضايا الإستراتيجية التي تواجه المجتمعات وبدأت حملة جادة من قبل العديد من الدول والمهتمين بالشؤون البيئية في المحافظة على البيئة وحمايتها من خلال وضع الخطط والبرامج وإجراء الدراسات والبحوث العلمية وإنشاء العديد من المؤسسات لدراسة مختلف الموضوعات البيئية التي تمحور عملُها وهدفها الأساس حماية البيئة من اجل الأجيال المقبلة، وكما هو معلوم إن هذه الخطوات تصبح غير مجدية ما لم يساندها وعياً بيئياً لأفراد المجتمع.

فالحديث عن الوعي البيئي له أهميته الكبيرة سيما وان البيئة تمثل الحيز والمحيط المكاني للإنسان والذي يستمد منه مقوماته ويمارس تفاعلاته وعلاقاته مع الآخرين، فالمحافظة

* مدرس، قسم الدراسات التاريخية والاجتماعية، مركز دراسات الموصل، جامعة الموصل.

عليها وحمايتها يتوقف إلى حد كبير على وعي الأفراد من خلال إتباع السلوكيات الفاعلة والايجابية في طريقة تعاملهم مع محيطهم.

وحقيقة الأمر إن مسالة تحقيق الوعي ليس أمراً سهلاً لأنها على مساس بحياة الناس اليومية، فالمسؤولية المباشرة تقع على كل من فردٍ ابتدءاً من البيت وحتى الشارع وكذلك الأمر على الدولة في توفيرها السبل الكفيلة لضمان بيئة نظيفة وصحية. غير أن ما نلاحظه اليوم انتشار الأمية البيئية بشكل لافت للنظر بين أوساط أفراد المجتمع والتي لا تقتصر على غير المتعلمين، بل حتى بين المتعلمين والمثقفين من أفراد المجتمع من خلال ممارسة العديد من السلوكيات التي تسيءُ إلى البيئة وجمالها وتشوه منظر المدينة من خلال التصرفات العشوائية. منها رمي المخلفات في الشوارع وأعقاب السكاير والزجاجات الفارغة في الطرقات ومن المركبات .....الخ .

تضمن البحث أربعة مباحث خصص المبحث الأول منها للأطار المنهجي للبحث والمتضمن تحديد مشكلة البحث وأهداف البحث وأهميته والعينة والأساليب الإحصائية ومجالات البحث وأخيرا أهم مفاهيم البحث، أما المبحث الثاني فقد تناول واقع الوعي البيئي، أما المبحث الثالث خصص عن سبل تطوير الوعي البيئي، في حين ضم المبحث الرابع عرض وتحليل الاستبانة واهم النتائج التي توصل إليها البحث ثم تلاها أهم التوصيات والمقترحات.

المبحث الأول/ الإطار المنهجي للبحث

تحديد مشكلة البحث:– يزداد الحديث في هذه الأيام عن موضوع البيئة جميع المستويات سواء أكانت إقليمية أم محلية نظراً لكونها من أصعب التحديدات التي تواجهها البلدان في الوقت الحاضر لاسيما بعد الثورة العلمية والتكنولوجية التي أدت إلى التأثير بشكل كبير على البيئة، لذلك سعت العديد من الدول والشعوب إلى الاهتمام بهذا الجانب من خلال عقد العديد من المؤتمرات الدولية وإصدار القرارات والتشريعات بهدف حماية البيئة ووقف تدهورها، فضلاً عن اهتمام منظمات عالمية وإقليمية بهذه القضايا منها مثلاً منظمة اليونسكو إلى جانب الاهتمام الإعلامي بالشؤون البيئية والتي تهتم بقضايا الاحتباس الحراري.....الخ، وبالمقابل نجد هناك تجاهل ومعالجات سطحية لموضوعات تهتم بالبعد الإنساني الذي يتركز في الأساس على قضية في غاية الأهمية ألا وهي قضية الوعي البيئي لأفراد المجتمع الذي هو في واقع الأمر المحور الأساس في حماية البيئة فضلاً عن إن مستوى الوعي البيئي للأفراد يعكس التطور الحضاري لذلك البلد ودرجة وعي الأفراد والدولة للمسؤولية الأخلاقية والوطنية تجاه المحافظة على البيئة ورعايتها، سيما وان حماية البيئة والعناية بها مهمة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بوعي الإنسان وثقافته البيئية في كيفية التعامل الحضاري معها من خلال إتباع السلوكيات الايجابية الصحيحة نحو البيئة وحمايتها وذلك من اجل بناء وتأسيس بيئة صحية سليمة، وهذا يتطلب إدراك ووعي

الأفراد والجهات الحكومية ذات العلاقة في كيفية رعايتها وتحسينها، خصوصاً وان الواقع البيئي اليوم يواجه العديد من المشكلات البيئية المتنوعة نتيجة للسلوكيات الغير المسؤولة من قبل الإنسان نفسه والممثلة منها مثلا إلقاء الزجاجات الفارغة للمشروبات الغازية والمخلفات من الأوراق والمناديل وأعقاب السكاير في الطرقات العامة فضلاً عن فضلات الأطعمة في الحدائق والمتنزهات العامة وتراكم النفايات، إلى جانب ذلك نجدُ التقصير الحكومي ذا العلاقة بالشؤون البيئية، من حيث قلة الاهتمام بنظافة المناطق بشكل متوازٍ وقلة سيارات البلدية في العديد من المناطق إلى نجد جانب الاقتصار على تنظيف الشوارع العامة دون الدخول إلى المنطقة ذاتها وغيرها من الأمور، من هنا انطلقت مشكلة البحث في الإجابة على التساؤل الأتي: ما واقع الوعي البيئي عند أفراد المجتمع الموصلي؟ وما هي السبل الكفيلة للنهوض به؟

أهداف البحث:ـ

يهدف البحث إلى ما يأتي :-

١- معرفة واقع الوعي البيئي عند أفراد المجتمع الموصلي.

٢- التعرف على السبل والوسائل التي تنهض بالواقع البيئي.

أهمية البحث:- تتجلى أهمية البحث في انه يتناول موضوعاً جديداً احتل مكان الصدارة في حياة الشعوب والدول ألا وهو الوعي البيئي الذي يعكس درجة تطور وتقدم الأمم وهو يمثل جزءاً جوهرياً من عملية التنمية، إلا أن ما نجده اليوم واقعاً بيئياً متراجعاً إلى حد ما، والذي يعود إلى المواطن وتصرفاته اللامسؤولة والسلبية تجاه البيئة فضلاً عن ضعف الجهات الحكومية المختصة بهذا الجانب، ويُعدُ هذا البحث محاولة لغرض استفادة المسئوولين من النتائج التي يتوصل إليها البحث من اجل تدارك الوضع واتخاذ التدابير اللازمة للنهوض بالواقع البيئي من جديد، فضلاً عن ذلك يعد هذا البحث محاولة لتدعيم وإثراء البحث الأكاديمي بمثل هذه الدراسات الاجتماعية الميدانية وبخاصة مع ندرة البحوث على حد علم الباحثة التي تتناول الموضوعات الخاصة بالبيئة من منظور علم الاجتماع إلى جانب ذلك إتاحة المجال أمام الباحثين لإجراء دراسات مماثلة في مدن أخرى لإجراء المقارنة.

نوع البحث ومنهجيته:- يعد هذا البحث من البحوث الوصفية التحليلية الذي اعتمد منهج المسح الاجتماعي بطريقة العينة منهجاً للبحث الحالي.

أدوات البحث:ـ

الاستبيان:– تم اعتماد الاستبيان أداة لجمع البيانات من عينة البحث حيث تم عرضه على مجموعة من الخبراء في قسم الاجتماع* وبعد إجراء التعديلات عليه تم توزيعه على أفراد العينة.

عينة البحث : لعدم توفر إحصاءات خاصة بعدد سكان مدينة الموصل لفترة انجاز البحث اختارت الباحثة عينة عرضية من مدينة الموصل بلغت (١٠٠) مبحوثٍ ومبحوثة،

مجالات البحث :ـ

المجال البشري:– مجموعة من أفراد مدينة الموصل بلغ عددهم (١٠٠) مبحوثٍ ومبحوثة.

المجال المكاني:– مدينة الموصل .

المجال الزماني:– المدة المحصورة من ٢٠١٣/٣/١ إلى ٢٠١٣/٦/١.

الوسائل الإحصائية :ـ

استخدمت الباحثة النسبة المئوية وقانون الوزن الرياضي.

تحديد المصطلحات والمفاهيم:ـ

البيئة:– لم يتوحد العلماء في تحديد مفهوم البيئة بل تعددت معانيها، وتباينت مفاهيمها بحسب تخصص الباحث في كل فرع من فروع العلوم الاجتماعية المختلفة، حيث يعرفها كل منهم في ضوء رؤيته وتخصصه، ولا شك في أن البيئة تعني حالة الاستقرار والتوازن وعلى ضوء ذلك فالبيئة بمفهومها العام: الوسط أو المجال المكاني أو الإطار الذي يعيش فيه الإنسان، ويحصل منه على مقومات حياته من غذاء و كساء و مأوى، و يتأثر به ويؤثر فيه(١).

وتعرف أيضاً: الوسط الذي يعيش فيه الإنسان ويتفاعل معه ويستثمر عناصره في كافة مناحي الحياة متأثراً به ومؤثراً فيه(٢).

أما تعريفنا الإجرائي للبيئة :– المكان الذي يعيش فيه الإنسان ويستمد منه موارده الطبيعية من هواء تربة ومناخ ويمارس فيه تفاعلاته الاجتماعية التي تنعكس إما ايجابياً أو سلبياً على ذلك المحيط.

الوعي البيئي:– عبارة عن إدراك الفرد لمتطلبات البيئة عن طريق إحساسه ومعرفته بمكوناتها، وما بينهما من العلاقات وكذلك القضايا البيئية وكيفية التعامل معها(٣)

---

* أسماء الخبراء –

١–. د خليل محمد الخالدي/ استاذ/ كلية الآداب / قسم الاجتماع.

٢– د عبد الفتاح محمد فتحي/ استاذ مساعد/ كلية الآداب / قسم الاجتماع.

٣– موفق ويسي محمود/ استاذ مساعد/ كلية الآداب / قسم الاجتماع.

٤– د حارث حازم أيوب/ استاذ مساعد/ كلية الآداب / قسم الاجتماع.

وهناك من يعرفه بأنهُ :- عبارة عن التعريف بالبيئة وعناصرها لتحسين الوعي بها والالتزام بعمل ما بشأنها من خلال فعل أو ممارسة بهذا الشأن من قبل الأفراد والجماعات والأسرة والمدرسة والمجتمع [٤].

أما تعريفنا الإجرائي للوعي البيئي:- فهو مدى إدراك وإلمام الفرد بالمعلومات والمفاهيم البيئية المتوفرة لديهم في كيفية التعامل والمحافظة على البيئة والممثل بصورة السلوكيات الايجابية الصحيحة تجاه البيئة.

المبحث الثاني/ الوعي البيئي وواقعه في مدينة الموصل

إذا كانت البيئة هي المحيط أو الإطار الذي يعيش فيه الإنسان ويحصل منه على ما يحتاج إليه في حياته، فإن أول ما يجب تحقيقه حفاظاً على هذه الحياة أن يفهمها فهماً صحيحاً بكل عناصرها وتفاعلاتها المتبادلة، ويقوم بحمايتها وصيانتها وتحسينها دون أن يخل بأي ركن قد يؤدي إلى تخريبها وإتلافها[٥]، لذا بدأ التوجه نحو الاهتمام بالبيئة والحفاظ على مواردها من خلال المؤتمرات التي سعت إلى الاهتمام بتحسين الوعي البيئي ومنها مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة البشرية الذي عقد في ستوكهوم في السويد عام ١٩٧٢، والمؤتمر العربي للبيئة في الخرطوم عام ١٩٧٢وغيرها من المؤتمرات التي خرجت بعدة توصيات أهمها الدعوة إلى إيجاد وعي بيئي لدى كل فرد في المجتمع العالمي بمختلف مستويات العمر وقيام بيئة صحية سليمة تساعد على خلق ذهنية صحية[٦]، فالمطالبة ببيئة نظيفة وسليمة يعد مطلباً عادلاً وضرورياً لجميع مكونات المجتمع.

وحقيقة الأمر إن واقع الوعي البيئي الذي نعيشه في هذه الأيام والذي يعنى بمدى إدراك ووعي الفرد بالمفاهيم البيئية السليمة في كيفية التعامل بشكل عقلاني مع المحيط البيئي والناتجة بطبيعة الحال من خلال تصرفاته وسلوكياته الرشيدة تجاه البيئة، إلا أن الوضع البيئي لم يعد يمثل واقعاً بيئياً سليماً بل واقعاً متردياً، وإذا سألنا أنفسنا سؤالنا بسيطاً وهو من أين أتى هذا الوضع المتردي للبيئة؟.. نجد إن الإجابة هي من قلة الوعي البيئي وسوء استخدامنا وتعاملنا مع تلك البيئة وسلوكياتنا الاجتماعية الخاطئة كانت السبب المباشر لكل هذا الوضع الحالي، فمعظم المشاكل البيئية في الحقيقة ترجع إلى الأنماط السلوكية الخاطئة التي تعزى بدورها إلى الافتقار للمعارف والاتجاهات البيئية والتي أساسها العنصر البشري[٧]،انعكست سلباً على البيئة فنجد من أفراد المجتمع من يتعاملون بعبث وإهمال كبيرين تجاه البيئة من حيث تفشي ظاهرة اللامبالاة بين شرائح المجتمع المختلفة والتعدي على البيئة ومنها إلقاء الزجاجات الفارغة والمخلفات من الأوراق والمناديل وأعقاب السكاير[٨]، والإسراف في كميات المياه الصالحة للشرب والضوضاء الذي تحدثه بعض وسائل النقل والغازات من عوادم السيارات فضلاً عن فضلات الأطعمة في الساحات العامة والمتنزهات والمناطق السياحية التي يرتادها الناس في وقت الصيف، فضلاً عن

رمي النفايات والتي تأتي من خلال نشاطات الإنسان المختلفة في حياته اليومية داخل المدن، فنجد هناك من الأحياء في مدينة الموصل تعاني من هذه المشكلة المنتشرة في فضاءات وجيوب أحيائنا السكنية بشكل واسع، حيث تنشأ كميات من القمامة ذات تراكيب مختلفة منها فضلات المواد الغذائية التي تحتل القسم الأكبر بحوالي ٦٨% منها وتتوزع التراكيب الأخرى بين البلاستك والزجاج والورق ومخلفات أخرى(٩)، حيث تتولد كميات من القمامة والتي تختلف من حي إلى آخر ومن بيت إلى آخر وذلك حسب سلوكيات ومستويات الأفراد والأُسر التي تتخلف عنهم هذه القمامة وبالتالي تعمل هذه القمامة على جذب الحشرات ونقل الكثير من الأمراض المعدية الخطيرة على الإنسان، إلى جانب ذلك قد تكون عائقاً أساسياً في سد مجاري الصرف الصحي فضلاً عن تسللها إلى الشوارع وتأثيرها على حركة السير للإنسان(١٠)، فتراكم القمامة من غير تغطية في مكان واحد يعكس صورة سلبية مباشرة لواقع البلد من حيث درجة تحضره ورقيه وتطوره وتعطي دلالة قطعية على مدى اهتمام أهله بالنظافة إلى جانب ذلك فإن تكدس القمامة يشوه منظر المدينة وجمالها ويرهق نفسية الإنسان ومزاجه(١١)، على الرغم من أن ديننا الحنيف قد ارشد إلى حسن استخدام الطريق ومنع الأذى والضرر عنه، كما جاء في الحديث الشريف للرسول الكريم (محمد صلى الله عليه وسلم) :"إماطة الأذى عن الطريق صدقة" أخرجه البخاري، فإزالة الأذى بكل إشكاله المادية والمعنوية عن الطريق عبادة والأذى هنا يشمل كل ما يضر بالطريق ويشوه جماله ومدينته(١٢).

ومدينة الموصل تعاني من هذه المشكلة بشكل كبير والسبب يرجع إلى الخلل الواضح في إدارة هذا النوع من المخلفات بسبب أساليب الجمع والنقل والمعالجة من قبل الجهات المختصة (البلديات)، وضعف الوعي الاجتماعي تجاه هذه الظاهرة(١٣)، فضلاً عن عدم شعورهم بالمسؤولية أو ربما مللهم ويأسهم من أن يأتي يوم يعرفون أين يمكنهم أن يضعوا القمامة المنزلية من جهة أخرى(١٤)، إلى جانب ذلك الشعور السائد لدى الأفراد في ترك المشاكل البيئة للأجهزة الحكومية للتصرف فيها وهذا الأسلوب نجد اتجاهه واضحاً وبخاصة في دول نامية كثيرة، والمتمثل بعدم تعاون أفراد المجتمع فمثلاً قد تبذل البلديات في بعض المناطق جهوداً كبيرة في تنظيف الشوارع والحدائق وزرع الأشجار، ولكن لا يهتم الناس بإلقاء الفضلات في الأماكن المخصصة لها أو الحفاظ على الأشجار وعدم اقتلاعها(١٥)، في حين نجد العكس في جانب آخر والمتمثل بعدم توفر سيارات رفع النفايات وتكدس النفايات في المناطق لفترات طويلة...

فحماية البيئة ورعايتها ليس فقط من واجبات مؤسسات الدولة بل هي من واجبات المواطن نفسه الذي يعيش ويستفيد من البيئة خصوصاً وإن حماية البيئة يعد سلوكاً حضارياً يمس كل تفاصيل الحياة اليومية ومن خلاله يعبر الإنسان عن وعيه إزاء نفسه وإزاء مجتمعه(١٦).

فإحساس المواطن بأهمية البيئة والحرص عليه من خلال شعوره بمسؤولية المواطنة تجاه بيئته يمكن أن يسهم بشكل فعال في خلق بيئة نظيفة تعكس حضارة ورقي البلد نفسه.

المبحث الثالث/سبل تطوير الوعي البيئي

لغرض تدعيم الوعي البيئي في المجتمع لا بد من وجود سبل تعمل بشكل فعال وايجابي في المحافظة على البيئة بشكل صحيح من اجل النهوض بالواقع البيئي في المجتمع، والتي نتناولها بالتفصيل في هذا المبحث.

أولا:- الأسرة

لم يعد اليوم الحاجة إلى الإدراك والوعي البيئي مسألة رفاهية مشروطاً لحياة مثلى، بل هي مسألة حياتية هامة في حياة الإنسان لها بعدها الاجتماعي والتربوي للأفراد[١٧]، وهنا يتضح دور الأسرة بوصفها الجماعة الإنسانية الأولى التي يتعامل معها الطفل وتمثل له مصدر الأمن والطمأنينة والاستقرار وإشباع معظم الحاجات، فالأسرة تعد اللبنة الأولى التي يتعلم منها الفرد السلوك البيئي الأمثل فهي من أهم مؤسسات المجتمع في تهيئة الأفراد للحفاظ على البيئة وحمايتها وبناء الاستعداد للنهوض بها من خلال ما يكتسبه الأبناء من سلوكيات عن طريق تعايشهم اليومي، إذ تتشكل الكثير من الاتجاهات من خلال مشاهداتهم اليومية لممارسات الوالدين والأخوة وغيرهم من أفراد الأسرة، وتكاد تكون التربية بالتقليد من أهم وسائل التربية التي يمكن أن تلجأ إليها الأسرة لبناء اتجاهات ايجابية عند الأبناء نحو البيئة، وتعزيز قيم المحافظة عليها[١٨]، وذلك من اجل الوصول إلى أعلى مستوى بيئي ممكن والذي يتم تعزيزه من خلال الأسرة عن طريق وضعها أنظمة تحدد فيها الأهداف والمهام وتوزيع المسؤوليات نحصل على جيل واعٍ ومحصن ضد مشاكل البيئة وكيفية المحافظة عليها[١٩]، سيما وان للأسرة دور كبير في بناء اتجاهات أطفالها نحو البيئة ومكوناتها، فتدعم مثلاً قيم النظافة والمشاركة والتعاون وترشيد الاستهلاك وغيرها، ذلك لان الأسرة تعتبر مفتاح عملية التعلم لدى الأطفال، ويُعدُ المنزل من الأماكن المثالية للتطبيق العملي لمفاهيم البيئة، فعندما تمارس إحدى الأسس البيئية في نطاق الأسرة فإنها ترتبط بعد ذلك بأسلوب حياة الفرد فهناك العديد من المفاهيم البيئية تعلَم في المنزل[٢٠]، فتحسيس الأسرة لأبنائهم يكون من خلال تنشئتهم على قيم ومبادئ الحفاظ على البيئة والحرص على مراقبتهم باستمرار داخل البيت وخارجه حتى لا يقع في سلوكيات سلبية من خلال تقليده للآخرين[٢١]، فعندما يوضح الآباء لأبنائهم من خلال الممارسات البسيطة كيفية التخلص من النفايات في أماكنها المخصصة وعدم رميها في الطرق العامة أو الحدائق والحفاظ على نظافة المسجد والطريق العام وغيرها...الخ فهم بذلك يقدمون لأبنائهم قيماً بيئية تستهدف حماية موارد البيئة[٢٢] فالدور التوجيهي الذي تقوم بها الأسرة لأبنائها يعد واحداً من الأدوار الرئيسة للأسرة الذي يساعد على تقَويم شخصية الأبناء وتوعيتهم بمسؤولياتهم كمواطنين لهم حقوق وعليهم واجبات ومنها تحسين وتطوير الوعي البيئي لديهم.

ثانياً:- المؤسسات التعليمية والتربوية

إن أية إجراءات تتخذ لحماية البيئة والمحافظة عليها ومواجهة مشكلاتها، ينبغي أن تبدأ بالإنسان بوصفه المسئوول عن ظهور هذه المشكلات، والأساس في هذا الشأن يرجع إلى تربية الإنسان نفسه تربية بيئية يفهم من خلالها التفاعل الصحيح مع بيئته، ويقتنع بأهمية المحافظة عليها ويسلك السلوك البيئي المناسب تجاهها، ولن يتم ذلك إلا من خلال المؤسسات التربوية المختلفة التي تهتم بتنمية ميوله ومعارفه واتجاهاته نحو البيئة[٢٣].

وتعد رياض الأطفال الأساس في تنمية الوعي البيئي واكتساب المعرفة البيئية، فتنمية الوعي البيئي للأطفال في المراحل المبكرة من الطفولة تهدف إلى تنمية اتجاهات وقيم ومفاهيم وسلوكيات لدى الأطفال مما ينعكس ايجابياً على بيئتهم المباشرة مثل المنزل والحدائق العامة فيتعلمون كيف يحمون البيئة ويحافظون عليها[٢٤]، وذلك من خلال بعض الأنشطة الفنية والموسيقية والغنائية المستمدة من البيئة المحيطة بنا فضلا عن الرسومات والمطبوعات والقصص...الخ[٢٥]، والتي تكون واحدة من الوسائل الفعالة التي تنمَي لديهم الوعي البيئي وتحفز لديهم الرغبة في إتباع التوجيهات والخطوات الصحيحة للمساهمة في المحافظة على البيئة[٢٦]

وعلى الرغم من أهمية مرحلة رياض الأطفال بوصفها مرحلة توجيهية للأطفال إلا أن الأمر لا يتوقف عليها فمعظم المصادر والتوجيهات تؤكد تعاظم دور المدرسة فهي من أهم المؤسسات التي يعهد إليها المجتمع بمهمة رعاية أبنائها وتنشئتهم وإكسابهم القيم و وأنماط السلوك البنّاء[٢٧]، وهذا هدف تربوي تسعى المدرسة والعاملون في الميدان التربوي إلى تحقيقه من خلال البرامج التعليمية والتربوية الهادفة إلى تعزيز الممارسات السلوكية الايجابية لدى الطلاب و يكون هذا من خلال المدرسة[٢٨]، التي تحتل مكانة مهمة في تنمية الوعي البيئي بحيث تعكس الحاجات الاجتماعية وتحاول إكساب الطلاب العادات السليمة والاتجاهات والقيم التي تحقق حماية البيئة والمحافظة عليها وصيانتها، ويبدأ دور الطلاب في حماية البيئة من حمايتهم لمدرستهم أولاً فالطلاب يتعلمون كيف يحمون البيئة ويحافظون عليها مما يتطلب مجموعة من الممارسات اليومية مثل المحافظة على نظافة المدرسة وصيانة مرافقها والنهوض بها والحفاظ على البيئة المجاورة لها[٢٩]، من خلال عدم رمي النفايات في مجاري المياه واستخدام الحمامات بالشكل الصحيح إلى جانب ذلك ينبغي أن تسهم المدرسة في إشاعة الوعي والثقافة البيئة لطلبتها وتكوين اتجاهات ايجابية تجاه البيئة من خلال إقامة المعارض والمسابقات من قبل المدرسة، والقيام بحملات التشجير، وزرع النباتات في المدرسة، وتوزيع المطبوعات التي توجه رسالة توعوية لطلاب المدارس، وإقامة المخيمات الكشفية للطلبة، وتنظيم مسابقات بالمعلومات البيئية بين الطلبة التي تتضمن العديد من الأسئلة ذات صلة بالبيئة، فضلا عن توزيع الهدايا والجوائز العينية من كراسات وإصدارات بيئية تناسب مدارك الطلبة لتوسيع الوعي البيئي لديهم[٣٠]،

وتفعيل دور الإذاعة المدرسية لتمارس دورها في التوعية بالقضايا البيئية وغيرها من النشاطات حيث يتأثر الطلاب بالأنشطة والممارسات التي تجري داخل المدرسة وخارجها هذا مما يوثق انتمائهم إلى بيئتهم المدرسية ويشعرهم بأهمية المحافظة على نظافتها وعدم العبث بمرافقها وجعلها بيئة تدخل في نفوسهم الطمأنينة والسرور بما يعزز الدافعية نحو التعليم لديهم واحترام بيئتهم المدرسية والحفاظ عليها[٣١]، إلى جانب ذلك تتأتي مساهمة المدرسة في تثقيف وتوعية طلبتها بالمفاهيم من خلال التركيز على إدراج المفاهيم البيئية والمشكلات البيئية في المناهج والكتب المدرسية والتأكيد على تطبيقات التربية البيئية فيها.

وهذا يتطلب وجود المعلم المؤهل تربوياً والملم بمختلف المعارف الخاصة بالقضايا البيئية فيقوم المعلم بتعريف البيئة وعناصرها ومكوناتها للتلاميذ ليزيد معارفهم وفهمهم للبيئة، ويبين للتلاميذ دورهم من خلال مساهمتهم ومشاركتهم في الحد من مشاكل البيئة عن طريق سلوكياتهم البيئية السليمة[٣٢]، كل ذلك يسهم في زيادة الوعي البيئي لدى الطلبة وجعلهم أفراداً نافعين واعين مهتمين بالبيئة في مجتمعهم من اجل عملية التنمية والتقدم .

ومن المعلوم إن الوعي البيئي لا يقتصر على المدرسة ورياض الأطفال فحسب، وإنما هناك مؤسسات تربوية أخرى ومنها الجامعات إذ يمكن أن تلعب دوراً أساسياً كونها تمثل عنصراً في غاية الأهمية ولا سيما إن إحدى وظائفها الأساسية خدمة البيئة وبخاصة أن التوجه اليوم في الجامعات العالمية يدور في إطار التربية البيئية والوعي البيئي[٣٣]، حيث يمكن أن تلعب الجامعة دوراً مهماً في ترشيد السلوك البيئي للإفراد إذا ما أحسن تخطيط ووضع برامجها وإعداد من يقوم بالتدريس فيها، فنجد إن من أهم أهداف التعليم الجامعي المساهمة في خدمة البيئة، فمن خلال التعليم الجامعي تتم عملية تفاعل مستمر بين الفرد المتعلم وبيئته بحيث تحقق صلة وثيقة بين العلم وحياة السكان ومشكلاتهم وحاجاتهم وآمالهم .

ويمكن للجامعة أن تسهم في تدعيم القيم والاتجاهات والسلوكيات للطالب من خلال تطوير ما تقدمه من برامج دراسية لطلابها لتوسيع مداركهم وزيادة معرفتهم ووعيهم بكيفية التعامل مع البيئة والحفاظ عليها[٣٤]، وهذا يتم من خلال تضمين المناهج والمقررات الدراسية بمجموعة من المعارف التي تشكل الوعي البيئي لدى الطلبة، حيث تعد المناهج الدراسية وسيلة التربية في تحقيق مراميها، إذا اجتمعت المؤتمرات والاجتماعات الدولية والمحلية على أن الوسيلة الرئيسة الفعالة لتنمية الوعي البيئي لدى الطلاب وإكسابهم الاتجاهات ذات القيم البيئية والسلوك البيئي السليم هو إدخال التربية البيئية ضمن برامج التعليم العام والجامعي[٣٥]، فضلا عن ذلك يمكن أن تسهم الجامعة في تنمية الحس البيئي للطلاب من خلال ترسيخ قيم النظافة والتصدي لكل محاولات العبث والتدمير والإيذاء الذي تتعرض له البيئة بطريقة عمدية متعمدة أو تلقائية[٣٦]، فتنمية الحس البيئي لدى الطالب تُعدُ من الطرق المهمة التي تساهم في النهوض

بالواقع البيئي، ويتجلى دور الجامعة في هذا الجانب من خلال الاهتمام بالمناسبات البيئية، فعلى الجامعة أن لا تدع أي مناسبة ذات طابع بيئي أن تمر دون الاحتفال بها من خلال المحاضرات والندوات، وتوزيع النشرات وعرض الملصقات وغير ذلك ومنها مثلاً الاحتفال بيوم البيئة العالمي (٥حزيران/يونيو) وغيرها من المناسبات[٣٧]، وهذا الأمر غير مفعل من قبل الجامعة في الاهتمام بأهمية الوعي البيئي بين طلبتها وذلك الامر يحتم على الجامعة تفعيل دور الجلسات الإرشادية الموجودة في الجامعة بشكل جدي والذي يمكن من خلاله نشر الوعي البيئي، وتوسيع مدارك الطلبة في المحافظة على البيئة، والذي ينعكس ايجابياً في الإعداد الجيد للطلبة وزيادة وعيهم البيئي وتنشئتهم كأدوات بشرية فاعلة في تنمية المجتمع وتقدمه.

ثالثا:ـ الإعلام

لوسائل الأعلام دوراً هاماً، فهي تشكل عصب الحياة وهي وسيلة تأثير فعالة على الأفراد والمواطنين ولهذا يمكن أن تفيد جميع المؤسسات الاجتماعية الأخرى من خدمات وسائل الإعلام من خلال تلك القضايا التي تطرحها فيما يخص البيئة[٣٨]، والتي تعد أكثر القضايا المعاصرة إثارة للجدل لارتباطه بحياة الإنسان اليومية[٣٩] حيث يعد البعد الإنساني في التعامل مع القضايا البيئية جزءً لا يتجزأ من عملية الحفاظ عليها وصون مواردها، ولان الإعلام يشكل عنصر أساسي في إثارة الاهتمام بقضايا البيئة وأبعادها المختلفة فيما يعرف بعملية التنشئة البيئية لأفراد المجتمع، فأنه لايمكن الاستغناء عنه في أنجاح خطط التنمية ودفع الوعي البيئي[٤٠]، وذلك عبر النشاطات الإعلامية المرئية والمسموعة والمقروءة منه، سيما وان وسائل الإعلام المتنوعة تعد من أكثر المؤسسات قدرة في مجال التوعية البيئية من حيث نقل الخبرات والمعارف إلى الناس وبأساليبه المختلفة من أحاديث إلى صور إيضاحية إلى برامج للأطفال والى مسرحيات أو أفلام تلفزيونية موجهة لهذا الغرض وبما تتضمنه من أساليب تشويقية مختلفة[٤١].

من هنا نتوقع من تلك الوسائل الإعلامية أن تلعب دورها المناسب، لتساهم في رقي المجتمع وترسيخ ثقافة الحفاظ على البيئة بمسؤولية عالية وحس بيئي وضمير حي للمضي قدماً إلى ما هو نافع للبيئة والمجتمع على حد سواء وذلك من خلال تفعيل عملية الوعي في التعامل مع الظاهرة البيئة وحمايتها وهذا ما يحث عليه المختصين في مجال حماية البيئة بتأكيد دور الأعلام في توجيه وتفعيل السلوكيات الموجهة إلى البيئة بطريقة مثلى للحفاظ عليها والحد من مشكلاتها[٤٢].

وبذلك يمثل الإعلام نقطة الارتكاز الأساسية بتعزيز الوعي وتنمية الحس البيئي لدى المواطنين حتى يصبحوا أعضاء فاعلين حقاً في محافظتهم على بيئتهم وتعاملهم معها بطريقة عقلانية رشيدة، وهذا ما نلاحظه عبر وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقرؤة في الاهتمام

بالقضايا البيئية التي تنمي الوعي البيئي بين المواطنين عبر برامجها وأنشطتها العديدة والتي تخاطب جميع فئات المجتمع.

رابعا:ـ التشريعات والقوانين البيئية

إذا كان العلم قد وفر لنا مجموعة متنوعة من الوسائل والأساليب العلمية والأجهزة والآلات والطرق التي من شأنها حماية البيئة والتحقيق من حدة المشكلات التي تواجهها، فانه لابد من تنبيه الإنسان للمحافظة على البيئة وتحذيره إذا ما حاول الاعتداء عليها، فالسلوك البشري غير الراشد قد آثار في الآونة الأخيرة ردود فعل عنيفة ضد ما يفعله الإنسان بالوسط البيئي(٤٣)، فهناك الكثير من الناس يسيئون إلى البيئة من نواحي عديدة، كرمي النفايات في غير أماكنها، وإحداث الضوضاء عن قصد والرعي الجائر.....الخ وهو ما أدى إلى يقظة الضمير الإنساني لضرورة مقاومته.

من هنا كان لزاماً على القانون تدخله الجاد من خلال التنسيق والتوعية والتخطيط لتشريعات ضابطة قابلة للتطبيق والتفعيل، وأساليب رقابية صارمة(٤٤)، وذلك من اجل ردع الأشخاص المخالفين والمسئين للبيئة من خلال السلوكيات الخاطئة تجاه تعاملهم مع المحيط البيئي فمثل هذه القوانين يمكن أن تسهم في ضمان بيئة نظيفة وغرس ثقافة المحافظة على البيئة.

ويعد العراق من الدول التي اتجهت مؤخراً إلى تشكيل وزارة تعنى بشؤون البيئة لتكون الجهة المختصة بتنفيذ القوانين والتشريعات اللازمة لحماية البيئة وتحسينها(٤٥).

وتأسيساً على ذلك ينبغي على المسؤلين والمهتمين بشؤون البيئة في الوزارة بضرورة معالجة قضية البيئة من منظور عمليتي التخطيط والتنمية وتعميق الوعي البيئي فضلاً عن تفعيل العمل بالنصوص والتشريعات القانونية(٤٦)، من خلال التنفيذ والمتابعة بدقة وحزم والتي تعتمد بالدرجة الأولى على وجود أجهزة إدارية أو هيئات مختصة بحماية البيئة تأخذ على عاتقها كافة الاحتياجات اللازمة للمحافظة على البيئة حيث يعد الضبط الإداري بسلطاته المتعددة من أهم وسائل القانون في هذا الشأن(٤٧). وعلى الرغم من أهمية القوانين إلا أننا لم نجد تطبيق فعلي لتلك القوانين الرادعة من خلال فرض غرامات مالية مثلا في محاولة للحد من تلك التصرفات اللامسؤولة من قبل الأشخاص المخالفين للبيئة من خلال تصرفاتهم اللاعقلانية تجاه بيئتهم.

خامساً:ـ المؤسسة الدينية

البيئة وديعة مسخرة لعمارة الأرض، وهذه العمارة تقتضي على الإنسان أن يتعامل برفق وفق سنن وتشريعات سماوية(٤٨)، واهم مؤسسة اجتماعية ينوط إليها مهام الحفاظ على البيئة تتمثل بالمسجد الذي تتحدد أهميته في ممارسته لعملية التربية البيئية والضبط الاجتماعي والنفسي لدى الفرد والمجتمع وهي ممارسة ذات دور إنساني يؤدي إلى تقَويم سلوك الفرد(٤٩)، فضلاً عن تصحيح السلوكيات الخاطئة للمواطنين والدعوة للحد من التصرفات العشوائية التي تضر بالبيئة من خلال الإرشادات والتوصيات التي يتناولها والتي تنعكس ايجابياً في ترسيخ

وتنمية الحس البيئي الحضري لدى المواطن للحفاظ على بيئته.

سادساً:ـ المنظمات غير الحكومية

تكتسي الجهود الإنسانية في رفع مستويات وعي الأفراد بدورهم ومسؤولياتهم تجاه المحيط البيئي، مكانة أساسية ضمن مختلف السياسات والبرامج الإنسانية الموجهة لحماية البيئة، وهي الجهود التي تتجسد على المستوى العملي من خلال مجموعة من البرامج المتكاملة في تحقيق هذا الهدف انطلاقاً من تزويد الأفراد بالقيم والمعلومات الأساسية لفهم علاقتهم بالمحيط البيئي، وتكوين وعي لحماية البيئة لدى المواطنين تجاه المسائل البيئية والعمل على تعزيز هذه القيم وتفعيلها الميداني(٥٠)، من خلال عقد الندوات وإلقاء المحاضرات في مختلف قطاعات الدولة إلى جانب القيام بحملات الأعمال الميدانية كالحملات التطوعية للتنظيف والتشجير....الخ(٥١)، فضلاً عن توزيع المنشورات والمطبوعات التعليمية التي تتعلق مثلاً بكيفيات التعامل مع مختلف مصادر النفايات الخاصة سواء في المنزل أو محيط العمل أو الأماكن العامة(٥٢)، فان لمثل تلك الوسائل دوراً أساسياً في أي عملية تثقيفية والتي سيكون لها مردودها الايجابي في تكوين مواطنين مدركين بحيوية البعد البيئي وتعديل سلوكياتهم وتصرفاتهم اليومية ومستعدين لتحمل مسؤولياتهم وواجباتهم تجاهه.

المبحث الرابع/ عرض وتحليل نتائج استمارة الاستبانة

لغرض التعرف على واقع الوعي البيئي وسبل تطويره تم الاستعانة باستمارة الاستبانة حيث تم توزيعها على عينة من مدينة الموصل والتي تناولها البحث بالوصف والتحليل فظهرت النتائج الآتية:–

أولاً:ـ البيانات الأولية

جدول (١) يوضح البيانات العامة للمبحوثين

الجنس	ذكر		أنثى		المجموع
ك	٦٥		٣٥		١٠٠
%	%٦٥		%٣٥		%١٠٠
العمر	١٥–٣٠	٣٠–٤٥	٤٥–٦٠	٦٠فما فوق	المجموع
ك	١٤	٣٣	٣٤	١٩	١٠٠
%	%١٤	%٣٣	%٣٤	%١٩	%١٠٠
المستوى التعليمي	ابتدائية	ثانوية	جامعة	دراسات عليا	المجموع
ك	٧	٣١	٤٥	١٧	١٠٠
%	%٧	%٣١	%٤٥	%١٧	%١٠٠
المنطقة السكنية	شعبية		غير شعبية		المجموع
ك	٣٥		٦٥		١٠٠
%	%٣٥		%٦٥		%١٠٠

من خلال النتائج المعروضة نلاحظ أن نسبة الذكور (٦٥%) مقابل الإناث والتي بلغت نسبتهم (٣٥%)، أما العمر فكانت الأعلى نسبة للفئات العمرية الواقعة ما بين (٣٠–٤٥) وبنسبة

(٣٣ %) والفئة العمرية (٤٥-٦٠) وبنسبة (٣٤%) وهذا يعطينا مؤشرا ايجابيا على الواقع البيئي من خلال عينات عمرية متنوعة، أما عن المستوى التعليمي فكانت أعلى النسب لخريجي الجامعة بلغت نسبتها(٤٥%) ثم تليها الثانوية وبنسبة (٣١%) ثم الدراسات العليا وبنسبة ١٧ % والأخير كان للحاصلين على الابتدائية وبنسبة (٧%) وهذا يعطي دلالة على وجهات نظر مختلفة حيال التعامل مع البيئة، أما المناطق الشعبية فكانت النسبة الأعلى للمناطق غير الشعبية وبنسبة (٦٥%) مقابل (٣٥%) من المناطق الشعبية وهذه العينة متنوعة ومختلفة في وعيها وإدراكها للقضايا البيئية.

ثانيا:- البيانات الاجتماعية

جدول(٢) يبين مفهوم المبحوثين عن الوعي البيئي

ما هو مفهومك عن الوعي البيئي	الاهتمام بنظافة المدينة	حماية البيئة من الملوثات	تربية وتوجيه الأبناء على سلوكيات النظافة	جميعها	المجموع
ك	١٢	١١	١٢	٦٥	١٠٠
%	%١٢	%١١	%١٢	%٦٥	%١٠٠

من ملاحظة الجدول أعلاه تبين لنا إن نسبة (٦٥%) من العينة أجابت على فقرة (جميعها) والتي تشمل كل الخيارات والبدائل المعروضة في الجدول أعلاه، وهذا هو المفهوم والمعنى الصحيح والصائب لمفهوم الوعي البيئي وهو تعبير عن الإدراك والحس الإنساني السليم والشعور بالمسؤولية، على الرغم من افتقارنا إلى المجال التوعوي في المجال الأسري والمجتمعي والتعليمي بتنمية المفاهيم البيئية، إلا أن هذا الإدراك في حقيقة الأمر بمفهوم الوعي البيئي والمحافظة على البيئة والعناية بها عند أفراد العينة يرتبط بوعي الإنسان ذاته وثقافته البيئية وهذا الشعور ربما يكون نامٍ أو متأتٍ من الفطرة الإنسانية التي بداخل كل إنسان في الميل إلى الاهتمام بالنظافة والنظام والمحافظة على البيئة، في حين حصلت الإجابات الأخرى على ١٢% والخاصة تربية وتوجيه الأبناء على سلوكيات النظافة والاهتمام بنظافة المدينة أما حماية البيئة من الملوثات فكانت نسبتها (١١%) وهذا يدل على تشوش الفكرة والرؤية لديهم للمفهوم الصحيح لمعنى الوعي البيئي عند البعض من أفراد العينة.

جدول(٣) يوضح آلية التصرف لرمي حاجة في مكان عام

في مكان عام ولا توجد حاوية لحاجة تريد رميها كيف تتصرف؟	ك	%
انتظر حتى أصل لأقرب سلة مهملات	٤٤	%٤٤
القيها أرضاً	٥٦	%٥٦
المجموع	١٠٠	%١٠٠

من المعلوم إن الحق في بيئة نظيفة والإحساس بالمواطنة والحفاظ عليها والتعامل معها بأسلوب حضاري سليم هو جزء رئيسُ من الوعي البيئي والتي تعد إحدى المخرجات الأساسية للعملية التنموية، غير إن الواقع يبين بوضوح إن هذا الإحساس غائب عن الأذهان عند البعض من أفراد العينة وهذا ما لمسناه من خلال توجيه سؤال حول آلية التصرف في حالة وجود أي

حاجة تريد رميها فجاءت الإجابات إن نسبة(٥٦%) من العينة أجابوا على فقرة (القيها أرضاً) فهناك بعض من الأشخاص يخلون بالبيئة من خلال التعدي والتجاوز عليها عن طريق بعض الممارسات العشوائية والغير العقلانية الخاطئة ضد البيئة منها مثلاً رمي نفاياته من شباك سيارته أو أثناء سيره بالطريق أو الأماكن العامة ....الخ، وهذا ناتج من انعدام وانخفاض في مستوى الوعي والإلمام بأهمية البيئة والذي يعزى إلى القصور في جانب التربية البيئية من قبل الأسرة والمدرسة والإعلام في توجيه الأبناء وتنمية الوعي لديهم من خلال تكريس السلوك البيئي السليم، ناهيك عن انعدام الضوابط القانونية الرادعة للأشخاص المخالفين فكانت سبباً في بروز تلك الأفعال السلوكية الخاطئة من أفراد العينة، وبالمقابل هناك من المبحوثين وبلغت نسبتهم (٤٤%) ممن لديهم وعي بممارسة الأسلوب الصحيح والسليم في آلية تصرفهم تجاه بيئتهم وكيفية التعامل معها بغية الحفاظ عليها وخلق بيئية نظيفة.

جدول(٤) يبين كيفية التصرف عند رمي القمامة المنزلية

كيف تتصرف عند رميك لقمامة منزلك	ك	%
القيها في الشارع أو أي مكان فارغ	٥٠	%٥٠
أضعها أمام منزلي لحين وصول سيارات البلدية	٣١	%٣١
احرقها	١٣	%١٣
أضعها في الحاوية الخاصة بالأوساخ	٦	%٦
المجموع	١٠٠	%١٠٠

من المعلوم إن مستوى النظافة وأسلوب التعامل مع البيئة يعكس بصورة وبأخرى الوجه الحضاري لتقدم وتطور البلد من جهة ومستوى الوعي البيئي لسكانها أو بأخرى من جهة أخرى فقد أشارت نتائج الجدول أعلاه إن نسبة (٥٠%) من العينة يتبعون من السلوكيات والتصرفات الخاطئة والغير المسؤولة حيال البيئة التي يعيشون فيها والتعامل بشكل سلبي وهذا ناجم عن وجود مشكلة تتمحور في السلوك الإنساني للإفراد وافتقادهم للذوق والوعي البيئي حول كيفية التخلص من تلك النفايات، فنجد من الأسر من لا تعير اهتماماً بالبيئة من خلال التجاوزات البيئة اليومية داخل الأحياء السكنية والممثلة برمي كمية النفايات في الشوارع أو أي مكان فارغ خصوصاً عند توافر أراضي سكنية فارغة أو ساحات فسرعان ما تتحول إلى مرتعاً للأوبئة والأمراض بل وحتى للحيوانات، وهذا له تأثيراته السلبية على صحة الإنسان نفسه، في حين أن نسبة (٣١%) من أفراد العينة ينتظرون لحين وصول السيارات الخاصة بالبلدية وهذا يدل على أن هناك وعي لدى بعض العائلات في استيعابها لأهمية الحفاظ على البيئة وهذا الإحساس متأت من منطلق إن الإنسان مسؤول أخلاقياً تجاه صنع بيئة نظيفة في الحياة، في حين أن هناك (١٣%) من العينة يلجئون إلى طريقة الحرق لغرض التخلص من كميات النفايات مما ينتج عنها مشاكل صحية وبيئية خطيرة على الإنسان وهذا يعود إلى أمرين: الأول متعلق بالإنسان وقلة وعيه وعدم شعوره بالمسؤولية تجاه البيئة، والأمر الأخر ربما يعود إلى الملل الذي يصاب به

الفرد من أن تأتي سيارات البلدية إلى مناطقهم وتقصيرها في إدارة تلك النفايات في المدينة بصورة منظمة وسليمة، في حين إن نسبة قليلة من العينة (٦%) يقومون بوضع النفايات في الحاويات الخاصة بالأوساخ التي يوفرونها لأنفسهم.

جدول(٥) يبين التصرف عند مرورك بجوار قمامة ملقاة أرضاً

ماذا تفعل عند مرورك بجوار قمامة ملقاة أرضا	ك	%
اتركها	٨٣	%٨٣
أحاول إزالتها عن الطريق	١٣	%١٣
ابلغ القسم البلدي	٤	%٤
المجموع	**١٠٠**	**%١٠٠**

وعند سؤال المبحوثين حول تصرفه عند مروره بجوار قمامة فجاءت اغلب الإجابات بـ (اتركها) والتي حصلت على (٨٣%) وهذا يستند إلى إن هناك ضعفاً لدى مختلف شرائح المجتمع بنظافة البيئة والمكان الذي يعيش فيه سيما وان الاهتمام والإحساس بأهمية الحفاظ على البيئة يعتمد أساساً على الإنسان نفسه في كيفية تعامله مع بيئته والتأثير فيها والمحافظة عليها، وبالمقابل هناك نسبة (١٣%) من العينة أجابت على فقرة (أحاول إزالتها عن الطريق) ومرد هذا يعود إلى إدراكهم وشعورهم بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم واحترامهم لبيئتهم من خلال مشاركتهم بخلق بيئة مناسبة ونظيفة، في حين إن هناك نسبة من المبحوثين أجابوا على فقرة (ابلغ القسم البلدي) وبنسبة (٤%).

جدول(٦) يبين مدى الإحراج عند وجود القمامة والأوساخ أمام منزلك

هل تشعر بالإحراج عند وجود القمامة والأوساخ أمام منزلك؟	نعم	لا	المجموع
ك	**٩٠**	**١٠**	**١٠٠**
%	**%٩٠**	**%١٠**	**%١٠٠**

وحول شعور المبحوثين بالإحراج من وجود القمامة والأوساخ أمام منزلهم فجاءت اغلب الإجابات بـ (نعم) وبنسبة (٩٠%) فالفرد يثير اهتمامه عند وجود تلك الأوساخ أمام منزله لأنها قد تكون عرضة للعبث من قبل الحيوانات فتتناثر بصورة تتجمع عليها الحشرات التي تسبب الأمراض وتنقل العدوى، فوجود أكوام القمامة يشوه منظر المنزل وتضر أهله، خصوصاً إن نظافة المكان عاملاً من عوامل الاستقرار النفسي للإنسان، مقابل (١٠%) لا يشعرون بأي إحراج عند وجود تلك الأوساخ أمام منازلهم.

جدول (٧) يبين مسؤولية نظافة الشوارع

برأيك نظافة الشوارع مسؤولية من ؟	ك	%
المواطنين	٣	%٣
البلدية	٩	%٩
كلاهما	٨٨	%٨٨
المجموع	**١٠٠**	**%١٠٠**

من المعلوم إن مسؤولية النظافة لا يمكن أن تضطلع بها جهة بمفردها فهي مسؤولية مشتركة حيث يشكل المواطن والحكومة عنصران متكاملان تجاه الاهتمام بنظافة البيئة فهما مشتركان بشكل متساوٍ في حماية البيئة وهذا ما أكده المبحوثين عند اختيارهم فقرة (كلاهما) وبنسبة (٨٨%) وهذا يعكس لنا التصورات الصحيحة لدى المواطن للواقع الموضوعي وفقاً لمنظور الوعي البيئي.

جدول (٨) يبين الصعوبات التي تواجهها في المحافظة على بيئتك

الصعوبات التي تواجهها	ك*	ت.م
عدم وصول سيارات أو خدمات البلدية	٧٦	١
كثرة الحيوانات السائبة في الطرقات	٦٢	٢
ضعف وعي الناس بأهمية المحافظة على البيئة	٥٠	٣
عدم وجود قوانين رادعة للمخالفين	١٩	٥

*** لا يمكن الحصول على مجموع (١٠٠) لان هناك أكثر من إجابة**

وحول الصعوبات التي يواجهها المبحوثين من اجل المحافظة على البيئة فقد جاءت في المرتبة الأولى **(عدم وصول سيارات أو خدمات البلدية)** وهذا يدل على قصور شديد من قبل الجهات المختصة وعدم كفاءتها من اجل إيصال وتوفير الخدمات للمواطنين، إلى جانب ضعف مراقبتهم ومتابعتهم حول آلية الاهتمام بنظافة المدينة بشكل عادل من حيث توفير عمال النظافة بشكل متوازٍ في المناطق ومرور سيارات البلدية إلى مناطقهم بشكل مستمر، فضلاً عن توفير الحاويات الخاصة برمي الأوساخ ...الخ خصوصاً وان البلدية هي التي تتكفل بتوفير احتياجات المواطنين من اجل التخفيف من حدة تلك الصعوبات، في حين جاءت في المرتبة الثانية **(كثرة الحيوانات السائبة)** وهذا كثيراً ما يعانيه المواطنين من وجودهم في مناطقهم والسبب يعود إلى وجود النفايات المنبسطة في فضاءات الأحياء السكنية أدت إلى أن تكون مجمعاً لمجاميع الحيوانات وخاصة من قبل الرعاة الذي يحاولو التفتيش في أكوام تلك النفايات المبعثرة في الطرقات، أما في المرتبة الثالثة فقد جاءت لفقرة **(ضعف وعي الناس بأهمية المحافظة على البيئة)** وهذا يعد واحداً من المعوقات الأساسية وتحدياً كبيراً يقف بوجه الحفاظ على البيئة حيث تقترن مسؤولية الاهتمام بالبيئة على المواطن نفسه، فعدم إلمام وإدراك شرائح المجتمع بأهمية البيئة في حياة الإنسان يمكن أن تكون سبباً في تردي الواقع البيئي، فيما جاءت المرتبة الأخيرة كانت لفقرة **(عدم وجود قوانين رادعة للمخالفين)** فغياب التشريعات القانونية لردع الأفراد المخالفين عن سوء استخدامهم وتصرفاتهم غير العقلانية تجاه البيئة يشكل معوقاً في صعوبة النهوض والارتقاء بالوعي البيئي.

جدول(٩) يبين وجهة نظر الأسرة في استهلاكها للحدائق العامة

هل يجوز للأسرة استهلاك الحدائق والمتنزهات كيفما تشاء؟	نعم	لا	المجموع
ك	١٥	٨٥	١٠٠
%	%١٥	%٨٥	%١٠٠

يتبين من الجدول إن نسبة (٨٥%) لا يحكمهم الوعي والثقافة البيئية ولا يتصفون بحس النظافة واحترام البيئة فهم يتصفون بأساليب اللامبالاة والإهمال البيئي مما يؤدي إلى تدهور وضعية المكان ذاته منها مثلاً السماح لأولادهم بقطف الأزهار والأشجار ورمي الأوساخ وفضلات الأطعمة على الأرض بدلاً من الأماكن المخصصة لها، فمسؤولية الحفاظ على نظافة الحدائق والمتنزهات لا تقع فقط على عمال النظافة فيه بل يتحمل المواطن تلك المسؤولية من اجل الحفاظ على المظهر العام لتلك المتنزهات وهذا مرتبط بوعيه وتعامله مع البيئة التي هي أساس كل تقدم ورقي وعنوان حضارة. وبالمقابل هناك القليل وبنسبة (١٥%) من العينة جاءت إجاباتهم بـ (نعم) وهذا يدل على مدى الوعي والإدراك عند القليل من العينة بأهمية البيئة والمحافظة على الحدائق والمتنزهات وعدم العبث بها كونها تمثل أداة الترفيه لهم فهي مكان الاستجمام والراحة والتخفيف من حدة التوترات والضغوطات النفسية المحيطة بهم.

جدول(١٠) يبين درجة رضا المواطن عن جهود الحكومة المحلية في المحافظة على البيئة

ما درجة رضاك عن جهود الحكومة المحلية في مجال المحافظة على البيئة؟	ك	%
غير راضٍ	٦٥	%٦٥
راضٍ بشكل كبير	١٥	%١٥
راضٍ إلى حد ما	٢٠	%٢٠
المجموع	١٠٠	%١٠٠

وعند سؤال المبحوثين حول درجة رضاهم عن الخدمات المقدمة من قبل الحكومة المحلية فيما يتعلق بالمحافظة على البيئة، جاءت اغلب الإجابات وبنسبة (٦٥%) بأنها غير راضية عن مستوى تلك الخدمات وهذا يعطي مؤشراً واضحاً على مدى الخلل والتقصير عند الجهات المختصة والممثلة بدائرة البلدية في تقديم الخدمات للمواطنين، فإهمال الجانب البيئي من قبل الأشخاص المسؤولين والمعنيين بالبيئة وافتقار التنسيق الفعال بين أروقة المؤسسة ذاتها وضعف المراقبة على سير المدينة ونظافتها أدى بالمواطن إلى عدم رضاه عن تلك الخدمات المقدمة بسبب المشكلات الكثيرة التي يعانون منها والمتعلقة بالبيئة ومنها مثلاً المعاناة من وجود أكوام من النفايات المرمية لفترات طويلة وانبعاث الروائح الكريهة منها.....الخ، في حين حصلت راضٍ إلى حد ما على نسبة (٢٠%) أما (راضٍ بشكل كبير) حصلت على نسبة (١٥%)، وهذا ربما يعود إلى وجود الخدمات في مناطقهم بشكل نسبي

جدول (١١) يبين درجة رضا المواطن في محافظته على نظافة المدينة

ما درجة رضاك في محافظة الفرد على نظافة مدينتك؟	ك	%
غير راضٍ	٥٦	%٥٦
راضٍ	٢٩	%٢٩
راضٍ إلى حد ما	١٥	%١٥
المجموع	١٠٠	%١٠٠

أما فيما يتعلق بدرجة رضا المواطنين تجاه نظافة المدينة، فتبين إن اغلب إجابات المبحوثين جاءت بـ (٥٦%) بعدم رضاهم حول تصرفات المواطنين، وهذا يدل على أن الفرد يشترك عن قصد في الإساءة إلى البيئة من خلال إتباعهم التصرفات السلوكية السلبية واللامبالاة والإهمال والذي ينعكس على المحيط الذي يعيشون فيه، والذي تمثل برمي النفايات على أرصفة الشوارع ومخلفات القناني الفارغة من السيارات أو أماكن المتنزهات ....الخ، ومثل هذا السلوكيات ناتجة عن قلة إدراكهم ووعيهم في التعامل بحكمة وعقلانية تجاه بيئتهم والتعدي عليها مما يعكر صفو البيئة ويملاها شقاءً وهو ما فعلته أيدينا في الإساءة إلى البيئة وعدم الاهتمام بها، فالفرد هو المسؤول الأول المباشر في حماية البيئة، فالنظافة وإدراك الوعي البيئي في الحفاظ على البيئة والعناية بها يعد من ابرز السلوكيات التي يجب التأكيد عليها لغرض الوصول إلى مستوى الرقي الحضاري للمجتمعات، في حين حصلت (راضٍ) على نسبة (٢٩%)، أما فقرة (راضٍ إلى حدما) فقد حصلت على المرتبة الأخيرة وبنسبة(١٥%).

جدول (١٢) يبين المؤسسات التي تعمق مفاهيم المحافظة على البيئة

المؤسسات التي تعمق مفاهيم المحافظة على البيئة	ك*	ت.م
الأسرة	٦٥	١
المؤسسة التعليمية	٥٥	٢
الأعلام	٤٤	٣
التشريعات والقوانين	٣٧	٤
البلدية	٢٥	٥
الجامع	١٨	٦

*** لا يمكن الحصول على مجموع (١٠٠) لان هناك أكثر من إجابة**

وعند سؤال المبحوثين عن المؤسسات التي تعمق لديهم مفاهيم المحافظة على البيئة، فقد احتلت (الأسرة) المرتبة الأولى في مسألة غرس المفاهيم البيئية لدى الأبناء، فهي تمثل نقطة الارتكاز الأساسية التي تعزز لديهم الوعي البيئي من خلال مشاهداتهم اليومية لما يمارسه الأبوان تجاه البيئة منها مثلا تدعيم قيم النظافة، ترشيد الاستهلاك، رمي المخلفات في الأماكن المخصصة وعدم رميها في الطرقات العامة ...الخ، فالتوعية والتطبيق العملي للأسرة بإتباعهم السلوك البيئي السليم من شانها أن تنعكس ايجابياً على الأبناء في تقليد تلك السلوكيات والتي يمكن من خلالها خلق عادات بيئية ايجابية للأبناء، تليها في المرتبة الثانية (المؤسسة التعليمية) والتي لها دورها في الإسهام في تنمية الحس البيئي وتوعيتهم بكيفية التعامل مع البيئة والحفاظ عليها والابتعاد عن السلوكيات السيئة التي تضر بها من خلال تزويد الطلبة بالمعلومات والمعارف المتعلقة عن طريق برامجها وأنشطتها منها المسابقات البيئية كالرسوم والصور، والذي سيكون له دوره الايجابي في تعزيز الوعي البيئي نحو احترام بيئتهم والحفاظ عليها وهذا بالتالي يسهم في تنشئهم كأدوات بشرية فاعلة في المجتمع، في حين احتلت المرتبة الثالثة (الإعلام) والذي له

دوره الأساسي في بناء وعي بيئي صحيح وتربية المجتمع على القيم والمفاهيم البيئية الصحيحة من خلال تناوله موضوعات تكون على تماس مباشر مع المجتمع عبر قنواته الاتصالية المتعددة التي تسهم في تنمية الوعي البيئي والارتقاء به إلى مستويات أفضل، أما في المرتبة الرابعة فقد كانت (القوانين والتشريعات) فوجود القوانين الرادعة للمخالفين وتطبيقها في المجتمع كفرض غرامات مالية يمكن أن يشكل رادعاً في الابتعاد عن التصرفات التي تسئ إلى البيئة، ومن جهة أخرى يمكن أن تعزز الوعي البيئي لدى الأفراد في المحافظة عليها وتحسينها. في حين جاءت في المرتبة الخامسة (البلدية) من خلال قيامها بدورها بحملات التنظيف المستمرة ورفع المخلفات بشكل متواصل إلى جانب توزيع الحاويات والأكياس للمواطنين سيزيد من خلق الشعور بالمسؤولية تجاه الحفاظ والاهتمام بالمحيط الذي يعيش فيه، أما المرتبة الأخيرة فكانت للجامع والذي يمكن أن يسهم في تعديل السلوكيات السلبية للمواطنين تجاه بيئتهم من خلال الدروس والخطب الدينية.

جدول (١٣) يوضح أهم الأخبار البيئية إلى تحرص العينة على متابعتها

هل تتابع الأخبار البيئية على مستوى العالم	ك	%	أهم الأخبار البيئية التي تحرص على متابعتها	ك	ت. م
نعم	٢٦	%٢٦	المحافظة على البيئة المحلية	١١	١
لا	٧٤	%٧٤	التلوث البيئي	٧	٢
المجموع	١٠٠	%١٠٠	التلوث الإشعاعي	٥	٣
			قضايا الأمن الغذائي	٣	٤

يتبين من الجدول أعلاه (٧٤%) من العينة لا يحرصون على متابعة الأخبار، وهذا يدل على ضعف الوعي البيئي لدى أفراد العينة وحتى أذا سمعوا للأخبار ربما كان من باب التسلية فقط وهذا واضح من خلال إجاباتهم عن أهم الأخبار التي يحرصون على متابعتها، فقد احتلت (المحافظة على البيئة المحلية) أما المرتبة الثانية فكانت (التلوث البيئي)، في حين حصلت (التلوث الإشعاعي) المرتبة الثالثة، أما المرتبة الأخيرة فكانت (قضايا الأمن الغذائي).

جدول(١٤) يوضح الممارسات التي يتبعها الإنسان

الفقرات	دائما	أحيانا	لا أقوم بذلك	الوزن الرياضي
امنع أبنائي من اللعب في الأماكن غير النظيفة	٩٣	٧	٠	٩٧،٦
لا اسمح بحرق المخلفات في الشارع	٨٤	١٣	٣	٩٣،٦
ارمي أعقاب السكاير في الطريق	٧٨	١٦	٦	٩٠،٦
اعتمد التعقيم في غسل الفواكه والخضر	٨٢	٦	١٢	٩٠
استخدم المطهرات الصحية لتنظيف المنزل	٧٩	١٢	٩	٩٠
أحافظ على ترشيد استخدام المياه	٦١	٢٩	١٠	٨٣،٦
احرص على نصح وإرشاد أبنائي المحافظة على البيئة	١٥	٨٠	٥	٧٠

اهتم بالحديقة المنزلية	٣٩	٣١	٣٠	٦٩،٦

من خلال تحليل نتائج إجابات المبحوثين فقد حصلت فقرة **(امنع أبنائي من اللعب في الأماكن غير النظيفة)** على وزن رياضي (٩٧،٦)، وهذا مؤشر ايجابي على مستوى التوعية البيئية لدى الأسرة وإدراكها خطورة الأماكن غير النظيفة، فحرص الأسرة على تنشئة الفرد على الاهتمام بخلق بيئة صحية نظيفة وذلك من اجل وقايتهم من الأمراض وبالتالي ينعكس ايجابياً في غرس العادات البيئية السليمة وخلق الوعي البيئي لدى الأبناء مستقبلاً، أما فيما يخص **(لا اسمح بحرق المخلفات في الشارع)** فقد حصلت على وزن رياضي (٩٣،٦) وهذا يعطي صورة ايجابية على مدى إلمام أفراد العينة بالعادات والاتجاهات السليمة حيال ابتعادهم عن حرق النفايات والتي لها مردودها الايجابي في الوقاية من انتشار الأمراض المختلفة وتقي غيره من الأفراد، فحماية البيئة مسؤولية تقع على الفرد بوصفه عنصراً مستفيداً من البيئة التي يعيش فيها، أما فيما يتعلق **(ارمي أعقاب السكاير في الطريق)** فقد حصلت على وزن رياضي (٩٠،٦)، فكما هو معلوم إن لتلك التصرفات غير الحضارية المنتشرة في شوارعنا برمي أعقاب السكاير في الطرقات ومن نوافذ المركبات تعود بطبيعة الحال إلى عدم وجود رادع عقابي لكل من يخالف، فضلاً عن الافتقار إلى الذوق العام من قبل أفراد المجتمع في الحفاظ على البيئة، فنرى الكثير من شوارعنا غارقة بتلك الأوساخ وهذا تجاوز على الملكية العامة للمواطن وانتهاك للاشتراطات المطبقة في المحافظة على البيئة وسلامتها، فنرى الكبير قبل الصغير والمتعلم قبل الأمي يقومون بتصرفات غير حضارية خالية من الذوق العام وبذلك يسهمون في تشويه منظر المدينة وجماليتها برمي مخلفاتهم في الشوارع.

أما عن **(اعتمد التعقيم في غسل الفواكه والخضر)** وفقرة **(استخدم المطهرات الصحية لتنظيف المنزل)** فقد حصلتا على وزن رياضي(٩٠) وهذا يدل على الفهم البيئي الواضح لدى أفراد العينة في تعزيز قيم النظافة في المنزل وذلك بإتباعهم السلوك البيئي السليم من خلال متابعة تنظيف المنزل واستخدام المطهرات وتعقيم الفواكه والخضر والذي سيكون له دوره الايجابي في خلق جيل محصن بالقيم البيئية السليمة في كيفية المحافظة على البيئة والعيش في بيئة نظيفة آمنة، أما فقرة **(أحافظ على ترشيد استخدام المياه)** فقد حصلت على وزن رياضي (٨٣،٦)، وهذا يدل على التوجيه الصحيح والسلوك الملتزم والواعي من قبل أفراد العينة، فالترشيد يدل على تعلم الأفراد كيفية الاستخدام الأمثل للمياه بقدر وكيفية المحافظة عليه والابتعاد عن الإسراف فيه والذي نهى عنه الإسلام كما جاء في قوله تعالى (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين)الأعراف؛٣١، في حين حصلت فقرة **(احرص على نصح وإرشاد أبنائي المحافظة على البيئة)** على وزن رياضي (٧٠)، وهذا يدل بأن هناك توجه من قبل بعض أفراد العينة في نشر الوعي البيئي بين أبنائها في كيفية الحرص والعناية بالبيئة والتمتع بجمالها، أما

فيما يتعلق (**اهتم بالحديقة المنزلية**) فقد حصلت على وزن رياضي (٦٩،٦)، هذا يعطي انطباعاً على اهتمام أفراد العينة بخلق بيئة صحية ومنعشة من خلال الاهتمام بزرع الأزهار والنباتات والأشجار وذلك بوصفها المكان المحبب لجميع أفراد العائلة فضلاً عن أنها توفر أماكن للعب الأطفال فالاهتمام بها يضفي نوع من الشعور بالراحة والطمأنينة ويبعث فيهم الحيوية.

جدول (١٥) يوضح الوسائل التي تحسن البيئة

الفقرات	موافق	موافق الى حد ما	غير موافق	الوزن الرياضي
وضع خطط بعيدة المدى للمحافظة على البيئة	٩٥	٥	٠	٩٦،٦
زيادة عدد العاملين في القسم البلدي	٧٣	١٤	١٣	٨٦،٣
مشاركة جيرانك في تنظيف شارعك	٧١	١٧	١٢	٨٤،٦
سن تشريعات وقوانين رادعة للأفراد المخالفين	٦٧	٢٥	٨	٨٠،٦
زيادة الرقابة الصحية على المصانع والمحلات التجارية العامة	٤٦	٥٢	٢	٦٤،٦
وجود منظمات غير حكومية خاصة بالمحافظة على البيئة	٢٣	٤٠	٣٧	٦١
تقديم برامج إعلامية تساعد على تنمية الوعي البيئي لدى الأفراد	٢٠	٥٥	٢٥	٥٥

من خلال تحليل نتائج إجابات المبحوثين فقد حصلت فقرة (**وضع خطط بعيدة المدى للمحافظة على البيئة**)على وزن رياضي (٩٦،٦) فكما هو معلوم لابد من وجود إستراتيجية للإدارة البيئية في المدينة تستهدف الاهتمام بالبيئة والمحافظة عليها وترسيخ الوعي البيئي من خلال مجموعة من التدابير والإجراءات المؤسساتية المتخذة بتنفيذ مشاريع من خلال تخصيص ميزانية خاصة من شأنها أن تحسن الوضع البيئي فيها وان تديم استمرارية العمل في تطويرها منها مثلا غرس الأشجار في أطراف المدينة، الاهتمام بالجزرات الوسطية، الاهتمام بالحدائق العامة، إيجاد آلية أدارة النفايات بصورة منظمة وسليمة لضمان سلامة المدينة، توفير مساحات خضراء داخل الأحياء السكنية، إدخال موضوعات التربية البيئية والثقافة البيئية في المناهج الدراسية عند طلبة المدارس والجامعات...الخ فالاهتمام بهذه المشاريع من خلال وضع خطط مدروسة والأشراف والرقابة عليها سوف يكون لها مردودها الايجابي في تحسين الجوانب البيئية المرتبطة بحياة السكان. في حين حصلت (**زيادة عدد العاملين في القسم البلدي**) على وزن رياضي (٨٦،٣)، وهذا الأمر مطلوب مع الكثافة السكانية العالية في المدينة يتطلب في زيادة العاملين في القسم البلدي من اجل القدرة على مزاولة أعمالهم اليومية في تنظيف الطرقات وإزالة النفايات من الإحياء العديدة والتي تحتاج إلى جهود كبيرة من اجل الاهتمام بها وتقديم الخدمات بصورة منظمة للمواطنين لتيسير شؤونهم وتحسين وترقية محيطهم الذي يعيشون

فيه،أما فيما يتعلق(**مشاركة جيرانك في تنظيف شارعك**) فقد حصلت على وزن رياضي(٨٤،٦)، كما هو معلوم إن نظافة الشارع هي من مسؤولية الجميع لان النظافة من الإيمان وهي عنوان كل بلد متحضر ومتقدم فالمشاركة والتعاون مع الجيران في الاهتمام بنظافة الشارع فانه يحسن من البيئة ويعطي راحة كبيرة للساكنين فيها فضلاً عن التخفيف من وطأة الأمراض وانتشارها.

أما فيما يخص(**سن تشريعات وقوانين رادعة للأفراد المخالفين**) فقد حصلت على وزن رياضي (٨٠،٦)، وهذه وسيلة هامة من اجل تحسين البيئة والمحافظة عليها خصوصاً مع انتشار العديد من التصرفات العشوائية في الإساءة إلى البيئة من خلال قيامهم برمي المخلفات في الطرقات وإحداث الفوضى في الشوارع والرعي الجائر...الخ هذا مما يتطلب وجود إجراءات وقواعد قانونية ممثلة بفرض غرامات مالية مثلاً على من ينتهك حرمات البيئة والاعتداء عليها ومثل هذه الإجراءات تمثل أحكام رادعة للمخالفين وهذا سينعكس بالنتيجة في تنمية الحس البيئي وضمان بيئة نظيفة، أما عن (**زيادة الرقابة الصحية على المصانع والمحلات التجارية العامة**) فقد حصلت على وزن رياضي (٦٤،٦) فكما هو معلوم من اجل أن تكفل الدولة بيئة نظيفة أمنة وحياة صحية للجميع لابد أن تتولى دائرة الرقابة الصحية مهام الرقابة والإشراف على المحلات التجارية والمصانع من حيث استيفاء الشروط الصحية الخاصة بهم ومدى التزامهم بالتعليمات والأنظمة الخاصة بالاهتمام بالبيئة من حيث حفظ القمامة والمخلفات في أوعية خاصة بها وعدم رميها في الطرقات العامة، فالكشف الدوري من قبل الرقابة الصحية لمدى التزام أصحاب المحلات والمصانع بتلك السلوكيات يؤدي بالتالي إلى رفع مستوى الوعي البيئي بما يسهم في تعزيز فرص المسؤولية المجتمعية تجاه البيئة. أما فقرة (**وجود منظمات غير حكومية خاصة بالمحافظة على البيئة**) فقد حصلت على وزن رياضي (٦١)، فالمنظمات غير الحكومية لها مساهمتها في تحسين البيئة ونشر الوعي البيئي عن طريق تنسيق الجهود بينها وبين الجهود الحكومية من خلال نشاطاتها الميدانية في النهوض بحماية البيئة والمحافظة عليها عن طريق الانتقال إلى المدارس والجامعات وقيامهم بتنظيم دورات معرفية وعقد حلقات التوعية البيئية للطلبة تبين لهم ماهية البيئة وكيفية الحفاظ عليها بشكل مبسط من اجل ترسيخ الاهتمام بالبيئة والحفاظ عليها والقضاء على السلوكيات السلبية تجاه التعامل مع البيئة، أما فيما يتعلق (**تقديم برامج إعلامية تساعد على تنمية الوعي البيئي لدى الأفراد**) فقد حصلت على وزن رياضي(٥٥)، فمن المعلوم أن وسائل الإعلام واحدة من المقومات الأساسية في خلق الوعي البيئي في المجتمع عبر وسائلة المتعددة المرئية والمقروءة والمسموعة والالكترونية والتي لها دوراً كبيراً في تثقيف الناس وتوسيع المعرفة البيئية من خلال اختيارهم لموضوعات بيئية أكثر اتصالاً بواقع الناس منها مثلاً النظافة، عدم رمي القمامة في غير أماكنها المخصصة، توعية ربات البيوت باستخدام المطهرات .....الخ، فمثل هذه الموضوعات تكون اقرب في التأثير في

تعديل سلوكياتهم وقناعاتهم وبذلك يعمل الإعلام على كوسيلة قادرة في إيجاد مواطنين فاعلين ويكونوا من عوامل التنمية المتواصلة في محافظتهم على البيئة وتحسينها.

جدول (١٦) يوضح مدى الاستعداد لتغيير عاداتك وسلوكياتك للحد من تأثيرها على البيئة

هل لديك استعداد لتغيير عاداتك وسلوكياتك للحد من تأثيرها على البيئة؟	ك	%
نعم	٦٦	%٦٦
إلى حد ما	٢٤	%٢٤
لا	١٠	%١٠
المجموع	١٠٠	%١٠٠

وعند سؤال أفراد العينة حول استعداهم لتغيير عاداتهم وسلوكياتهم للحد من تأثيرها على البيئة فجاءت اغلب الإجابات بـ (نعم) وبلغت نسبتها(٦٦%)، فهذه القناعة بإمكانية التغيير يعود إلى طرق تربيتهم وتنشئتهم في الاهتمام بالبيئة ومدى أهميتها لهم بوصفها المحيط الذي يتفاعل معه، إلى جانب وعيهم وثقافتهم من خلال اطلاعهم وإدراكهم لثقافات بلدان أخرى من خلال التكنولوجيا الحديثة والتي يكون لها تأثيرها الايجابي في أحداث سلوك مغاير وتعديل مفاهيم وتصرفات خاطئة حول البيئة لكي يصبحوا في المستقبل أكثر تأثيراً وايجابية في مواجهة المشكلات البيئية المحيطة بهم، في حين (١٠%) لا يرغبون في تغيير سلوكياتهم وتصرفاتهم حيال بيئتهم، في حين أن هناك من العينة وبنسبة (٢٤%) لديهم قناعة نسبية في تعديل سلوكياتهم.

جدول(١٧) يوضح تقييم الواقع البيئي عند أفراد العينة

كيف تصف وضع الواقع البيئي في مدينتك	ك	%
ضعيف	٧٩	%٧٩
جيد	١٧	%١٧
جيد جدا	٤	%٤
المجموع	١٠٠	%١٠٠

وعند سؤال أفراد العينة عن مدى تقييمهم للواقع البيئي فجاءت اغلب الإجابات بالضعيف وبنسبة(٧٩%) وهذا الضعف يعزى إلى القصور والخلل الواضح من قبل الجهات الحكومية والمتمثلة بالبلدية في توفير الخدمات والتسهيلات للمواطنين من خلال توفير سيارات لرفع النفايات بشكل متواصل ومحاولة توزيع حاويات لرمي الأوساخ في الشوارع وتوفير أعداد كبيرة من عمال النظافة في الاهتمام بنظافة البيئية والمحافظة عليها، إلى جانب ذلك افتقار المجتمع إلى الحس البيئي والشعور بالمسؤولية في طريقة التعامل الصحيح مع البيئة فنلاحظ وجود مخالفات بيئية كثيرة في المدينة، فهناك ظواهر اللامبالاة والتعدي على البيئة من خلال رمي النفايات وأعقاب السكاير في الطرقات وعلب الزجاجات الفارغة من المركبات.....الخ مما يؤثر على البيئة بشكل سلبي، وبالمقابل هناك من العينة أجابوا أن الوضع جيد وبنسبة (١٧%)، في حصلت فقرة جيد جدا على نسبة (٤%) وهي نسبة قليلة.

استنتاجات البحث

لقد أسفر البحث عن مجموعة من النتائج وهي كالأتي :–

١– هناك إدراك واضح لما يعنيه مصطلح الوعي البيئي لإفراد العينة.

٢– هناك العديد من السلوكيات والتصرفات السلبية الخاطئة من قبل أفراد العينة تجاه طريقة التعامل مع البيئة والمتمثلة برمي النفايات من المركبات أو أثناء السير في الطريق، ورمي القمامة المنزلية في أي مكان فارغ أو الشارع، والعبث بالحدائق والمتنزهات العامة وعدم المحافظة على جماليتها من خلال رمي الفضلات والأطعمة فيها.

٣– هناك قصور واضح من قبل الجهات المختصة والمتمثلة بالبلدية في توفير الخدمات والتسهيلات للمواطنين وهذا يدل على إهمال الجانب البيئي من قبل الجهات المسؤولة .

٤– عدم الاهتمام الفعلي بالأخبار البيئية المعروضة عبر وسائل الإعلام وهذا يدل على قصور في نشر الوعي البيئي لديهم بخصوص القضايا البيئية.

٥– عدم رضا المواطنين أنفسهم حيال درجة محافظتهم على بيئتهم ونظافتها.

٦– هناك وعي جيد لدى أفراد العينة بخصوص بعض الممارسات التي يتبعونها منها ترشيد استخدام المياه، استخدام المطهرات الصحية لتنظيف المنزل، الاهتمام بالحديقة المنزلية، اعتماد التعقيم في غسل الفواكه والخضر، امتناع عن ممارسة أبنائهم اللعب في الأماكن غير النظيفة. في حين هناك ممارسات سلبية والتي تمثلت برمي أعقاب السكاير في الطريق.

٧– هناك أجماع من قبل العينة على ضرورة توافر العديد من الوسائل الضرورية في المدينة والتي من شانها أن تحسن الوضع البيئي بشكل أفضل منها سن تشريعات وقوانيين رادعة للأفراد المخالفين، زيادة عدد العاملين في القسم البلدي، وجود منظمات وجمعيات خاصة بالمحافظة على البيئة، مشاركة الجيران في الاهتمام بنظافة الشارع، وضع خطط بعيدة المدى للمحافظة على البيئة، زيادة الرقابة الصحية على المحلات والمصانع التجارية العامة.

٨– هناك وعي وإدراك من قبل العينة حول رغبتهم في تغيير سلوكياتهم من اجل المحافظة على بيئتهم.

٩– عدم رضا أفراد العينة حول الواقع البيئي الموجود في مدينتهم.

التوصيات والمقترحات:ـ

١– تكثيف الجهود الحكومية والممثلة بالبلدية في إدارتها السليمة للنفايات داخل المدينة من خلال توفير سيارات البلدية والحاويات وزيادة عدد العاملين في القسم البلدي للمدينة من اجل الاهتمام بنظافة المدينة بشكل أفضل.

٢– تفعيل دور منظمات المجتمع المدني في ترسيخ الوعي البيئي بين المواطنين من خلال الندوات التوعوية والقيام بزيارات ميدانية إلى المدارس والجامعات والدوائر الحكومية فضلاً عن توزيع الملصقات والمنشورات بهدف إشاعة الوعي البيئي بينهم.

٣– إدخال الموضوعات البيئية في المناهج التربوية بالمؤسسات التعليمية بغية توجيه وتنمية الوعي البيئي لدى الطلبة.

٤– تفعيل دور الإعلام بشكل اكبر بشتى فروعه في الإسهام في نشر الحس البيئي لدى أفراد المجتمع.

٥- وضع استراتيجيات واضحة للإدارة البيئية في المدينة من خلال اتخاذها مجموعة من التدابير والإجراءات التي تستهدف تحسين البيئة بشكل أفضل.

٦- تفعيل دور القوانين والتشريعات الرادعة التي تكفل الحد من التصرفات العشوائية للمواطنين في طريقة تعاملهم مع البيئة .

٧- إجراء دراسات في مدن أخرى عن الواقع البيئي لإجراء المقارنة بينهم .

الهوامش

(١) محسن محمد أمين قادر، التربية والوعي البيئي واثر الضريبة في الحد من التلوث البيئي، رسالة ماجستير غير منشورة، الأكاديمية العربية في الدنمارك، كلية الإدارة والاقتصاد، قسم إدارة البيئة، ٢٠٠٩، ص١٦.

(٢) هدى محمد حسين، مستوى الوعي ببعض المخاطر البيئية لدى طالبات كلية التربية للأقسام العلمية عند مدينتي مكة المكرمة وجدة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات، قسم التربية وعلم النفس، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٢، ص٢٥.

(٣) محسن محمد أمين قادر، التربية والوعي البيئي واثر الضريبة في الحد من التلوث البيئي، مصدر سابق، ص٤٦.

(٤) باتر محمد ويوسف علي،قاموس البيئة العامة،دار الفرقان للنشر والتوزيع،عمان، ١٩٩٨، ص٨١.

(٥) عبلة غربي، التربية البيئية في المدارس الابتدائية من وجهة نظر المعلمين- مدارس مدينة قسنطينة نموذجاً، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة منتوري- قسنطنية، الجزائر، ٢٠٠٩،ص٣٦.

(٦) علي محمد احمد البدراني، الوعي البيئي لدى طلبة قسم علوم الحياة في كلية التربية وعلاقته ببعض المتغيرات، رسالة دبلوم عالي غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٤، ص ٤-٥.

(٧) صالح عبدالله جاسم، "الاتجاهات البيئية لدى طلبة وطالبات جامعة الكويت"، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، جامعة الكويت، العدد١٠٢، يوليو ٢٠٠١ ص٦٥.

(٨) فاضل خليل إبراهيم، "أسباب السلوك السلبي لدى طلبة جامعة الموصل"، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، المجلد ١٠، العدد١، شباط ٢٠١٠، ص٣.

(٩) عمر إسماعيل محمد، التنمية الحضرية وانعكاساتها الاقتصادية على تلوث بعض عناصر البيئة (مدينة الموصل-حالة دراسية)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة الموصل، ٢٠١١، ص٧٤.

(١٠) محمد السيد عجورة، التلوث البيئي وأنواع التلوث(مصادره-مخاطره-كيفية التغلب عليه)، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، ٢٠١٠، ص١٩٥.

(١١) إسماعيل محمد المدني، من اجل وعي بيئي خليجي، المطبعة الحكومية لوزارة الإعلام، جامعة الخليج العربي، البحرين ١٩٨٩، ص٨٣.

(١٢) عطية محمد عطية وآخرون،الإنسان والبيئة،دار الحامد للنشر والتوزيع،عمان،٢٠١٢، ص٢٤٨.

(١٣) عمر إسماعيل محمد، التنمية الحضرية وانعكاساتها الاقتصادية على تلوث بعض عناصر البيئة

(مدينة الموصل –حالة دراسية)، مصدر سابق، ص٧٤.

(١٤) عماد عبود عباس،" دور القمامة في الطبيعة"، مجلة البيئة والحياة، دائرة التوعية والإعـــلام،وزارة البيئة العراقية، عدد ٣٧، ٢٠١٠، ص٢٤.

(١٥) كاظم المقدادي، التربية البيئية، الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك، كلية الإدارة والاقتـــصاد، قسم الإدارة البيئية،٢٠٠٦، ص٣٠.

(١٦) سليم مطر، موسوعة البيئة العراقية، دار الكلمة الحرة، بيروت، ٢٠١٠،ص٢٥٠.

(١٧) سيتا أرام كيورك،" مقياس الوعي البيئي للمرأة العراقية بكافة فئاتها العامة /الموظفة وربة البيـــت والطالبة"، مجلة واسط للعلوم الإنسانية، عدد ٩، بدون سنة، ص٢١٧.

(١٨) كاظم المقدادي، مصدر سابق، ص١.

(١٩) عياد حسين محمد، " دور التربية في تحسين الوعي البيئي، ٢٠١٠.

https://www.iasj.net/iasj? fune=fulltex&ald=28329

(٢٠) رهام ميهوبي وفضيلة صديقي، دور الإعلام المسموع في نشر الثقافة البيئيـــة، الإذاعـــة المحليـــة أنموذجا/دراسة ميدانية بولاية البويرة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنـــسانية والعلـــوم الاجتماعية،قسم علم الاجتماع،جامعة اكلي محند اولحاج–البويرة،الجزائر،٢٠١٥،ص٦٣.

(٢١) المصدر نفسه، ص٥٢.

(٢٢) المصدر نفسه، ص٦٣.

(٢٣) الياس الشويري، "مسؤولية المؤسسات التربوية والتعليمية في قضايا البيئة"، مجلة الجـــيش، العـــدد ٢٥٠ نيسان، ٢٠٠٦. بدون ترقيم.

(٢٤) ميرفت حسن برعي،" برنامج مقترح لتنمية الوعي البيئي لدى الأطفال بتوظيف بعـــض الأنـــشطة الفنية والموسيقية"، المؤتمر العلمي الأول لكلية التربية النوعية – جامعة المنـــصورة ١٢–١٣ابريـــل، ٢٠٠٦، ص٥٧٢.

(٢٥) المصدر نفسه، ص٥٧٦.

(٢٦) كاظم المقدادي، التربية البيئية، مصدر سابق، ص١٣.

(٢٧) المصدر نفسه، ص١٩.

(٢٨) أسماء مطوري،"مؤسسات التنشئة الاجتماعية ودورها في تنميـــة قـــيم التربيـــة البيئيـــة"، مجلـــة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر، الجزائر، العـــدد ١٥مـــارس، ٢٠١٦، ص١٩٠.

(٢٩) الياس الشويري، "مسؤولية المؤسسات التربوية والتعليمية في قضايا البيئة"، مصدر سابق.

(٣٠) كاظم المقدادي، التربية البيئية، مصدر سابق، ص١٠–١١.

(٣١) أسماء مطوري،"مؤسسات التنشئة الاجتماعية ودورها في تنمية قيم التربية البيئية"، مصدر سابق، ص١٩٠.

(٣٢) المصدر نفسه، ص ١٩٢ –١٩٤.

(٣٣) محمود حسن و محمود محمد،" الوعي بالتشريعات البيئية عند طلبة الجامعات الفلسطينية"، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد ٢٣، حزيران٢٠١١، ص١٦١.

(٣٤) صالح عبدالله جاسم، " الاتجاهات البيئية لدى طلبة وطالبات جامعة الكويت"مصدر سابق، ص٦٩.

(٣٥) فاضل خليل إبراهيم، " أسباب السلوك السلبي لدى طلبة جامعة الموصل"،مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مصدر سابق، ص٦.

(٣٦) كاظم المقدادي، التربية البيئية، مصدر سابق، ص١٧.

(٣٧) المصدر نفسه، ص١٨.

(٣٨) رهام ميهوبي وفضيلة صديقي، دور الإعلام المسموع في نشر الثقافة البيئية، الإذاعة المحلية أنموذجا/دراسة ميدانية بولاية البويرة، مصدر سابق، ص٢٠.

(٣٩) Kamal Mansourg, Enviromental thought in the Islamic civilization, Historical Kan periodical issn: 20900449 year: 2013, volume :6 isnne :20, paga :54-69.
نقلاً عن المكتبة الافتراضية العلمية العراقية

(٤٠) مريم بلخضر وسلمى بورنان، دور الفايسبوك في نشر الوعي البيئي دراسة لعينة من طلبة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم إنسانية والاجتماعية، شعبة علوم إنسانية، جامعة قاصدي مرباح– ورقلة، الجزائر، ٢٠١٥، ص١.

(٤١) حارث حازم وفراس عباس،" التلوث البيئي معوقا للتنمية ومهددا للسكان"، المجلة العراقية لبحوث السوق وحماية المستهلك، المجلد٢، العدد٣، ٢٠١٠، ص٢٤٩

(٤٢) رهام ميهوبي وفضيلة صديقي، دور الإعلام المسموع في نشر الثقافة البيئية، الإذاعة المحلية أنموذجا/دراسة ميدانية بولاية البويرة، مصدر سابق، ص٤٢–٤٣.

(٤٣) محسن محمد أمين، التربية والوعي البيئي واثر الضريبة في الحد من التلوث البيئي مصدر سابق،ص٥٦.

(٤٤) عطية محمد عطية وآخرون، الإنسان والبيئة، مصدر سابق، ص٢١٥.

(٤٥) حوراء حيدر إبراهيم، دور هيئات الضبط الإداري المختصة في توفير سبل الحماية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية القانون، جامعة بابل، ٢٠١٣.

www.uobabylon.edu.iq/uobcoleges/action_news aspx?fid=7&nwid

(٤٦) نوار دهام الزبيدي، الإطار القانوني لحماية البيئة في العراق

http://tqmag.net/body.asp?field=new_arabic&id=454

(٤٧)حوراء حيدر إبراهيم، دور هيئات الضبط الإداري المختصة في توفير سبل الحماية،مصدر سابق.

(٤٨) رهام ميهوبي وفضيلة صديقي، دور الإعلام المسموع في نشر الثقافة البيئية، الإذاعة المحلية أنموذجا/دراسة ميدانية بولاية البويرة، مصدر سابق، ص٧٠.

(٤٩) المصدر نفسه، ص٧١.

(٥٠) بركات كريم، مساهمة المجتمع المدني في حماية البيئة، رسالة دكتوراه غير منشورة،كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم الحقوق، جامعة مولود معمري، الجزائر،٢٠١٤، ص١٤٥.

(٥١) رهام ميهوبي وفضيلة صديقي، دور الإعلام المسموع في نشر الثقافة البيئية، الإذاعة المحلية أنموذجا/دراسة ميدانية بولاية البويرة، مصدر سابق، ص٧٠.

(٥٢) بركات كريم، مساهمة المجتمع المدني في حماية البيئة، مصدر سابق، ص١٥٥.

التحديات التي واجهت العملية التعليمية في مدارس مدينة الموصل عام ٢٠١٧ من وجهة نظر كوادرها

م. مرح مؤيد حسن *

تاريخ استلام البحث ٢٠١٨/٤/٨
تاريخ قبول النشر ٢٠١٨/٥/٢٧

ملخص البحث

يهدف البحث إلى التعرف على أهم التحديات الإدارية، التعليمية، الاجتماعية، الاقتصادية التي واجهت العملية التعليمية في مدارس مدينة الموصل عام ٢٠١٧ ، ومن ثم التعرف على أكثر تلك التحديات تأثيرا على الكادر التعليمي قيد البحث، وكان من ابرز نتائج البحث أن لتلك التحديات تأثيرا سلبيا على تنمية العملية التعليمية، وأن معظم تلك التحديات كانت وليدة الظروف الخاصة التي مرت بها الموصل والتي لم يظهر لها مثيل في مدارس المحافظات العراقية الأخرى المستقرة امنيا.

Challenges that faced the educational process in schools of the city of Mosul in 2017 from the point of view its caders

Lect. Marah Muayad. Hasan

Abstract:

The research aims to identify the most important administrative, educational, social and economic challenges that faced the educational process in school of the city of Mosul in 2017, to identify the most of these challenges affect the teaching stff.

One of the most prominent search results is that challenges have a negative impact on the development of the educational process and that most of these challenges were result of the special circumstances that were in the city and didn't exist in other provinces stable security in Iraq.

المقدمة

تعد المدرسة مؤسسة اجتماعية وهي من أقدم وأهم مؤسسات المجتمع التي تُعنى بمواصلة التعليم وتثقيف الأبناء بعد خروجهم من إطار أسرهم، ولقد عرفت حضارات العالم القديمة في سومر وآشور وبابل هذه المؤسسة وكان لها دورها المؤثر في تعليم الأفراد مختلف أنواع العلوم والآداب، وازدادت أهمية المدرسة في العصر الإسلامي، وبمرور الزمن ودخول العراق الفترة المظلمة منذ سقوط بغداد على يد المغول (١٢٥٨م)،ومن ثم تعرضه إلى الاستعمار، واجهت المدارس والعملية التعليمية فيها كماَ من التحديات فظل دورها متأرجحا بين

* مدرس، قسم الدراسات التاريخية والاجتماعية، مركز دراسات الموصل، جامعة الموصل.

النجاح والإخفاق، وبعد تحرير العراق من الاستعمار تعاظم دور المدرسة وواجباتها وبرز دورها التربوي والتعليمي، كما زاد الاهتمام بعلاقة التعليم بالتنمية البشرية واستحوذ دور العملية التعليمية على اهتمام العلماء والمفكرين والباحثين سواء التربويين او الاجتماعيين او السياسيين لعلمهم إنها الأداة التي تقوم على إعداد العنصر البشري ورفع كفاءته.

وقد وصل العراق إلى أفضل مستوى للعملية التعليمية في ثمانينات القرن العشرين، إلا ان التحديات بدأت بالظهور مرة أخرى بعد الحروب والصراعات التي مر بها المجتمع العراقي، فقد واجهت وزارة التربية العراقية الكثير من التحديات بعد عام ٢٠٠٣ إلا أنها في النهاية استطاعت إعادة البناء والنهوض بالعملية التعليمية من جديد.

وقد تعرضت العملية التعليمية من جديد إلى تحديات أخرى ولكن في جزء محدد من عراقنا وهو الجزء الذي تعرض إلى غزو الجماعات الظلامية وكانت لمدارس مدينة الموصل حصة الأسد في تعرضها لتلك التحديات، وبعد تحرير المدينة ومحاولة إعادة افتتاح المدارس فيها عام ٢٠١٧ واجهت العملية التعليمية جملة من التحديات التي كادت أن تكون فريدة في بعض منها إذ لم تشهد العملية التعليمية مثل تلك التحديات من قبل ، لذا ارتأينا دراسة تلك التحديات وكشفها من خلال هذا البحث الذي قسم الى مباحث.

تناول المبحث الأول الإطار المنهجي للبحث اي تحديد مشكلة البحث وأهدافه وأهميته والمنهج المستخدم فيه والعينة والأدوات وأخيرا توضيح لأهم المصطلحات العلمية الواردة فيه، وجاء المبحث الثاني تحت عنوان العملية التعليمية والتحديات ليتناول نظريا فقرتين هما على التوالي العملية التعليمية والتنمية، تحديات العملية التعليمية، أما المبحث الثالث فقد خُصص للجانب الميداني إذ تم فيه عرض وتحليل نتائج الاستمارة الاستبيانية، وأخيرا عرض لأهم النتائج والتوصيات والمقترحات التي توصل لها البحث.

المبحث الأول / الإطار المنهجي للبحث

مشكلة البحث/ تواجه الأفراد والمؤسسات والمجتمعات الكثير من التحديات التي تعصف بمستقبلهم وتهدد وجودهم لا سيما إذا فقدوا القدرة والإمكانات الكافية لمواجهة تلك التحديات، والمدرسة بوصفها مؤسسة اجتماعية مفتوحة وفي علاقة تفاعل وتبادل مع البيئة الخارجية تُفرض عليها الكثير من التحديات الداخلية والخارجية التي تتطلب منها مواجهتها بهدف البقاء والاستمرار ومن ثم التطور.

ولا يخفى على احد ما تعرض له المجتمع الموصلي ومؤسساته المختلفة ومنها المؤسسة التعليمية ممثلة بالمدارس وما شهدته العملية التعليمية فيها من اضطرابات وغموض المشهد بعد تحرير المدينة وإعادة افتتاح المدارس تباعا عام ٢٠١٧، إذ واجهت العملية التعليمية عدة تحديات

من أجل مواكبة المسيرة منها ما هو مألوف وتحديات أخرى كانت فريدة من نوعها لم تشهدها مدارس العراق من قبل وذلك بسبب خصوصية الظرف الذي مر بالمدينة وسكانها ومؤسساتها.

لذا جاء هذا البحث من اجل تسليط الضوء على أهم التحديات المجتمعية التي تعرضت لها العملية التعليمية في مدينة الموصل ومدارسها سواء أكانت تحديات تربوية إدارية وتعليمية أم تحديات اجتماعية أم اقتصادية وذلك من خلال كوادرها العاملة من معلمين ومعلمات ومدرسين ومدرسات للوصول إلى نظرة شاملة لتلك التحديات التي شهدتها مدارس مدينة الموصل عام ٢٠١٧.

أهداف البحث

١- التعرف على أهم التحديات الإدارية، التعليمية، الاجتماعية، الاقتصادية التي واجهت العملية التعليمية في مدارس مدينة الموصل عام ٢٠١٧ من وجهة نظر كوادرها.

٢- التعرف على أكثر تلك التحديات تأثيرا على الكادر التعليمي.

أهمية البحث

١- تتجلى الأهمية النظرية للبحث في إن العملية التعليمية تعد أحد الأركان الأساسية للتنمية البشرية لذا يجب زيادة الاهتمام بها وبدورها في تطوير المجتمع، وهذا يتطلب العمل بجد من اجل مواجهة الخلل والتحديات التي تعيق المسيرة التربوية إذا أردنا أن نبني أجيالا جديدة قادرة على خدمة مجتمعها .

٢- وتأتي أهمية البحث ألعملية في انه يتناول حالة خاصة من التحديات التي مرت بها مدارس مدينة الموصل، والعملية التعليمية فيها تختلف عن التحديات المعروفة لدى الباحثين في هذا المجال، مما يشكل إضافة علمية يمكن للقائمين على العملية التربوية الاستفادة منها مستقبلا في التخطيط للمستقبل.

نوع البحث ومنهجيته/ يعد البحث من البحوث الوصفية التحليلية والذي اعتمد منهج المسح الاجتماعي لمجتمع البحث عن طريق سحب العينة (الكوادر التعليمية في المدارس).

أدوات البحث/ من اجل التعرف على أهم التحديات التي واجهت العملية التعليمية عام ٢٠١٧ في مدارس مدينة الموصل قمنا بتوجيه سؤال استطلاعي إلى الكوادر التعليمية الموجودة في مدارس المدينة الابتدائية والثانوية حول أهم التحديات التي واجهتهم وذلك عن طريق عينة مكونة من ٤٠ شخصا، وبعد ذلك تم تحديد التحديات وتقسيمها إلى محاور وعرضها في استمارة استبيانية عُرضت على مجموعة من الخبراء• من أجل تقويمها وبالتالي تم الوصول إلى الاستبيان بشكله النهائي، كما استعانت الباحثة بالملاحظة كأداة أخرى للحصول على المعلومة كونها من سكان المدينة ومعاصرة للأحداث والتحديات فضلا عن ما توفر من مصادر علمية قليلة بسبب احتراق الكتب والمكتبات.

العينة/ من أجل اعتماد عينة ذات حجم مناسب لمجتمع البحث لابد لنا من معرفة الحجم الأصلي لمجتمع البحث والمتمثل بالكوادر التعليمية الموجودة في مدارس مدينة الموصل عام ٢٠١٧، لذا قمنا بزيارة إلى شعبة التخطيط والمتابعة في مديرية تربية نينوى لغرض تزويدنا بأعداد الكادر المتوفر لديهم وحسب جانبي المدينة الأيمن والأيسر كما وردت في سجلاتهم، بعد ذلك قمنا باعتماد نسبة ٣% من حجم المجتمع الأصلي للوصول إلى حجم عينة مناسب وكما موضح في الجدول رقم (١) إذ بلغ حجم العينة الكلي ٢٩٨ مبحوثا، ومن ثم قمنا بتوزيع الاستبيان المعد على العينة عرضياً* لكل فئة من فئات الجدول للحصول على الإجابات.

جدول رقم (١) يبين حجم المجتمع الأصلي وحجم العينة

مجتمع البحث	حجم مجتمع البحث	النسبة المعتمدة للعينة	حجم العينة
كادر ابتدائي أيمن	١٧٤٥	%٣	٥٢
كادر ابتدائي أيسر	٤٧١٢	%٣	١٤١
كادر ثانوي أيمن	٨٢٤	%٣	٢٥
كادر ثانوي أيسر	٢٦٧٢	%٣	٨٠
المجموع	٩٩٥٣	%٣	٢٩٨

الأساليب الإحصائية

النسبة المئوية= $\frac{\text{الجزء}}{\text{الكل}} \times ١٠٠$

الوزن الرياضي= $\frac{ك_{ت م} \times ٣ + ك_{ت و} \times ٢ + ك_{ت ض} \times ١}{ن \times ٣} \times ١٠٠$

$ك_{ت م}$ = **تكرار تحدي مؤثر جداً** . $ك_{ت و}$ = **تكرار تحدي متوسط التأثير.**

$ك_{ت ض}$ = **تكرار تحدي ضعيف**

مجالات البحث

المجال المكاني / مدارس مدينة الموصل الابتدائية والثانوية

المجال البشري / الكادر التعليمي في مدارس مدينة الموصل

المجال الزماني / فترة انجاز البحث من ٢٠١٧/١٢/١ إلى ٢٠١٨/٣/١

تحديد المفاهيم والمصطلحات العلمية

التحديات/ تعرف التحديات بأنها تطورات او متغيرات أو مشكلات أو صعوبات أو عوائق نابعة من البيئة المحلية أو الإقليمية أو العالمية.(١)

* تعني اختيار عدد من الافراد الذين نستطيع العثور عليهم في مكان و فترة زمنية محددة للمزيد انظر/ السعدي الغول السعدي،مناهج البحث، العينات وانواعها <www.svu.edu، pdf

أو هي ذلك الوضع الذي يمثل وجوده تهديدا أو إضعافا أو تشويها، كليا أو جزئيا، دائما كان أو مؤقتا، لوجود وضع آخر يراد له الثبات والقوة والاستمرار. [٢]

أو أزمة تنجم عن شيء جديد،يأخذ صفة المعاصرة لحين ظهورغيره، يولد الحاجة لدى المجتمع الذي يندفع نحو التغلب عليه، ويتطلب تغييرا شاملا في شتى مناحي الحياة.[٣]

والتحديات في أي مجتمع تأخذ أبعادا عدة فهي إما ذات بعد اجتماعي أو بعد اقتصادي أو ثقافي أو ديني أو سياسي إلى آخره، وفي المجتمع التربوي (المدرسة) تظهر كذلك تحديات كثيرة بأبعاد متعددة إدارية وتعليمية واجتماعية واقتصادية.

أما تعريفنا الإجرائي للتحديات فهي الصعوبات والمشكلات الإدارية والتعليمية والاجتماعية والاقتصادية التي واجهت العملية التعليمية في مدارس مدينة الموصل أثناء محاولتها استئناف نشاطها التربوي بعد فترة الركود التي مرت بها المدينة جراء خروجها عن سيطرة الدولة.

العملية التعليمية/ هي الإجراءات والنشاطات التي تحدث داخل الفصل الدراسي، والتي تهدف إلى إكساب المتعلمين معرفة نظرية أو مهارة علمية أو اتجاهات ايجابية يقوم بها المتعلم بطريقة غير مباشرة، فهي نظام معرفي يتكون من مدخلات ومعالجة ومخرجات، فالمدخلات هم الكادر التعليمي، والمعالجة هي العملية التنسيقية لتنظيم المعلومات وفهمها وتفسيرها وإيجاد العلاقة بينها وربطها بالمعلومات السابقة، أما المخرجات فتتمثل في تخريج طلبة أكفاء متعلمين.[٤]

أو هي عملية اتصال، إذ إن المعلم أو المدرس (مرسلا) والمناهج بمعلوماتها (رسالة) والطلبة (مستقبلون) من خلال أدوات كاللغة ووسائل الإيضاح وغيرها في بيئة خاصة (المدرسة) وبيئة عامة (المجتمع).[٥]

وتعريفنا الإجرائي للعملية التعليمية هو كل ما يحدث داخل المدرسة من نشاطات وسلوكيات يقوم بها أعضاء المدرسة من كادر إداري وتدريسي وطلبة من اجل تحقيق أهدافها في التربية والتعليم.

المدرسة /هي المكان الرسمي الذي تتم فيه عملية التربية والتعليم للأفراد وفق السياسة التعليمية المفروضة من قبل الدولة والتي يجب أن تلتزم بها.[٦]

وتعرف أيضا بأنها مؤسسة اجتماعية ضرورية تهدف إلى ضمان عملية التواصل بين العائلة والدولة من اجل إعداد الأجيال الجديدة ودمجها في إطار الحياة الاجتماعية.[٧]

المبحث الثاني / العملية التعليمية والتحديات

العملية التعليمية والتنمية/ تعد العملية التعليمية ركنا أساسيا من أركان التنمية البشرية المستدامة، وكل استثمار فيه يصب في عملية تطوير المجتمع وتأهيله لمواجهة متطلبات الحاضر

وتحديات المستقبل، لذلك قام البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة عام ١٩٩٠ بتقديم دليل التنمية البشرية والذي يتكون من ثلاث أدلة فرعية، يعد دليل التعليم إحداها[٨]، والذي يعتمد على مؤشرين هما مؤشر معرفة القراءة والكتابة ومؤشر القيد المدرسي الإجمالي في التعليم الابتدائي والثانوي والجامعي.[٩] و كما تتباهى دول العالم بنظمها التعليمية القادرة على نقل المعارف والخبرات وصناعة العقول وتهذيب النشء الجديد وتوجيهه بما يتناسب ومتطلبات البيئة الاجتماعية والثقافية العامة وثورة التكنولوجيا والمعلومات.[١٠]

ويتمثل دور العملية التعليمية في تحقيق التنمية بكونها الأداة التي يتم من خلالها تثقيف الأفراد والجماعات وإفساح المجال أمامهم للاطلاع على ما هو جديد من الأساليب التكنولوجية التي تشكل في مجموعها حصيلة المعرفة العلمية لمختلف شعوب العالم،[١١] كما إنها تؤدي دورا جوهريا في عالم اليوم إذ إنها لا تنحصر بالقضاء على الأمية بل تتجاوز ذلك إلى تلبية الاحتياجات وتعلم المهارات وتحديد المعلومات والقناعات الفردية بل والمجتمعية.[١٢]

وكما إن التعليم ركن مهم لتحقيق التنمية، فالتعليم كذلك لا يستقيم من غير التنمية، فإذا حدث خلل في برامج التنمية فان ذلك سوف ينعكس سلبا على برامج التعليم والمشاريع الأخرى المتعددة التي وضعت في الخطة التنموية مما يؤثر سلبا في الأداء.

والمسؤول عن العملية التعليمية في العراق هو وزارة التربية التي كان لها دورا واضحا في تنمية العملية التعليمية وتطويرها على الرغم من التحديات والعقبات التي واجهتها والتي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالأوضاع الأمنية السائدة في البلد، إذ تبذل الوزارة جهودا متواصلة في الإصلاح التربوي وتطوير الجوانب النوعية في العملية التعليمية وقيامها برسم و تنفيذ العديد من الخطط والمشروعات التربوية وبالتعاون مع المنظمات الدولية كاليونسكو واليونسيف[١٣]، إذ تم تقديم المنح والقروض الميسرة من تلك المنظمات والدول لتنفيذ العديد من المشاريع التربوية التي أسهمت في دعم العملية التعليمية واستمرارها في ظل الظروف غير الطبيعية للبلد كمشاريع طبع الكتب المدرسية، وبناء الأبنية المدرسية وتأهيلها، وتوفير المستلزمات المدرسية، وتدريب المعلمين والمدرسين.[١٤]، كذلك تسعى الوزارة الى تحقيق التعاون التربوي والثقافي والعلمي مع المؤسسات العلمية والتربوية والمشاركة في الندوات والاجتماعات والمؤتمرات، وكذلك تعمل الوزارة على التجديد والتحديث لا سيما ما يتصل منها بنظم المعلومات والتقنيات والتقويم وكذلك أعداد المعلمين وتدريبهم. وانصب جهد المسؤولين في العراق على تطوير النظام التعليمي من حيث زيادة الالتحاق بالمدارس و تعويض ما فاتهم ومواكبة التطورات العلمية في باقي الدول، أما فيما يتعلق بالمناهج فقد تطلب إصلاح المناهج وتطويرها العمل على مراجعة مفرداتها من اجل تحديثها وإعادة توجيهها بحيث تستجيب إلى

احتياجات و متطلبات التنمية الوطنية فضلا عن تأمين مواكبتها لمستوى البلدان ذات الأداء العالي في الميدان التربوي[١٥].

ولتفصيل أدق عن العملية التعليمية والتنمية لابد أن نتكلم عن المكان الذي تتم فيه تلك العملية وعن القائمين بها. وعند الحديث عن المكان الذي تتم فيه العملية التعليمية يتبادر إلى أذهاننا المدرسة فقد أصبحت ظاهرة عالمية في كل المجتمعات وأصبحت اليوم تؤدي دورا كبيرا في التأثير على المجتمع كونها مركزا للإشعاع فيه، وهي في نفس الوقت تتأثر في المجتمع الذي تقوم فيه[١٦]، فالمدرسة في الوقت الحاضر أولى المؤسسات التعليمية بعد الأسرة في رعاية الأبناء و العناية بهم، فهي تهتم بجوانب تربوية وتعليمية للطلبة بعد خروجهم للمرة الأولى من أحضان الأسرة بهدف نشر التربية و التوجيه اللازمين، وتؤدي عملها بموجب أنظمة و مناهج دراسية تنبثق عن أشكال و أنواع الثقافة الاجتماعية السائدة و المقبولة اجتماعيا، كما و تلعب المدرسة دورا في نقل التراث الثقافي من جيل إلى آخر[١٧]، وتسعى المدرسة كمؤسسة تربوية اجتماعية إلى تحقيق النمو المتكامل لشخصية التلميذ معرفيا ووجدانيا ومهاريا، وعليه فأن المدرسة تُعلم التلميذ كيف يفكر وكيف يكون باحثا عن المعلومات لا مُستقبلا لها فحسب، ولذلك فأنه لا يجب أن يقتصر دورها على تلقين المعلومات والمعارف بل يجب أن تتجاوز ذلك إلى الاهتمام بتنمية المواهب المختلفة في شخصية الفرد ليصبح قادرا على التعلم والبحث والابتكار.[١٨] وهذا هو دورها التنموي.

وتؤدي العملية التعليمية دورها التنموي في المدرسة من خلال القائمين بها من إدارة وكادر تعليمي، فالإدارة المدرسية ومن خلال ما تقوم به من وظائف ونشاطات ومتابعة لتنفيذ الخطط التربوية تعمل على إحداث التغيرات المطلوبة في صفوف التلاميذ وطرائق تفكيرهم[١٩]، ومدير المدرسة المسؤول الأول عن هذه الإدارة فهو في موقع إستراتيجي مهم بالنسبة لكل ما يجري في مدرسته، فهو الرئيس المباشر لجميع العاملين في المدرسة، وهو حلقة الاتصال في العلاقات على اختلافها سواء بين العاملين بعضهم مع بعض أو بين الطلبة والآباء[٢٠]، ومدير المدرسة العصري لا بجب أن يقف عند حد معين من الكفاءة والفاعلية، بل لابد أن يكون لديه الطموح ويكون على استعداد تام للتكيف مع متطلبات العصر من خلال تفجيره للطاقات الكامنة وتحفيز القدرات للعاملين معه بحيث يصبح الإبداع والابتكار والتجديد والمرونة المحك الأساسي الذي يدير به العملية التعليمية في مدرسته[٢١].

وعلى الرغم من تطور العملية التعليمية وما توصلت إليه من مبتكرات حديثة، إلا أن المدرس أو المعلم لا يزال يشكل عنصرا رئيسا في العملية التعليمية ولا يمكن الاستغناء عنه، فهو الذي يصمم لدرسه وهو الذي ينمي القيم والاتجاهات ويُكسب العادات والمهارات والمعارف[٢٢] فالمعلم أو المدرس عليه أن يوجد الظروف التعليمية المناسبة للطلبة ويركز على

العقل والروح والتفكير بكل أنواعه، ويثير حوافز طلبته ليساعدهم في البحث عن الحقيقة والوصول اليها، فضلا عن قيامه بتنشيط المتعلمين وتحريك كل حواسهم وإشراكها في كسب المهارات المطلوبة، وعلى المعلم أو المدرس أن يضيف أهدافا جديدة للدرس تتمثل في بناء شخصية الطالب وتوظيف المعرفة المكتسبة في صقل شخصيته وبهذا فهو يُعد مواطنا صالحا في المجتمع[٢٣]. وهذا هو دور المعلم أو المدرس التنموي.

وأخيرا فان المنهج الذي يعد من ضمن العملية التعليمية له كذلك دوراً مباشراً في تنمية النشء الجديد، لما له من دور في تنمية السلوك الاجتماعي وإيضاح العادات والقيم وبلورة الاتجاهات المقبولة اجتماعيا، فضلا عن تنمية الخبرات المعرفية[٢٤]، إضافة إلى ذلك فأن المنهج يدرب الطلبة على المهارات المختلفة كالقراءة والإصغاء والتلخيص والمناقشة والتحليل والنقد، كما يساعدهم على فهم العالم بجوانبه المختلفة[٢٥]. وهذا هو دور المنهج في تحقيق التنمية.

تحديات العملية التعليمية

بعد أن تطرقنا إلى العلاقة المتبادلة بين التنمية والعملية التعليمية، لابد أن نتناول التحديات التي تواجه العملية التعليمية وتأثيرها على التنمية، فبعض من هذه التحديات تؤثر في المجتمع بالصميم بحيث يكون تأثير التحدي شاملا وليس ذا بعد واحد فتلك التحديات توثر تأثيرا سلبيا على التنمية في أي مجتمع وبخاصة التحديات التعليمية، مثال ذلك ما فعله الاستعمار الفرنسي في المدارس الجزائرية منذ عام ١٨٣٠ ميلادية من سياسات كانت كفيلة في تحقيق ما لم تحققه الآلة الحربية من تحديات[٢٦]، وهنا لابد أن تكون المواجهة شاملة وبحجم التحديات وإلا فأن النتيجة تكون اكتساحا شاملا وفوضى عارمة.

من جهة أخرى قد يكون للتحدي تأثيرا ايجابيا في التنمية فهي من العوامل الأساسية التي تساهم في رقي المجتمعات لأنها تدفع الإنسان إلى مزيد من التقدم لمواجهتها والتغلب عليها، فالضغوط التي تواجه الفرد والمجتمع تولد روح التحدي لدى الإنسان فتساهم في تفجير طاقاته الايجابية والإبداعية[٢٧].

ومن أجل مواجهة تحديات العملية التعليمية اعتمدت وزارة التربية اتجاهات جديدة للسياسة التربوية التي تهدف إلى تحسين نوع التعليم من أجل اللحاق بمستوى البلدان ذات الأداء العالمي بالميدان التربوي والارتقاء بقدرات الملاك التعليمي وكفاءتهم ولتحقيق استجابة أفضل باحتياجات سوق العمل ومتطلبات التنمية المستدامة[٢٨]،.لكن على الرغم من إحراز تقدم لزيادة قاعدة رأس المال البشري من خلال تحسين نظام التعليم، إلا إن جودة تجارب التعليم لا تزال متدنية، فقد كشفت أدلة التعليم في العراق ضعف استجابة النظام التربوي للتحديات وعدم قدرته على تجاوز مشكلاته وتحقيق غاياته الرئيسة في تمكين الأفراد من الوصول إلى المعرفة[٢٩] . فبحسب تقرير اليونسكو إن العراق في فترة ما قبل حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ ميلادية كان

يمتلك نظاما تعليميا يعد من أفضل أنظمة التعليم في المنطقة، حيث كادت الوزارة في ذلك الوقت أن تقضي على الأمية تماما من خلال إنشاء حملات محو الأمية، لكن التعليم عانى الكثير بسبب ما تعرض له العراق من حروب وحصار وانعدام الأمن.[٣٠]، فبعد سقوط الدولة عام ٢٠٠٣ وازدياد وتيرة الصراع تضررت ٢٧٥١ مدرسة، مما تحتاج إعادة تأهيل، و٢٤٠٠ مدرسة شهدت أعمال نهب وتخريب، واضطرت عدد من المدارس في المناطق الخطرة للغلق فترة طويلة كذلك ارتفع معدل التغيب من مدرسين وطلاب ويرجع ذلك إلى الوضع الأمني الخطر[٣١]، ومن الأمثلة الأخرى على عدم قدرة النظام التعليمي في العراق تحقيق كافة ما يصبو اليه هو عدم قدرته على تحقيق هدفه "التعليم للجميع" وضمان إتمام مرحلة التعليم الابتدائي بحلول عام ٢٠١٠ لكل من الذكور والإناث، فاستنادا إلى نتائج تقرير لمسح الأحوال المعيشية في العراق لعام ٢٠٠٤ يوضح الانخفاض في مؤشر معدل الالتحاق بالتعليم الابتدائي إذ بلغت النسبة٧٩% وهي نسبة متدنية مقارنة بمستويات دول أخرى[٣٢].كل تلك الأمور تعد تحيات واجه التعليم.

وعند استعراضنا للكتب والدراسات وما كُتب عن تحديات العملية التعليمية نجد أن التحديات مشتركة في كثير من الدراسات العراقية وبعض الدراسات العربية، وهي تحديات موجودة في أغلب مدارسنا وليس الكل بالتأكيد، ونحاول في هذا المكان أن نذكر بعضا من تلك التحديات دون تكرار، فقد ذكر صبيح جبر الكعبي أن المناهج قديمة وطرق التدريس تقليدية وعدم كفاية الطاقة الاستيعابية للبنايات المدرسية وتفشي الفساد والشهادات المزورة وعدم تطبيق التعليمات الخاصة بالمؤسسة التربوية مما أدى ذلك إلى تردي التربية والتعليم وقتل روح الإبداع والابتكار والتبعية لثقافة الغرب[٣٣]، ومن بين النتائج التي خلصت لها الباحثة هناء جاسم السبعاوي حول أوضاع التعليم الابتدائي في مدينة الموصل، قلة كفاءة بعض الإدارات المدرسية وأن أغلب المدارس تعاني من إهمال من حيث شحة الكتب والقرطاسية ومقاعد الدراسة فضلا عن المعاناة الناتجة من التفجيرات المستمرة التي تؤدي إلى تحطيم زجاج النوافذ والأبواب والمرافق الأخرى و إتباع نظام الدوام المزدوج في اغلب المدارس بسبب النقص في الأبنية المدرسية والاكتضاض الشديد للتلاميذ داخل الصف الواحد[٣٤]، أما الدكتور حسين علي الحمداني الباحث في شؤون التربية والتعليم فمن ما ذكره من تحديات تعليمية قلة الوسائل التعليمية في مدارس وانعدامها في مدارس اخرى، كثافة المنهج الدراسي يحول دون استخدام طرائق التدريس الحديثة إذ أن المعلم يلجأ الى طريقة المحاضرة لغرض إكمال المنهج الدراسي و قلة الدورات التطويرية للمعلمين و غياب التواصل بين المعلم وولي الأمر[٣٥]، وأخيرا ما ذكرته دراسة مصرية من فقدان الطالب الثقة في قيمة التعليم وخوفه على مستقبله و ضعف الإمكانيات والوسائل العلمية المتوفرة في المدرسة نتيجة ضعف الدعم والتمويل المتاح للمدارس و الاعتماد

على الحفظ والتلقين حتى في الدروس العلمية واعتماد المناهج على الجانب النظري دون العملي والفجوة الواضحة بين محتويات المناهج ومتطلبات سوق العمل(٣٦).

إن الظروف التي مرت بها مدينة الموصل قد فرضت على العملية التعليمية فيها تحديات جديدة لم يشهدها الطالب والمدرس في أي وقت مضى، فضلا عن التحديات التي سبق ذكرهـا، وتلك التحدبات سيتم معرفتها في الجانب الميداني من البحث.

المبحث الثالث / عرض وتحليل نتائج الاستمارة الاستبيانية

من اجل تحقيق أهداف البحث في التعرف على أهـم التحـديات الإداريـة والتعليميـة والاقتصادية والاجتماعية التي واجهت العملية التعليمية في مدارس مدينة الموصل عـام ٢٠١٧ من وجهة نظر الكوادر التدريسية العاملة فيها ، تم اِعداد الاستبيان الذي قُدم إلى عينة منهم وقد كانت محتويات الاستبيان والنتائج كالأتي:-

البيانات العامة للمبحوثين

جدول رقم (٢) يبين البيانات العامة للمبحوثين

الجنس	ذكر			أنثى		المجموع
ك	١٢٩			١٦٩		٢٩٨
%	%٤٣،٣			%٥٦،٧		%١٠٠
العمر	٢٠-٢٩	٣٠-٣٩	٤٠-٤٩	٥٠-٥٩	٦٠ فأكثر	المجموع
ك	٥٩	٧٤	٨٩	٦٠	١٦	٢٩٨
%	%١٩،٨	%٢٤،٨	%٢٩،٩	%٢٠،١	%٥،٤	%١٠٠
موقع المدرسة	ايمن			أيسر		المجموع
ك	٧٧			٢٢١		٢٩٨
%	%٢٥،٨			%٧٤،٢		%١٠٠
نوع الكادر	معلم/ معلمة			مدرس/ مدرسة		المجموع
ك	١٩٣			١٠٥		٢٩٨
%	%٦٤،٨			%٣٥،٢		%١٠٠

الجنس/ شملت العينة كلا الجنسين من الذكور والإناث للكادر التعليمي وارتفعت نـسبة الإنـاث قليلا عن الذكور إذ بلغت ٥٦،٧% مقابل ٤٣،٣% للذكور.

العمر/كذلك الحال بالنسبة لأعمار المبحوثين إذ شملت العينة كل الأعمار التي مـن الممكـن أن تخدم في مؤسسة تربوية وبنسب مختلفة مما جعلها ممثلة لمجتمـع البحـث الأصـلي، ويمكـن ملاحظة النسب من الجدول السابق، ويعود انخفاض النسبة للفئة العمريـة ٦٠ فـأكثر لوصـول الكادر الى سن التقاعد وانقطاعهم عن العمل.

موقع المدرسة/ مما لاشك فيه إن لموقع المدرسة تأثيراً كبيراً على إجابـات المبحـوثين وذلـك لوجود اختلافات في الظروف المحيطة بموقع المدرسة لا سيما بعد التحرير والاستعدادات لإعادة الحياة في المناطق المحررة، لذا قسمت العينة إلى قسمين الأول يعمل في الجانب الأيمن والأخر يعمل في الجانب الأيسر، وتأكيدا للنسبة التي اعتمدناها في تحديد حجم العينة فقـد بلـغ عـدد

الكادر في الجانب الأيمن ٧٧ فرد وبنسبة ٢٥،٨% سواء أكانوا من الكادر الابتدائي أم الثـانوي، بينما بلغ عدد العينة العاملة في الجانب الايسر ٢٢١ فردا وبنسبة ٧٤،٢% سواء أكانوا من الكادر الابتدائي ام الثانوي، ويرجع سبب التفاوت في النسبة الى التفاوت الحقيقي في الأعـداد الحقيقيـة لمجتمع البحث الأصلي إذ إن أعداد الكادر العامل في الجانب الأيسر اكبر بكثير من العدد العامل في الجانب الأيمن•، ويرجع السبب في ذلك لوجود عددا كبيرا من مدارس الأيمن لـم تفـتح إذ هناك ٣٦ مدرسة مغلقة حسب سجلات شعبة التخطيط والمتابعة في مديرية التربية، فضلا عـن ان عددا كبيرا من الكادر العامل في الأيمن انتقل للعمل في الجانب الأيسر، وهذا التفاوت يمكـن اعتباره تحديا واجه العملية التعليمية.

نوع الكادر/ شمل البحث جميع مـدارس مدينـة الموصـل الابتدائيـة والثانويـة (المتوسـطة والإعدادية)، لذا كان لابد أن تشمل العينة المعلمين والمعلمات والمدرسين والمدرسـات لتكـون ممثلة للمجتمع الأصلي.وكما سبق عرضه في الجدول رقم(١) تم اختيار عينة بلغت ١٩٣ ميحوثا من معلمي ومعلمات المدارس الابتدائية ٦٤،٨% و١٠٥ مدرس ومدرسة من المدارس الثانويـة وبنسبة ٣٥،٢%، ويرجع السبب كذلك في تفاوت النسب إلى الزيادة الكبيرة في الأعداد الحقيقيـة للمعلمين والمعلمات عن أعداد المدرسين والمدرسات•• إذ لا يخفـى عـن احـد أن المـدارس الابتدائية تفوق في أعدادها مدارس الثانوية بحسب خطة وزارة التربية المعتمدة.

التحديات التي واجهت العملية التعليمية في مدارس مدينة الموصل

من خلال ما تم ملاحظته من الاستبيان الاستطلاعي المقدم للمبحوثين، فـإن التحـديات التي واجهتهم في عام ٢٠١٧ لا تتعدى كونها تحديات إدارية، تعليمية، اجتماعية، اقتصادية لـذا قمنا بتقسيم الاستبيان على شكل محاور ضمت تلك التحديات المذكورة آنفا وكما يلي:-

التحديات الإدارية

ونعني بالتحديات الإدارية تلك المعوقات التي تخص العملية التعليمية سواء أكانـت مـن وزارة التربية أم من مديرية تربية نينوى ام من المدارس نفسها، والجدول رقم (٣) يبـين أهـم التحديات الإدارية التي واجهت الكوادر التعليمية عام ٢٠١٧ في مدارس الموصل الابتدائية منها والثانوية على حد سواء.

جدول رقم (٣) يبين درجة تأثير التحديات الإدارية على العملية التعليمية

التحديات الإدارية	تحدي مـؤثر جدا	تحدي متوسط التأثير	تحدي ضعيف التأثير	الـوزن الرياضي
قرارات وزارية متخبطة ومتأخرة	٢٠٤	٩٣	١	٨٩،٤
ازدحام الصفوف بالطلبة	١٧٨	١١٥	٥	٨٦،١
تأخر تسوية الملاكات التعليمية	١٢١	١٦٦	١١	٧٨،٩
عدم توحيد موعد افتتاح مدارس مدينة الموصل	١٠٠	١٨٢	١٦	٧٦،٨

عدم صلاحية بناية المدرسة	٩٦	١٧٣	٢٩	٧٤،٢
كثرة تنقلات الطلبة بين المدارس	١٠٩	١٤٤	٤٥	٧٣،٨
التعقيد والصعوبات والروتين المتبع في مديرية التربية	٦٢	١٨١	٥٥	٦٧،٤
إتباع نظام الدوام المزدوج	٤١	١٧٥	٨٢	٦٢،١
ضعف دور نقابة المعلمين في الدفاع عن حقوق الكادر التعليمي	٢٤	١٢٧	١٤٧	٥٢،٩
ضعف كفاءة الإدارة المدرسية	٤٥	٩٩	١٣٤	٥١،٢

وحسب الأوزان الرياضية المستخرجة والتي يتبين من خلالها أكثر التحديات تأثيرا أو سلبية على العملية التعليمية، ظهر لنا أن القرارات الوزاريةا، وبما أن العملية التعليمية في مدارس الموصل قد تعرضت إلى إخفاقات كبيرة بسبب سيطرة الجماعات المتطرفة على العملية التعليمية في المدينة، فقد تتطلب ذلك الأمر من وزارة التربية أن تتخذ مجموعة من القرارات والخطوات لكي تعيد السيطرة على التعليم والمدارس في المدينة بعد تحريرها، إلا أن الملاحظ إن تلك القرارات كانت متخبطة ومتأخرة مما أربك العملية التعليمية، ومن بين تلك القرارات العمل بنظام (سبر المعلومات) وهو إجراء امتحان شفهي أو تحريري لطلاب المرحلة الابتدائية للسنوات التي كانت تحت حكم الجماعات الظلامية، ومن ثم تقييمهم لعبورهم إلى المرحلة العمرية التي يستحقونها، أما بالنسبة إلى المرحلة الثانوية فمن ضمن القرارات عدم عبور الطلبة إلى مرحلة دراسية لاحقة ما لم يجتازوا الامتحان الوزاري، وقد أدت هذه القرارات إلى ازدحام مراحل دراسية بالطلبة وخلو مراحل أخرى منهم مما اثر سلبا على العملية التعليمية، فضلا عن عدم توحيد موعد فتح المدارس وقرارات أخرى متعلقة بمواعيد الامتحانات فضلا عن التأخر في قرارات أخرى وصدورها في أثناء الدوام، في حين كان من المفترض ان تصدر في وقت سابق من بداية العام الدراسي حتى يتسنى للطالب او الكادر التعليمي اخذ الاحتياطات اللازمة، إذ بلغت أعلى وزن رياضي ٨٩،٤ .

ومن التحديات الأخرى التي حصلت على وزن رياضي مرتفع هو ازدحام الصفوف بالطلبة إذ بلغ الوزن الرياضي لهذه الفقرة ٨٦،١ وهذا الأمر كان نتيجة طبيعية لنظام سبر المعلومات، وعدم تجاوز الامتحانات الوزارية للأعمار التي استحقت عبور تلك المرحلة، مما أدى إلى تكدس أعدادا كبيرة من الطلبة في مرحلة دراسية معينة، مما أدى بالنتيجة إلى ازدحام الصفوف بالطلبة والذي أثر سلبا على الطالب والأستاذ في آن واحد، إذ أن الطالب لا يأخذ حقه في الجلوس المريح والفهم الجيد وكذلك لا يمكن للقائم بالتدريس السيطرة على الصف وإعطاء الطالب حقه من الشرح والاهتمام، فضلا عن أن إغلاق بعض المدارس وعدم صلاحيتها وانتقال الطلبة إلى أماكن للعيش دون الأخرى كانت سببا آخر لازدحام الصفوف في عدد من

المدارس، ومما لا يخفى على احد إن مدارسنا الحكومية تعاني في الأساس من ازدحام الصفوف بالطلبة إذ يصل عدد الطلبة في الصف الواحد ٥٠ طالب أو أكثر في حين من المفترض أن لا يتجاوز العدد ٣٥ طالب للصف الواحد او٣٠ طالبا، إذ يبلغ المعدل العالمي للمساحة التي يشغلها الطالب في الصف ٢ متر مربع/ تلميذ[٣٧].

وفي المرتبة الثالثة من التحديات الإدارية للعملية التعليمية كانت تأخر تسوية الملاكات التعليمية إذ حصلت على وزن رياضي بلغ ٧٨،٩ فنتيجة للحرب التي شهدتها مدينة الموصل واضطرار العوائل للنزوح وتحرير الجانب الأيسر من المدينة قبل جانبها الأيمن باشر عدد من الكوادر التعليمية في مدارس قريبة من مناطق تواجدهم وقسم آخر باشر في محافظات اخرى كدهوك أو اربيل حسب نزوحهم اليها مما كان له الأثر السيء في توزيع الكادر التعليمي حسب حاجة المدارس، فقد تركز عدد من مدرسي مادة اللغة العربية في مدرسة معينة على سبيل المثال في حين يوجد نقص في مدارس أخرى، إن عملية التسوية وإجراء التوازن جاء متأخرا مما إربك العملية التعليمية في عدد من المدارس.

وفي التسلسل الرابع جاءت فقرة عدم توحيد موعد افتتاح المدارس إذ حصلت على وزن رياضي ٧٦،٨، إذ انه من المعلوم أن الدوام الرسمي لكافة المدارس في العراق يبدأ في الشهر التاسع وتجرى الامتحانات النهائية في الشهر الخامس فيما عدا المراحل النهائية فتتأخر لحين أداء الامتحان الوزاري، إما ما حدث في مدارس مدينة الموصل في عام ٢٠١٧ فهو مختلف إذ تحرر الجانب الأيسر من المدينة قبل الجانب الأيمن، وجاء تحرير الجانب الأيسر على مراحل زمنية متعاقبة. وما أن استقر الوضع الأمني في أغلب مناطق الأيسر أعلنت وزارة التربية عن إعادة افتتاح ٧٠ مدرسة فيه بتاريخ ٢٠١٧ /١/٢٢[٣٨]، بينما بقت المدارس القريبة من ضفة النهر غير مفتوحة لحين تحسن الوضع الأمني فيها، وفي ٢٠١٧/٥/٢٢ أعلن عن إعادة افتتاح ٤٧ مدرسة في الجانب الأيمن للمدينة كان هذا من اصل٣٠٨ مدرسة في المدينة تعرضت إلى اضرار جراء المعارك،، هذا التفاوت في مواعيد افتتاح المدارس اثر سلبا على العملية التعليمية فضلا عن قصر الفترة الزمنية المحددة لإنهاء العام الدراسي حيث لم تتجاوز الفترة في بعض المدارس عن الشهرين مما أدى بالمدرسين إلى التعجل في إعطاء المادة مما اثر سلبا على المستوى العلمي للطلبة.

وفي تحدي آخر نجد أن أعدادا كبيرة من المدارس القديمة التقليدية التي ينقصها الكثير من التجهيزات الحديثة مازالت توجد في كثير من الدول حتى المتقدمة منها، وان هذه الدول تعمل على إعادة تأهيل مدارسها أو بناء مدارس جديدة، وبالطبع يزداد الأمر سوءا في مدينة تعرضت إلى حرب شرسة وقصف طال أبنيتها، والمدارس من ضمن تلك الأبنية التي هدم بعضا منها والبعض الآخر كسرت نوافذه وأبوابه وما إلى ذلك من الأمور، بحيث أصبحت غير صالحة

لإجراء العملية التعليمية داخلها،هذا الأمر دفع المنظمات الدولية إلى العمل مع مديرية التربية في المحافظة من اجل إعادة الحياة لتلك المدارس وذلك من خلال تشكيل لجان من قسم الأبنية المدرسية والتخطيط لإجراء الكشوفات الهندسية وزيارة المدارس، ومن ضمن تلك المنظمات منظمة اليونسيف ومنظمة undp و منظمة people in need و منظمة NR (مجلس اللاجئين النرويجي) ومنظمة DRC (المنظمة الدنيماركية لإزالة الألغام)•••، وعلى الرغم من كل الجهود المبذولة في إعادة المدارس الى وضعها الطبيعي إلا انه كان تحديا واجه الكادر التعليمي وذلك لكون الاعمار وإعادة التأهيل سار جنبا إلى جنب مع الدوام الرسمي لتلك المدارس، وتأخر الاعمار في بعض الأحيان مما اضطر الطلبة والمدرسة الى التدخل السريع لحل مشاكل مدرستهم بأنفسهم لتوفير أجواء دراسية مناسبة على سبيل المثال تصليح النوافذ المحطمة، لذا حصلت هذه الفقرة على وزن رياضي ٧٤،٢ وهو وزن مرتفع نسبيا.

أما الوزن الرياضي الذي حصلت عليه كثرة تنقلات الطلبة بين المدارس فقد كان٧٣،٨ وهو وزن مرتفع أيضا، ويعود السبب في ذلك إلى التنقلات التي حصلت للعوائل داخل أحياء المدينة أو نزوحهم خارج المحافظة بسبب الحرب والفترة السابقة لها، مما اضطر الطالب إلى تسجيل نفسه في مدرسة وعند عودته إلى سكنه الأصلي يعود لتسجيل نفسه في مدرسته الأصلية، وقد سمحت تعليمات التربية بذلك التنقل وحسب مسماها (واقع حال)، فضلا عن ان تأخير فتح بعض المدارس ضمن المناطق الساخنة اضطر الطلبة إلى التسجيل في مدارس بعيدة لحين فتح مدارسهم ومن ثم العودة، هذا التنقل كان له الأثر السلبي على الطالب والكادر التعليمي في الوقت نغسه إذ تتفاوت الدروس وطرق إيصال المادة بين المدارس ومشاكل أخرى تتعلق بالامتحانات وتأقلم الطالب الجديد وما إلى ذلك.

وعن فقرة التعقيد والصعوبات والروتين المتبع في مديرية التربية فكثرة التنقلات والمشكلات المدرسية والقرارات الجديدة أدت بالنتيجة إلى زيادة الحاجة إلى مراجعة مديرية التربية للاستفسار أو لإكمال الإجراءات الروتينية وما شابه من قبل الكوادر التعليمية أو أولياء أمور الطلبة على حد سواء ولا يخفى عن أحد الروتين المتبع في دوائر الدولة الذي يؤدي إلى تعقيد الأمور وإضاعة الوقت، وقد حصلت هذه الفقرة على وزن رياضي ٦٧،٤ .

بعد تلك التحديات الإدارية ذات الوزن الرياضي المرتفع نسبيا تأتي التحديات الأقل حدة والتي من الممكن مشاهدتها في كل السنوات فهي تحديات عامة موجودة في كل مدارس العراق وهي إتباع نظام الدوام المزدوج، ضعف دور نقابة المعلمين في الدفاع عن حقوق الكادر التعليمي، ضعف كفاءة الإدارة المدرسية وحسب الأوزان المبينة في الجدول السابق.

من العرض السابق يتبين لنا إن التحديات الإدارية السابقة تؤثر سلبا على الدور التنموي للعملية التعليمية التي تهدف إلى النهوض بالمجتمع وخلق المواطن القادر على أداء دوره وتحمل

مسؤوليته في مجتمعه إذ إن التنمية في مجال التربية والتعليم كما في أي مجال تنموي آخر تحتاج إلى كفاءة إدارية في مجال التخطيط والتنفيذ كما تحتاج إلى بيئة مناسبة للتنفيذ وهذا ما لم نلحظه في مدارسنا مما انعكس بالسلب على تنمية العملية التعليمية.

التحديات التعليمية

جدول رقم(٤) يبين درجة تأثير التحديات التعليمية على العملية التعليمية

التحديات التعليمية	تحدي مؤثر جدا	تحدي متوسط التأثير	تحدي ضعيف التأثير	الوزن الرياضي
طول المنهج الدراسي مقارنة بالوقت المتاح	١٧٧	١١٧	٤	٨٦
ضعف المستوى العلمي للطلبة نتيجة لنظام الترحيل والعبور المعمول به	١٤٧	١٤٥	٦	٨٢،٤
صعوبة المناهج الدراسية الحالية	٩٤	١٨٦	١٨	٧٥،٢
عدم اهتمام الكادر التعليمي برفع المستوى العلمي للطلبة	٢٩	١٧٦	٩٣	٥٩،٥
التسرب الدراسي لبعض الطلبة	١٤	١٧٢	١١٢	٥٥،٧
عدم كفاءة بعض المدرسين في المدرسة	٨٦	٧٨	٣٤	٥٠،١
عدم مواكبة العالم بتطورات العملية التعليمية (اعتماد التعليم الالكتروني، استخدام السبورة الذكية)على سبيل المثال	٣	٨٩	٢٠٦	٤٣،٩

وبالنسبة للتحديات التعليمية التي واجهت العملية التعليمية في مدارس مدينة الموصل عام ٢٠١٧ اي تلك المتعلقة بالطالب والكادر التعليمي والمنهج فقد بينها الجدول رقم (٤) وكما يلي:-

حصلت فقرة طول المنهج الدراسي مقارنة بالوقت المتاح على أعلى وزن رياضي وهو٨٦ إذ أن العام الدراسي ٢٠١٦-٢٠١٧ شهد تأخرا كبيرا في فتح المدارس في مدينة الموصل بسبب الحرب والوضع الأمني، إذ لم تفتح اغلب مدارس الجانب الأيسر من المدينة إلا مطلع ٢٠١٧ وتأخر القسم الباقي عن ذلك، أما مدارس الجانب الأيمن فقد أعقبتها في الفتح في حين كان من الضروري السير بالمنهج الدراسي وإجراء الامتحانات النهائية وغير النهائية والوزارية، وهنا كانت المشكلة التي واجهت الطالب والكادر التعليمي على حد سواء وهو قصر الوقت المتاح مقارنة بطول المنهج مما اثر سلبا على العملية التعليمية بشكل كبير، إذ لم تعطى المادة الدراسية حقها من الدراسة والشرح والتوضيح وبدا التعجل السمة المميزة لهذه السنة والأكثر من ذلك تُركت فصول بكاملها على الطالب لكي يدرسها لوحده أو بالاعتماد على المدرس الخصوصي وخاصة بالنسبة للمدارس التي تأخر افتتاحها إذ لم تتجاوز فترة الدراسة الفعلية شهرين أو ٣ أشهر، إن هذا الأمر كان له مردوده السلبي على تنمية العملية التعليمية فبدلا

من العمل على رفع المستوى العلمي للطلبة وتنمية قدراتهم وطاقاتهم، حصل العكس وضاعت سنوات دراسية كاملة من دون استفادة أو استفادة محدودة وهذا ما تظهر آثاره واضحة أيضا على الطالب في السنوات الدراسية اللاحقة .

أما التحدي التعليمي الثاني في درجة تأثيره فكان ضعف المستوى العلمي للطلبة نتيجة لنظام الترحيل والعبور المعمول به إذ حصل على وزن ٨٢،٤، فنتيجة نظام سبر المعلومات الذي عمل به في المرحلة الابتدائية منذ انتهاء عمليات تحرير المدينة كإحدى المعالجات التي قدمها وزير التربية لحل التحديات الجديدة والذي بموجبه انتقل الطالب من مرحلة دراسية إلى مرحلة دراسية أعلى عابرا بذلك مراحل دراسية لسنة أو سنتين، كل ذلك كان له التأثير الواضح على انخفاض المستوى العلمي للطلبة، وعلى نفس المسار وخارج الإطار الزمني للبحث ففي عام٢٠١٨ تم ترحيل الطلبة في المرحلة الثانوية بعد مضي نصف سنة دراسية إلى مرحلة دراسية لاحقة وحسب الأعمار، حتى لا تضيع عليهم فرصة مساواتهم بأقرانهم في المحافظات الأخر غير الواقعة تحت سيطرة الجماعات الظلامية، ولكن على حساب المستوى التعليمي وهذا يدل كذلك على ضعف التخطيط والتنبؤ بالمستقبل مما ترك أثرا سلبيا على تنمية التعليم.

وفيما يخص صعوبة المناهج الدراسية الحالية فقد حصلت على ثالث ترتيب في درجة التأثير، اذ بلغ الوزن الرياضي لها٧٥،٢ ، والمنهج هو الكتاب المدرسي الذي يمثل ركنا أساسيا في العملية التعليمية لما يقوم به من تنمية الخبرات المعرفية للطالب ويساعده على فهم العالم بجوانبه المختلفة، ولقد تم العمل مؤخرا في وزارة التربية على تحديث أغلب المناهج الدراسية لتواكب التطورات المعرفية مما زاد من صعوبتها ومستوياتها مقارنة بالمناهج السابقة لها وهذا مثل تحديا جديدا شمل مدارس العراق كافة، يضاف الى ذلك التحديات الخاصة بمدارس مدينة الموصل مما أضاف عبأ اكبر على الكادر التعليمي والطالب في الوقت نفسه.

وعن عدم اهتمام الكادر التعليمي برفع المستوى العلمي للطلبة فقد كان الوزن الرياضي لهذه الفقرة ٥٩،٥ ، فيعد المعلم أو المدرس شخص فاعلا ومؤثرا وعنصرا مهما من عناصر العملية التعليمية لان تربية الأجيال وتعليمهم وإعدادهم من مسؤوليته وواجباته، إلا أنه في ظل الظروف الاجتماعية والاقتصادية والنفسية الصعبة التي عانى منها الكادر التعليمي في مدارس مدينة الموصل نتيجة لسيطرة الجماعات المتطرفة والمعارك التي شهدتها المدينة والنزوح وغيرها من الأسباب جعلت من المعلم والمدرس في وضع غير مستقر وغير قادر على العطاء كما ينبغي، ناهيك عن التحديات سابقة الذكر، كل تلك العوامل اجتمعت وأدت الى تقاعس الكوادر التعليمية في أداء دورهم بصورة كفوءة مما اثر سلبا على تنمية العملية التعليمية بشكل واضح. إن الظروف التي مر بها الكادر التعليمي الاجتماعية والاقتصادية والنفسية هي ذاتها التي مر بها الطالب مما أدى ببعض الطلبة إلى التسرب الدراسي وعدم قدرتهم على إكمال

التعليم ولو بصورة مؤقتة فقد اضطر بعضهم إلى العمل لإعالة أسرهم أو تشرد آخرون بسبب فقدان أو موت أفراد أسرهم وما إلى ذلك لذلك حصلت هذه الفقرة على وزن رياضي ٥٥،٧.

وفي أوزان رياضية اقل تأثيرا على العملية التعليمية عام ٢٠١٧ كانت الفقرات عدم كفاءة بعض المدرسين وعدم مواكبة العالم بتطورات العملية التعليمية مثل اعتماد التعليم الالكتروني أو السبورة الذكية وما إلى ذلك وحسب الأوزان الواردة في الجدول السابق.

من العرض السابق يتضح لنا قوة تأثير التحديات التعليمية على عملية التنمية وبالأخص في مجال التعليم، إذ أصبح واضحا ونتيجة للتحديات انفه الذكر ضعف المستوى العلمي لطلبتنا هذا الضعف الذي سيبقى مرافقا لهم في مرحلة الدراسة الجامعية وفي حياتهم العملية يعد التخرج، مما يؤدي إلى صياغة أجيال هشة لا تملك أساسا علميا قويا يمكنها من المساهمة الفاعلة في خدمة مجتمعها أو العمل على تطويره.

التحديات الاجتماعية

جدول رقم(٥) يبين درجة تأثير التحديات الاجتماعية على العملية التعليمية

التحديات الاجتماعية	تحدي مؤثر جدا	تحدي متوسط التأثير	تحدي ضعيف التأثير	الوزن الرياضي
تعرض بعض الطلبة أو الكادر التدريسي لضغوطات نتيجة المعارك والظروف غير الطبيعية التي عاشوا فيها	٨١	١٩٤	٢٣	٧٣،٢
التجاوز على الكادر التعليمي من قبل بعض الطلبة أو أولياء الأمور	٢٧	٢٢٢	٤٩	٦٤،٢
استخدام أجهزة الهواتف النقالة في المدرسة من قبل بعض الطلبة	٢٠	١٦٩	١٠٩	٥٦،٧
وجود تحيز طائفي أو مذهبي بين الطلبة	١٥	١٧٢	١١١	٥٦
عدم وجود باحث اجتماعي أو نفسي في بعض المدارس	١٤	١٦٨	١١٦	٥٥،٢
كثرة التدخلات والوساطة في شؤون المدرسة	٤	٥٤	٢٤٠	٤٠،٣

يعد الكادر التعليمي والطلبة من ضمن أفراد المجتمع يعيشون في تفاعل مستمر مع المجتمع يؤثرون فيه ويتأثرون به. وما مر به المجتمع الموصلي من ظروف خاصة انعكست على سلوك ومشاعر وحياة أبنائه وهي كذلك تترك ظلالها على الكادر التعليمي وعلى الطلبة وعلى العملية التعليمية على السواء.لهذا احتلت فقرة تعرض الكادر التعليمي والطلبة لضغوطات نتيجة المعارك والظروف غير الطبيعية التي عاشوا فيها على أعلى وزن رياضي من بين التحديات المجتمعية إذ بلغ ٧٣،٢ فقد تعرض أبناء المجتمع الموصلي إلى ضغوطات وصدمات ناتجة عن التعرض إلى الانفجار أو مشاهدة أعمال العنف أو قتل لأحد الأقرباء أو الاعتقال او الاختطاف أو التهجير وغيرها مما ترك آثارا سلبية على الفرد كالشعور بالحزن والكآبة

والغضب وكثرة الأمراض كالصداع وتهيج القولون وغيرها من الأمراض، وفي دراسة أجراها الباحث خليل عبد الله حسين ذكر ان التقديرات أشارت ان٣٠% من الذين يعيشون في مناطق الحروب قد خبروا اضطراب ما بعد الصدمة[٣٩]، كل ذلك ترك آثاره السلبية على العملية التعليمية وعلى تنميتها وتطويرها في الوقت نفسه.

أما عن التجاوز على الكادر التعليمي فقد احتلت المرتبة الثانية وبوزن رياضي٦٤،٢ ،إذ لم يعد للعملية التعليمية نتيجة الإخفاقات الكبيرة لها احترام وتقدير من قبل بعض الأفراد في المجتمع الذين يعبرون عن انتقادهم واستيائهم بطرق غير مرضية كالتجاوز على الكادر التعليمي بالكلام او الشتم وقد يصل الحال إلى التهديد لا سيما بالنسبة لأولياء الأمور المتنفذين في المجتمع، وهذه اتجاهات سلبية تعيق عملية تنمية التعليم واستمراريته .

وحصلت فقرة استخدام أجهزة الهواتف النقالة من قبل بعض الطلبة في المدرسة على وزن رياضي ٥٦،٧، إذ إن مواكبة الأفراد لتطور المجتمعات كانت من نتائجها امتلاك كل فرد لجهاز تواصل خاص به، واستخدام هذا الجهاز سلبا من قبل بعض الطلبة شكل تحديا للعملية التعليمية فقد يتم استخدامه سرا بين الطلبة في وقت الدرس وهذا يؤثر سلبا على فهم الطالب لما يتم شرحه داخل الصف أو يقوم بعض الطلبة بعرض بعض الفيديوات أو الصور المخدشة للحياء أو يستخدم للغش في الامتحانات.

أما باقي الفقرات فقد حصلت على أوزان رياضية اقل وهي على التوالي، وجود تحيز طائفي أو مذهبي بين الطلبة، عدم وجود باحث اجتماعي أو نفسي في بعض المدارس، كثرة التدخلات والوساطة في شؤون المدرسة وحسب الأوزان الرياضية المذكورة في الجدول السابق.

التحديات الاقتصادية

ما ذكر عن التحديات الاجتماعية وتأثيرها على العملية التعليمية ينطبق كذلك على التحديات الاقتصادية فالتحديات المجتمعية بشكل عام تؤثر على جميع مؤسسات المجتمع لكونها مؤسسات مفتوحة متبادلة التأثير، واكبر تأثير اقتصادي على العملية التعليمية من وجهة نظر العينة كان عدم استلام الكادر التعليمي لرواتبهم على الرغم من استمرارهم بالتدريس، إذ حصل على وزن رياضي ٨٦،٥ كما في الجدول رقم (٦).

جدول رقم (٦) يبين درجة تأثير التحديات الاقتصادية على العملية التعليمية

التحديات الاقتصادية	تحدي مؤثر جدا	تحدي متوسط التأثير	تحدي ضعيف التأثير	الوزن الرياضي
عدم استلام الكادر التعليمي لرواتبهم رغم استمرارهم بالتدريس	٢٠٤	٦٧	٢٧	٨٦،٥
عدم توفر القدرة المالية للطلبة على توفير مستلزمات الدراسة	٨٨	١٦٥	٤٥	٧١،٥
تأخر في اعمار وترميم المدارس بسبب قلة السيولة المالية	٦٦	٢٠٣	٢٩	٧٠،٨

عجز ميزانية المدرسة عن توفير احتياجات المدرسة	٣٩	١٧٧	٨٢	٦١،٩
وجود فوارق اقتصادية بين الطلبة	٨	٣٧	٢٥٣	٣٩،٣

إذ إن الحكومة العراقية قد أوقفت صرف رواتب الموظفين في مدينة الموصل المتواجدين في المدينة فترة حكم الجماعات المتطرفة وقامت بإدخارها لهم لحين تحرير المدينة حسب قرار مجلس النواب رقم ٣١٣، ولكن على الرغم من تحرير المدينة والعمل على عودة الدوام في المؤسسات التربوية كافة إلا إن عملية إعادة الرواتب لم تحصل بالتوازي مع عودة الكادر إلى مزاولة أعمالهم مما أثقل كاهلهم المثقل أصلا بسبب انقطاع مصدر رزقهم لمدة سنتين على اقل تقدير، إن هذا الحال كان من أكثر التحديات التي تعرض لها الكادر التعليمي عام ٢٠١٧ في مدينة الموصل والذي كان من نتائجه عدم التزام الكادر بالدوام وعدم الرغبة بالتدريس، وتأثر الكادر بالمشكلات الأسرية التي سببها قلة الدخل كل ذلك كان معوقا لسير العملية التعليمية مما ترك أثرا سلبيا على التنمية في مجال التعليم. ولم يقف االتحدي الاقتصادي المتمثل بقلة الدخل أو انعدامه عائقا أمام الكادر التعليمي فقط، فقد تأثر به الطالب أيضا، فالمدرسة تحتاج من الطالب أن يوفر لها مستلزماتها من قرطاسية و حقيبة وملابس ومصاريف يومية وقد لا يستطيع البعض توفيرها، فضلا عن ظاهرة عدم توفر الكتب المنهجية التي أضافت عبأ جديدا على الطالب في استنساخها أو شراء الملازم المعوضة عنها إذ لم تتمكن الوزارة من تزويد المدارس بالكتب المنهجية كاملة في الوقت المحدد، هذا وقد عمدت الجماعات الظلامية إلى تغيير المناهج الدراسية بما يتلائم مع أفكارهم فترة تواجدهم لا سيما المرحلة الابتدائية، كل ذلك اثر على سير الدرس وعلى قدرة الطالب على التحصيل العلمي فقد حصل هذا التحدي على وزن رياضي ٧١,٥.

وعن فقرة عدم توفر السيولة المالية لاعمار وترميم المدارس المتضررة بسبب العمليات العسكرية والتي حصلت على وزن رياضي ٧٠،٨، فإذا رجعنا إلى الخطط الاقتصادية في سبعينات القرن الماضي نجد أن قطاع التعليم كان له نصيب وافر من ميزانية الدولة لكن دخول العراق في الحصار والحروب أدى إلى انخفاض نسبة الصرف على قطاع التعليم، مما جعل التمويل الحكومي غير قادر على سد العجز في الأبنية المدرسية أو المستلزمات التربوية الأخرى فأزداد عدد المدارس التي تحتاج إلى ترميم أو الآيلة للسقوط[٤٠]. هذا بالنسبة للعراق بشكل عام، فكيف الحال في مدارس مدينة الموصل التي طالها التدمير والخراب جراء العمليات العسكرية والقصف، وعلى الرغم من تدخل المنظمات الدولية كما سبق ذكره إلا إن تأخر العمل وكثرة عدد المدارس التي تحتاج إلى صيانة كان من التحديات التي واجهت العملية التعليمية و تركت تأثيرا سلبيا على تنمية التعليم في المدينة.

و للأسباب ذاتها أصبح هناك عجز في ميزانية المدرسة عن توفير احتياجات المدرسة

العادية والذي اعتمدت المدارس على عدد من طلبتها المتمكنين في توفير بعض الحاجات كوسائل التنظيف أو توفير الأقلام الخاصة بالكتابة على السبورة إلى آخره، وكان التحدي الأقل تأثيرا هو وجود فوارق اقتصادية بين الطلبة اذ حصل على اقل وزن رياضي وحسب ما مبين من الجدول السابق.

وفي نهاية المطاف ولكي تصبح الصورة واضحة في إبراز أقوى تلك التحديات تأثيرا على العملية التعليمية عام ٢٠١٧ في مدارس مدينة الموصل، قمنا بترتيب تلك التحديات مجتمعة من أعلى وزن رياضي الى اقل وزن وحسب الجدول التالي

جدول (٧) يبين تسلسل ترتيب التحديات في درجة تأثيرها على العملية التعليمية

التحديات	الوزن الرياضي	تسلسل مرتبي
قرارات وزارية متخبطة ومتأخرة	٨٩،٤	١
عدم استلام الكادر التعليمي لرواتبهم رغم استمرارهم بالتدريس	٨٦،٥	٢
ازدحام الصفوف بالطلبة	٨٦،١	٣
طول المنهج الدراسي مقارنة بالوقت المتاح	٨٦	٤
ضعف المستوى العلمي للطلبة نتيجة لنظام الترحيل والعبور المعمول به	٨٢،٤	٥
تأخر تسوية الملاكات التعليمية	٧٨،٩	٦
عدم توحيد موعد افتتاح مدارس مدينة الموصل	٧٦،٨	٧
صعوبة المناهج الدراسية الحالية	٧٥،٢	٨
عدم صلاحية بناية المدرسة	٧٤،٢	٩
كثرة تنقلات الطلبة بين المدارس	٧٣،٨	١٠
تعرض بعض الطلبة او الكادر التدريسي لضغوطات نتيجة المعارك والظروف غير الطبيعية التي عاشوا فيها	٧٣،٢	١١
عدم توفر القدرة المالية للطلبة على توفير مستلزمات الدراسة	٧١،٥	١٢
تأخر في اعمار وترميم المدارس بسبب قلة السيولة المالية	٧٠،٨	١٣
التعقيد والصعوبات والروتين المتبع في مديرية التربية	٦٧،٤	١٤
التجاوز على الكادر التعليمي من قبل بعض الطلبة أو أولياء الأمور	٦٤،٢	١٥
إتباع نظام الدوام المزدوج (صباحي ومسائي)	٦٢،١	١٦
عجز ميزانية المدرسة عن توفير احتياجات المدرسة	٦١،٩	١٧
عدم اهتمام الكادر التدريسي برفع المستوى العلمي للطلبة	٥٩،٥	١٨
استخدام اجهزة الهواتف النقالة في المدرسة من قبل بعض الطلبة	٥٦،٧	١٩
وجود تحيز طائفي او مذهبي بين الطلبة	٥٦	٢٠
التسرب الدراسي لبعض الطلبة	٥٥،٧	٢١
عدم وجود باحث اجتماعي أو نفسي في بعض المدارس	٥٥،٢	٢٢

ضعف دور نقابة المعلمين في الدفاع عن حقوق الكادر التعليمي	٥٢،٩	٢٣
ضعف كفاءة الإدارة المدرسية	٥١،٢	٢٤
عدم كفاءة بعض المدرسين في المدرسة	٥٠،١	٢٥
عدم مواكبة العالم بتطورات العملية التعليمية	٤٣،٩	٢٦
كثرة التدخلات والوساطة في شؤون المدرسة	٤٠،٣	٢٧
وجود فوارق اقتصادية بين الطلبة	٣٩،٣	٢٨

استنتاجات البحث

١-توجد تحديات إدارية، تعليمية، اجتماعية، اقتصادية واجهت العملية التعليمية في مدارس مدينة الموصل عام ٢٠١٧.

٢-كان لتلك التحديات تأثيرا سلبيا على تنمية العملية التعليمية خاصة والتنمية الاجتماعية عامة،

٣-اقوى تحدٍ إداري واجهته العملية التعليمية هو قرارات وزارية متخبطة ومتأخرة.

٤-اقوى تحدٍ تعليمي واجهته العملية التعليمية هو طول المنهج الدراسي مقارنة بالوقت المتاح.

٥-اقوى تحدٍ اجتماعي واجه العملية التعليمية هو تعرض بعض الطلبة او الكادر التدريسي لضغوطات نتيجة المعارك والظروف غير الطبيعية التي عاشوا فيها.

٦-اقوى تحدٍ اقتصادي واجه العملية التعليمية هو عدم استلام الكادر التعليمي لرواتبهم رغم استمرارهم بالعمل.

٧-إجمالا اقوى تحدٍ والذي حصل على أعلى وزن رياضي هو قرارات وزارية متخبطة ومتأخرة.

٨-كان الدور الذي قامت به وزارة التربية في تسيير العملية التعليمية لمدارس مدينة الموصل عام٢٠١٧ ممتلئ بالعديد من الإخفاقات والذي أثر سلبيا على سير العملية التعليمية كالقرارات المتأخرة وعدم متابعة الرواتب وتسليمها وتأخر صرفها وما الى ذلك.

٩-معظم تلك التحديات كانت وليدة الظروف الخاصة التي مرت بها المدينة والتي لم يظهر لها مثيل في مدارس المحافظات الأخرى المستقرة امنيا.

المقترحات والتوصيات

١-بما أن التحديات التي واجهت مدارس مدينة الموصل تحديات خاصة، لذا يجب تفعيل وزيادة دور وحدة البحوث والدراسات ووحدة التخطيط والمتابعة في مديرية تربية نينوى من اجل عمل الدراسات وإيجاد الحلول لمواجهة تلك التحديات.

٢-على وزارة التربية الإسراع في حل المشكلات التي تواجه العملية التعليمية وحسم جميع المعضلات قبل بدأ العام الدراسي لان حسم المشكلة أثناء العام الدراسي يربك العملية التعليمية.

٣-على إدارات المدارس وكادرها التعليمي تكثيف الجهود من أجل العمل على رفع المستوى التعليمي للطلبة بعد انهيار المستويات التعليمية نتيجة للسياسات المتبعة عام ٢٠١٧ وذلك بالعمل

على تكثيف الدورات العلمية ودروس التقوية صيفا على أن تقدم مجانا لكي يستطيع الطلبة كافة من رفع مستوياتهم

الهوامش

• د. حارث حازم أيوب/ أستاذ/ قسم الاجتماع/كلية الآداب/ جامعة الموصل
د. شفيق إبراهيم صالح الجبوري/ أستاذ/ قسم الاجتماع / كلية الآداب/ جامعة الموصل
د. جمعة جاسم خلف السبعاوي/ أستاذ مساعد/ قسم الإعلام/ كلية الآداب/ جامعة الموصل
د. حسن جاسم راشد/ أستاذ مساعد/ قسم الاجتماع/ كلية الآداب / جامعة الموصل
أميرة وحيد خطاب/ أستاذ مساعد/ قسم الاجتماع/ كلية الآداب/ جامعة الموصل

(١) هدى توفيق محمد سليمان.، التحديات الاجتماعية في الوطن العربي في الألفية (العقد الجديد)، ورقة عمل مقدمة الى مؤتمر الحماية الاجتماعية والتنمية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، السعودية ، ٢-٤ صفر ١٤٣٦هجري، ص٣.

(٢) انيس فتحي، الإمارات إلى أين. استشراف التحديات والمخاطر على مدى ٢٥ عاما، مركز الإمارات للدراسات والإعلام ، ابو ظبي، ٢٠٠٥، ص١٥.

(٣) محمد كتش، العالم العربي على صفيح ساخن. دراسة المنظور التربوي لإشكالية الأصالة والمعاصرة، مركز الكتاب، مصر ١٤٢٢هجري، ص ٤٠.

(٤) محمد هادي، مفهوم العملية التعليمية –التعليمية وشروط نجاحها، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٤، ص١.

(٥) كريم محمد حمزة، النظام التعليمي في العراق، الواقع ومتطلبات التغيير، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠١١، ص٦.

(٦) عادل نمر عطية السبعاوي، واقع المدارس الأهلية وأبعادها الاجتماعية والتربوية- دراسة ميدانية مقارنة في مدينة الموصل، رسالة ماجستير غير منشورة في علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠١٤، ص٩

(٧) علي اسعد وطفة و علي جاسم الشهاب، علم الاجتماع المدرسي، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٤، ص١٦.

(٨) تقرير مؤشرات رصد الأهداف الإنمائي للألفية، الجهاز المركزي للإحصاء وتكنلوجيا المعلومات، مديرية إحصاءات التنمية البشرية، بغداد ، ٢٠٠٥، ص١.

(٩) حسن بن ابراهيم المهندي، دراسات سكانية، اللجنة الدائمة للسكان، قطر، ٢٠٠٨، ص٢١.

(١٠) جاسم الشامي، قضايا النظام التعليمي وهمومه، مجلة الثقافة الجديدة، عدد ٣١٩، دار الرواد المزدهرة للطباعة، بغداد، ٢٠٠٦، ص٦٧.

(١١) افتخار عبد الرزاق عبد الله و عبد الشهيد جاسم عباس، التعليم كمحور للتنمية البشرية. دراسة تحليلية، مجلة كلية التربية للبنات، عدد خاص بالبحوث المستلة من الرسائل والاطاريح الجامعية، جامعة بغداد، ٢٠١٣، ص٧٣.

(١٢) اشواق عبد الحسين عبد، "دور المتغيرات الثقافية في إعاقة العملية التربوية"، دراسات تربوية، عدد٣٦، وزارة التربية، تشرين الأول ٢٠١٦، ص١.

(١٣) بديع محمود مبارك القاسم و عبد الحسين احمد زويلف، "دور المدرسة في تحقيق الأمن النفسي لدى الطلبة"، مجلة دراسات تربوية، عدد ٢، وزارة التربية، ٢٠٠٨، ص ٦.

(١٤) باسمة علوان حسين و فؤاد توما،"تطور التعليم في العراق"، مجلة دراسات تربوية، عدد٦، وزارة التربية، نيسان ٢٠٠٩، ص١٤٧.

(١٥) المصدر نفسه، ص١٦٤.

(١٦) اسماء عبدالرحيم خضر، " مشكلات الإدارة المدرسية في المدارس المتوسطة من وجهة نظر مديرها"، مجلة التربية و العلم، مجلد ١٢ عدد ٤، جامعة الموصل، ٢٠٠٥، ص٣١١

(١٧) حارث صاحب محسن و بشرى عبدالرحيم، "دور المدرسة في مكافحة الإدمان على تعاطي المخدرات"، مجلة الآداب، عدد ٧٧ ،جامعة بغداد،٢٠٠٦، ص ٣٠٢.

(١٨) فؤاد علي العاجز و فايز كمال شلدان، "دور القيادة المدرسية في تنمية الإبداع لدى معلمي مدارس المرحلة الثانوية بمحافظات قطاع غزة من وجهة نظر المعلمين"، المؤتمر العلمي العربي السادس لرعاية الموهوبين والمتفوقين، الأردن، ٢٦-٢٨ تموز ٢٠٠٩،ص٢.

(١٩) هناء جاسم السبعاوي، "أوضاع التعليم الابتدائي في ظل الظروف الراهنة من وجهة نظر اسر التلاميذ والمعلمين.دراسة ميدانية غي مدينة الموصل"، مجلة دراسات موصلية، عدد ٢٢، مركز دراسات الموصل، ٢٠٠٨ ، ص١٤١.

(٢٠) اسماء عبد الرحيم خضر، مصدر سابق، ص٣١١.

(٢١) فؤاد علي العاجز و فايزكمال شلدان، مصدر سابق، ص٥.

(٢٢) محمد السكران، أساليب تدريس الدراسات الاجتماعية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان،٢٠٠٠، ص٥٨.

(٢٣) حسن علي الحمداني، التعليم في العراق المشاكل والحلول، بحث منشور على الموقع الالكتروني burathanews.com > Arabic > studies ٢٠١٣/١/٢٦.

(٢٤) انوار محمد علي، دور الإدارات المتوسطة من الحد من ظاهرتي الرسوب والتسرب، رسالة ماجستير غير منشورة في علم الاجتماع، جامعة الموصل، ٢٠٠٣، ص٤٢-٤٣.

(٢٥) هناء جاسم السبعاوي، مصدر سابق، ١٤١.

(٢٦) Educational Poliy Colonialism in AFRICA-The Arab Magrichreb model, Historical Kan Periodcal, issue 2, vol 4, 2011, page 35-41 languagea ack&https://www.ivsl.org/ivsl?func= eedb

المكتبة العلمية الافتراضية العراقية.

(٢٧) خالد العتيبي، مفهوم التحديات وكيف يمكن ان ننظر الى التحديات نفسيا وتربويا، https://groups.google.com/d/topic/almadina1434/i5qb7FXsKm

(٢٨) باسمة علوان حسين و فؤاد توما، مصدر سابق، ص١٦٤.

(٢٩) افتخار عبد الرزاق عبدالله و عبد الشهيد جاسم عباس، مصدر سابق،ص٧٨.

(٣٠) التعليم في العراق، ويكيبيديا الموسوعة الحرة،

(٣١) المصدر نفسه.

(٣٢) افتخار عبد الرزاق عبد الله و عبد الشهيد جاسم عباس، مصدر سابق، ص ٧٦.

(٣٣) صبيح جبر الكعبي، " التنمية بين الواقع والطموح"، مجلة الآداب، عدد١٢١، جامعة بغداد، حزيران ٢٠١٧، ص ٥١٨.

(٣٤) هناء جاسم السبعاوي، مصدر سابق،ص ١٥٩.

(٣٥) حسين علي الحمداني، التعليم في العراق المشاكل والحلول، وكالة أنباء براثا، ٢٠١٣ /١/٢٦ studies<Arabic<burathanews.com

(٣٦) الحسين فتحي، المشاكل والتحديات التي تواجه التعليم، ٣ مايو ٢٠١٢ www.google.iqlsearch?qnoreed.hor-studios.net7_502_izon

• مراجعة الجدول رقم (١)

•• مراجعة الاعداد في الجدول رقم (١)

(٣٧) هشام هادي البيتي وآخرون، أبنية التعليم الأساسي بالمدن اليمنية. المشكلات واتجاهات الحلول. مدينة المكلا كدراسة حالة أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة أسيوط، ٢٠١٣، ص٢٦٥.

(٣٨) الموقع الالكتروني shafaaq.com

••• أسماء المنظمات أخذت من قسم التخطيط والمتابعة في مديرية تربية نينوى

(٣٩) خليل عبد الله حسين الجوراني، تأثير الصدمات في حياة الأفراد. دراسة نوعية على عينة من المدنين المتعرضين للصدمات في العراق٣ أنموذجا، مجلة الآداب (ملحق)، عدد ٢، حزيران، بغداد، ٢٠١٧، ص ٨٦١.

(٤٠) وزارة التخطيط، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، خارطة الحرمان ومستويات المعيشة في العراق، ٢٠١٠، ص٣.

طبيعة العلاقة بين الحكومة المركزية والحكومة المحلية
وأثرها على التعايش السلمي (الموصل) أنموذجاً

م. م. عفراء رياض محمد *

تاريخ استلام البحث ٢٠١٨/٤/١٨
تاريخ قبول النشر ٢٠١٨/٥/٢٧

ملخص البحث :

إن رياح التغيير التي هبت على العراق بعد ٢٠٠٣ حملت معها العديد من الأمور التي لم يكن يألفها المجتمع الفسيفسائي لهذا البلد فظهرت لدينا اللامركزية ، وهي طريقة توزيع الاختصاصات بين حكومة المركز والحكومات المحلية الموجودة في محافظات العراق ،وعند ظهور هذه المفاهيم الجديدة بدأ الاعتقاد يسود بأنها ستجنب العراق الكثير من المشكلات التي يتصور أنها موجودة بفعل المركزية الشديدة في إدارة الدولة.

فكان لا بد من البحث في مدى مواءمة العلاقة بين حكومة المركز والحكومة المحلية وتأثير هذا الارتباط على التعايش السلمي الموجود في العراق عامة وفي الموصل بخاصة بعد الأحداث التي عاشتها المحافظة.

The nature of relationship between the central government and the local government and its their effect upon peaceful coexistence. (mosul is a model)

Asst. Lect. Afraa Riyad Mohammed.
COLLEGE OF POLITICEL SCIENCES

Summary

The changes which hael happened it a lot of things which not accepted by community mosaic,so it appeared decentrization ,the plane for terms of reference between the central and local government .in all Iraqi govermentes and when these new models were appeared , most of people believed that they were saved Iraq from problems which were existed by the central government by which wanted to administrate the state .

Therefore we must research adjustment relationship between the central government and local government and its effect of the thinks upon

* مدرس مساعد، كلية العلوم السياسية، جامعة الموصل.

the peaceful, coexistence in Iraq in general and mosul especially after the events which had happened in mosul .

المقدمة

تميزت الكيانات الاجتماعية في القرى والارياف بسيادة شيخ القبيلة ومجلسه. وقد كانت هذه الكيانات المحلية تمثل صورة مصغرة للحكومة والنواة الأساسية للمجالس البلدية أو القروية بلغة العصر الحديث ثم تطورت الحكومات الصغيرة إلى قيام الدولة المدنية بمراحلها المختلفة.

فعندما تختار الدولة أسلوبها في السياسة تأخذ في بداية الأمر نظام المركزية إلى أن تفرض سيطرتها، ومع تزايد واجباتها وتنوع خدماتها تتحول إلى اللامركزية الإدارية، حيث أجمع الفقه الإداري على إن قيام النظم على أساس الأسلوب المركزية وحده أمر لم يعدُّ يتلائم مع اتساع مجالات نشاط الإدارة في الدولة المعاصرة، لذا ينبغي أن تعهد إدارة المرافق المحلية لمناطق محددة إلى هيئات محلية منتخبة تشاركها العبء والسمة المميزة لهذه الهيئات هو استقلالها النسبي وتمتعها بالشخصية المعنوية.

وبعدأحتلال العراق عام ٢٠٠٣ تغير المشهد العراقي وظهرت أمور جديدة على الساحة لم تكن مألوفة لدى المجتمع في هذا البلد الذي كان يعتمد نظام الحزب الواحد. فتم اتفاق السياسيين على قبول مقررات المعارضة ووجدت الفدرالية؛ اللامركزية التي أصبحت الخيار الوحيد لإدارة العراق وان عودة النظام المركزي بات شبه مستحيل، إلا أن إقرار طبيعة توزيع الصلاحيات بين المركز والمحافظات وفق دستور سنة ٢٠٠٥ لم يجنب العراق المشكلات التي كان يتصور أنها كانت موجودة بفعل ممارسة المركزية الشديدة في إدارة الدولة. وظهرت سلبيات الأداء الحكومي والسياسات غير المحسوبة والسلبية التي تتبعها القوى السياسية عن قصد أو دونه في إدارة الدولة.

وهذا يعني أن التعايش السلمي لا يصان بالمركزية القسرية ولا باللامركزية القائمة على أساس قومي أو عنصري، بل يصان بالديمقراطية الحقيقة (ديمقراطية المشاركة) وإن منطلق الديمقراطية هذا يتمثل بالمواطنة أولاً وأخيراً.

وعليه فإننا نحتاج هنا إلى أفكار تفضي إلى رسم خارطة طريق للانتقال بالموصل إلى المستقبل، بمعنى الانتقال من واقع مجتمع سياسي (متنوع غير متجانس) إلى واقع مجتمع سياسي (متنوع متجانس) وان فتح مغاليق مستقبل الموصل يحتاج إلى مفتاح مناسب،وهذا المفتاح يتمثل أساسا بالتعايش السلمي الذي يعدُّ بمثابة معطيات مهمة من معطيات المرحلة الحالية.

إشكالية البحث:

مرت العلاقة بين الحكومة المركزية والحكومة المحلية بحالة من مد وجزر إلى درجة أنها ذهبت باتجاه طرفي نقيض للفترة من ٢٠١٠-٢٠١٤.

وتأتي الإشكالية هنا بطبيعة النظام القائم في محافظة نينوى وارتباطها بحكومة المركز، وبالتالي علينا البحث في مدى مواءمة العلاقة بين الطرفين وتأثير الارتباط فيما بعد على التعايش السلمي الموجود بين مكونات أبناء المحافظة.

فرضية البحث:

إن الأحداث التي رافقت عملية بناء النظام السياسي العراقي أثرت بشكل كبير في طبيعة هذا النظام وآليات عمله، وكذلك في طبيعة العلاقة بين الحكومة المركزية والمحلية والتي من خلالها يتبين إن هناك العديد من المشكلات العالقة بين الطرفين.

أهمية البحث:

تنطلق أهمية البحث في مدى تفعيل مبدأ فصل السلطات وطبيعة توزيع الاختصاصات بين المركز والحكومة المحلية؛ والتي تعدُّ جزء من السياسات العامة العراقية الهادفة لتحقيق التعايش السلمي في العراق عامة وفي الموصل بخاصة بعد الاحداث التي عاشتها المحافظة.

منهجية البحث: استخدم منهج التحليل النظمي؛ ذلك لان موضوع البحث يتعلق بالنظام السياسي وطبيعة العلاقة بين المستويات المتعددة

قسم البحث الى محاور:

المحور الأول: يتناول تحديد المفاهيم لكل من

١-الحكم المركزي.

٢-الحكم المحلي.

٣-التعايش السلمي.

المحور الثاني: يتناول طبيعة العلاقة بين الحكومة المركزية والحكومة المحلية.

ويتناول توزيع الاختصاصات بين المركز والمحافظة وإشكالية العلاقة بين الطرفين.

المحور الثالث: يتناول واقع التعايش السلمي في الموصل ومعوقاته واسس نجاحه.

المحور الأول/ الإطار المفاهيمي

١- الحكم المركزي

٢- الحكم المحلي

٣- التعايش السلمي

أولاً: **الحكم المركزي:** والذي يتمثل بـــ: حصر مختلف مظاهر الوظيفة الإدارية في الدولة في أيدي أعضاء الحكومة وتابعيهم في العاصمة أو في الأقاليم مع خضوعهم جميعاً للرقابة الرئاسية والتي يمارسها عليهم الوزير[١]. وتتكون السلطة الإدارية المركزية في العراق من مؤسستين هما: رئيس الجمهورية ومجلس الوزراء.

وعليه فإن الحكم المركزي هو إخضاع جميع الهيئات الإدارية إلى السلطة الرئاسية في العاصمة بل ويتدرج تدرجاً هرمياً من السلطة الرئاسية المركزية إلى أصغر موظف في القرى والنواحي[٢]. وبالتالي تقتصر مهمة الهيئات الدنيا على تنفيذ ما تصدره الرئاسة العليا في الهرم الإداري والتي اصطلح عليها بالأسلوب الوزاري، والذي لا يصلح في الدول المتحضرة حتى لو حققت سرعة البت في تنفيذ الأوامر الإدارية وتجانسها، لذا خولت هذه الهيئات أو الفروع في المحافظات، صلاحية البت في بعض الأمور دون الرجوع إلى المركز وتسمى بـــ(اللاوزارية) شرط أن يتم توزيع الاختصاصات بين السلطة المركزية في العاصمة وفروعها في المحافظات من قبل المشرع نفسه أو عن طريق التفويض؛ وذلك لتخفيف العبء عن كاهل السلطة الرئاسية في العاصمة؛ بل وتمهيداً نحو الأخذ بديمقراطية الإدارة التي تنقل اختصاصات السلطة المركزية إلى مجالس المحافظات[٣].

ثانياً:**الحكم المحلي**: لقد ظهر الحكم المحلي في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين نتيجة للتوسع الكمي لوظائف الدولة الحديثة وواجباتها من ناحية والتوسع الكيفي في حقوق المواطنين من ناحية أخرى، فهو يركز على دور المواطنين في حكم وإدارة شونهم بأنفسهم، سواء بطريقة مباشرة (اجتماعات المواطنين) او غير مباشرة (من خلال مجالس محلية تقوم على أساس تمثيلهم) اذن العبرة في الحكم المحلي تتمثل في دور المواطنين في حكم وإدارة شؤونهم المحلية والتي هم ادرى بها من غيرهم. نجد ان الحكومة الامريكية غالبا ما يطلق عليها الإدارة الامريكية، في حين ان الرئيس الأمريكي يمتلك الى جانب سلطته التنفيذية سلطات تشريعية وقضائية كما ان أي مدير او مجلس إدارة شركة لا ينفذ فقط، بل يتخذ أيضاً قرارات[٤].

وهناك من يرى أن الحكم المحلي أسلوب من أساليب اللامركزية السياسية والحكم المحلي "نظام إداري لا مركزي يقوم على أساس منح الوحدات المحلية الشخصية المعنوية وإيجاد مجالس محلية منتخبة فيها تتولى الإشراف على أداء الخدمات وفق التخطيط والسياسات العامة للحكومة المركزية وتحت رقابتها"[٥].

تعد الإدارة المحلية بهذا المظهر من مظاهر الإدارة الديمقراطية أو الإدارة المشتركة لأنها منبثقة من رحم المناطق والتي تعتمد أساساً على مشاركة المواطنين في إدارة شؤونهم المحلية بأنفسهم فهم يسهمون في إعداد وتنفيذ ومتابعة خطط التنمية المتعلقة بوحداتهم المحلية، وهناك من يعرف الحكم المحلي بأنه "ما هو إلا استقلال نسبي لمنطقة جغرافية محددة في إدارة شؤونها المحلية بواسطة سكانها أو ممثلين تحت إشراف ورقابة الحكومة المركزية"[٦].

ثالثاً: **التعايش السلمي**: لا يستطيع الإنسان العيش مع نفسه دون أن يختلط مع بقية المجتمعات الأخرى ضمن إطار عملية تفاعلية وتكاملية في آن واحد، لذا يجب أن يدخل في خانة هذه العملية التبادلية مع طرف ثانٍ أو مع أطراف أخرى تقوم على التوافق حول مصالح أو رؤى مشتركة للوصول إلى تحقيق مفهوم التعايش سواء أكانت بين أبناء المجتمع أم بين مراكز السلطة(٧).

وكذلك التعايش هو القبول بوجود الاخر والعيش معه جنبا الى جنب دون السعي لالغائه او الاضرار به، سواء كان هذا الاخر فردا او حزبا سياسيا او طائفة دينية او دولة مجاورة او غير ذلك(٨).

ويتطلب التعايش إقامة "علاقة بين اثنين أو أكثر من الجماعات مختلفة الهوية التي تعيش بتقارب ويشمل أكثر من مجرد العيش بجانب بعضهم البعض، كما ويشمل درجة من الاتصال والتفاعل والتعاون يمكن أن يمهد لتحقيق المصالحة على أساس السلام والعدالة والتسامح والإندماج"(٩).

وعبارة التعايش استعملت بكثرة خلال الحرب الباردة للدلالة على أن "الإتحاد السوفيتي سابقاً" و"الولايات المتحدة الأمريكية" على الرغم من فوارق نظاميهما يمكنهما أن يتعايشان دون اللجوء إلى الحرب، وقد تستعمل العبارة أيضاً بمعنى حاجة خصمين إلى التفكير في حل سلمي يرضي الطرفين والعيش بسلام(١٠)، وبالانتقال الى حالة الموصل نجد بان الموصل عبارة عن عراق مصغر تتسم بالتعددية والتنوع المذهبي فهناك (الكرد، التركمان، الاشوريين، المسيحيين، الايزيدية) وطيلة عقود من السنين تعايش الموصليين في ظل هذه التعددية، فضلا عن ان الكثير من هذه المكونات أسهمت في بناء الدولة العراقية منذ عام ١٩٢١(١١).

المحور الثاني: طبيعة العلاقة بين الحكومة المركزية والمحلية

أولاً: توزيع الاختصاصات بين الحكومة المركزية والمحلية بموجب دستور سنة ٢٠٠٥ .

(نحن شعب العراق الناهض تواً من كبوته والمتطلع بثقة إلى مستقبله من خلال نظام جمهوري اتحادي ديمقراطي تعددي).

هذه ديباجة الدستور التي أوضحت الاتجاه السياسي الجديد للعراق وهو الاتجاه نحو الشكل الاتحادي، وهكذا فإن الدستور قد أقر بأن العراق اتحادي فدرالي واعترف بوجود محافظات عراقية.

إن موضوع توزيع الاختصاصات يعدُّ من أهم الموضوعات الخاصة في الدول الاتحادية، لذا فإن دستور العراق لسنة ٢٠٠٥ حاول الاهتمام بهذا الموضوع قدر الإمكان، فلقد وزع الاختصاصات بين السلطات المركزية والمحلية، وفي هذا المجال اتجه الدستور العراقي نحو تخصيص سلطات حصرية للسلطات المركزية وأخرى مشتركة تمارسها بجانب السلطات

المحلية[١٢].

وعلى الرغم من هذه النشأة للنظام الاتحادي في العراق إلا أنه اتبع أسلوباً مغايراً تماماً لمعظم دساتير الدول الاتحادية، فلقد وسع من اختصاصات سلطات الأقاليم على حساب اختصاصات السلطة الاتحادية التي تنص عليها على سبيل الحصر[٤٣].

ابتدع الدستور العراقي لنفسه طريقة عندما منح سلطات واسعة إلى الوحدات المحلية قياساً بالصلاحيات الحصرية الممنوحة للسلطة المركزية، بل ذهب أبعد من ذلك عندما وهب السلطات الإقليمية أي اختصاص آخر يمكن أن يظهر مستقبلاً، وهذا يتضح من نص المادة (١١٥) والتي أناطت جميع الاختصاصات غير الواردة فيما ورد من اختصاصات حصرية للسلطة المركزية، حيث ناطت هذه الاختصاصات إلى السلطة المحلية[١٤].

أما ما يتعلق بثروة النفط والغاز فقد نصت المادة (١١٢) من الدستور العراقي الدائم على "أن تقوم الحكومة المركزية بإدارة النفط والغاز المستخرج من الحقول الحالية مع حكومات الأقاليم والمحافظات المنتجة على أن توزع وارداتها بشكل منصف يتناسب مع التوزيع السكاني في جميع أنحاء البلاد"[١٥].

وقد بين الدستور العراقي على غرار المعمول به من دساتير الدولة التي تأخذ بالنظام الاتحادي، الاختصاصات المشتركة بين المركز والمحافظات غير المنتظمة بإقليم وقد يقول قائل إن السلطة المركزية تستطيع بما تملكه من اختصاص مشترك أن تدلي بدلوها بهذا الموضوع، ولكن السلطة المركزية لا تستطيع رسم سياسات التنمية إلا بما تشتهيه سفن المحافظات، والدليل على ذلك أن الدستور نفسه غلب من حيث يدري أو لا يدري السلطة المحلية على سلطة المركز في أي تعارض[١٦].

وهذا واضح في نص المادة (١١٥) من الدستور والتي جعلت من قانون الأقاليم والمحافظات غير المنتظمة بإقليم المرجع القانوني لحل أي تعارض بين السلطتين المحلية والمركزية، وبطريقة توزيع الاختصاصات بين الحكومة المركزية والمحلية تتبين هنا حجم الفجوة التي ظهرت في العراق عامة وفي الموصل بخاصة، فبدلاً من أن السلطة المركزية التي يفترض بأنها ستكون الضامن لوحدة العراق والقادرة عل ضبط حدوده، ستكون هي عرضة للتهميش وموضوعاً من موضوعات الصراع مع حكومات محلية لديها الثروة و القوة[١٧].

إشكالية العلاقة بين الحكومة المركزية والحكومة المحلية في الموصل (قبل احتلال الموصل ٢٠١٤)

إن السبب الجدلي لاختلال الحكم بالعراق هو أعمق بكثير من أن يتم ربطه بفترة زمنية معينه، فالقضية معقدة تتعلق أساساً بطبيعة الحكم وهذه ليست وليدة اليوم أو الأمس، بل هي ذات منشأ عثماني قبل أن تصبح برنامج بريطاني فيما بعد.

وبعد احتلال الولايات المتحدة الامريكية للعراق في عام ٢٠٠٣ أُدخل المجتمع العراقي برمته في نمط جديد ومتشابك قد لا يكون مألوفا في التاريخ الاجتماعي والسياسي الحديث للعراق، من حيث شدة تناقضاته وموضوعاته الصراعية، هذا التناقض وصل في أحشاء المجتمع العراقي وأصبح مصدرا لعدم الاستقرار السياسي، ثم عامل تفجير لا يتعين إهماله وهو عامل الضغوط الخارجية، وهذا نتج عنه تخلخل بنيوي في أسس التعايش السلمي سواء بين الطوائف والمذاهب أو حتى في علاقة الحكومة المركزية والسلطات المحلية المتمثلة بأشخاصها(١٨).

وهكذا فإن ظروف الاحتلال والتدخل الخارجي والشلل المؤسساتي التام في مؤسسات المجتمع الرسمية وغير الرسمية الناجم عن مصادرة التسهيلات المتاحة للمواطن العراقي خلق معوقات جديدة أضعفت قدرته بالتأثير على صعيد المحيطين الداخلي والخارجي. وأثارت وبدرجات متفاوتة العوامل الكاملة في البنية الاجتماعية العراقية لحساب الهويات النوعية وبذلك أوجدت عجزاً بنيوياً وتوالد متواصل للمشكلات وافتقار للإرادة الاجتماعية ولأدوات تمكينه من التعامل مع هذه المشكلات(١٩).

هذا كان الوضع بشكل عام، أما فيما يخص الموصل بالتحديد، فلقد كانت العلاقة بين الحكومة المحلية والحكومة المركزية بحالة من مد وجزر إلى درجة أن ذهبت باتجاه طرفي نقيض في مراحل زمنية معينة لا سيما في فترة حكم رئيس الوزراء السابق (نوري المالكي) والمحافظ السابق (أثيل النجيفي) وصفت العلاقة في تلك الفترة بالتفاهم النسبي لا سيما في السنة الأولى مع سوء العلاقة مع إقليم كردستان حتى تحولت إلى علاقة خصام وعداوة(٢٠).

فمع تدهور العلاقة بين الطرفين زاد العنف في محافظة نينوى. فلقد اتخذ العنف أشكالاً وصوراً مختلفة، منها (استخدام السيارات المفخخة، تعرض الكثير من العلماء والأكاديميين والأطباء للخطف والقتل، والاغتيالات المنظمة، والتهديد للمكون المسيحي، والطائفة الإيزيدية)(٢١).

وإن أبشع أشكال العنف في الموصل هي تصفية الكوادر والكفاءات الموصلية، فقد تم قتل العديد من أساتذة الجامعة، فضلاً عن عملية تصفية الكوادر الطبية الكفوءة من خلال قتلها أو تهديدها مما اضطرها إلى مغادرة البلاد، حتى وصل الأمر إلى غياب الكوادر الطبية الماهرة، كما طال العنف العديد من الأئمة ورجال الدين سنة وشيعة(٢٢).

إن سوء العلاقة بين المحافظ ورئيس الوزراء ظل هو المصدر لحدوث الصراعات بين الجماعات، ومن دون الذهاب إلى المشترك الأعلى من ذلك لن يكون هناك خفوت لحالة الصراع أو ذوبانها وتلعب الدولة كمؤسسة سياسية الدور الرئيس من خلال أجهزتها والسياسات المعتمدة وفلسفتها السياسية في إضفاء روح التعايش السلمي والاندماج الوطني(٢٣).

هناك أخطاء عدة ارتكبتها الحكومة المركزية بحق الموصل حاولت حكومة المركز

فرض رؤيتها عليها بنحو تعسفي من خلال عدم التشاور مع المحافظ أو مع مجلس المحافظة في قرارات رئيسية مثل تعيين القادة العسكريين وكشف المحافظ (أثيل النجيفي) في لقاء له حول أسباب وصول الأوضاع إلى هذا الحد، قال: "إنها السياسة الخاطئة لعشر سنوات من الضغط على السنة وتهميشهم وأضاف أن القرار السياسي في العراق أصبح يصدر من جهة واحدة فقط من شخص واحد وهو (المالكي)[٢٤].

فكانت عملية تعيين القادة العسكريين تتم بموافقة (المالكي) دون الرجوع إلى المحافظة كذلك سلوك القوى الأمنية والعسكرية، كان منفراً للعديد من أبناء محافظة نينوى.وقد وصل الأمر إلى حد ابتزاز المواطن الموصلي البسيط ووصلت عمليات الابتزاز التي كانت تمارسها القوات العراقية باعتقال المواطنين وإطلاق سراحهم مقابل مبالغ مادية[٢٥].

وكشف محافظ نينوى السابق عن عمليتين شهدتهما نينوى في زمن (المالكي) أربكت الوضع بين الحكومة المحلية والمركزية، العملية الأولى: عندما أرسل المالكي قوة من بغداد اعتقل فيها أكثر من (٤٠٠) شخص خلال يوم واحد بسبب بلاغات المخبر السري وتم نقل المعتقلين إلى سجن مطار المثنى وبقيت هذه القضية تتفاعل مع المجتمع الموصلي لأكثر من سنتين وقد أشارت إليها تقارير منظمة العفو الدولية، والعملية الثانية: عملية حرق محافظة نينوى في ٢٥ شباط ٢٠١١ حيث قام قائد العمليات بإدخال المتظاهرين إلى داخل مبنى المحافظة بنفسه بعد كسر باب المحافظة الداخلي بيده وتركهم داخل المحافظة وانسحب[٢٦].

من جهة أخرى وصل المحافظ السابق إلى قناعة مفادها أن التقاطع مع المركز سيحقق مصالح المحافظة وهذا خطأ كبير لأن المركز يعني من بين ما يعنيه القرار الأمني، الثروة والنفوذ، ولذلك كان ينبغي أن يكون دور المحافظ إدارياً أكثر منه سياسياً.

وهكذا يتبين أن العلاقة بين (المالكي والنجيفي) شهدت توترات حادة وكانا على خصام طيلة فترة الحكومة السابقة بسبب عدم الثقة الموجودة بين الطرفين، ومما ولد عدم الثقة هذه والتنافر بين الطرفين خسارة الموصل بالكامل للتنظيم الإرهابي في ١٠/ ٦/ ٢٠١٤.

المحور الثالث: واقع التعايش السلمي في الموصل ومعوقاته

أولاً: واقع التعايش السلمي في الموصل:

إن مفردة التعايش لا تخص مجتمعاً دون مجتمع آخر بل هي لكل المجتمعات، والإنسان بطبيعته يكون متعايشاً مع الآخرين، وبالانتقال إلى واقع الموصل نجد بأن هذه المحافظة تتسم بالتعددية والتنوع القومي والديني والمذهبي، فعلى المستوى القومي يتوزع الموصليون من العرب والأكراد والتركمان والآشوريين وعلى المستوى الديني بين المسلمين والمسيحيين وبعض الأقليات الدينية مثل (الصابئه والإيزيدية) وطيلة عقود من السنين تعايشت الموصل في ظل هذه

التعددية فضلاً عن أن الكثير من هذه المكونات أسهمت في بناء الدولة العراقية منذ عام ١٩٢١[٢٧].

وهذا التعدد والتنوع في المجتمع الموصلي الذي صاحبه تعايشاً وتسامحاً كبيرين ولحقب طويلة من الزمن، فلم تكن العلاقة بين مكوناته علاقة توتر أو احتراب أو انغلاق، فواقع الحال يؤكد أن المجتمع الموصلي بمكوناته كان متعايشاً سلمياً، وعلى مدى الأزمنة والعصور باستثناء ما حصل في بعض المراحل من عمليات اقتتال، كانت بفعل أطراف خارجية، أو بفعل القابضين على السلطة ودورهم في ذلك[٢٨].

ولو لم يكن التعايش موجودا لما أمكن لليهود أن يحيوا في كنف الموصل وأنهم كانوا يعيشون بحرية تفوق الحرية التي كانت لهم في أوربا وبشهادة (الحاخامات)، ويقول (حنا بطاطو) "لم يلق اليهود أي معاملة سيئة في العهد الملكي باستثناء مرة واحدة عام ١٩٤١ عندما انهارت السلطة أبان حركة (رشيد عالي الكيلاني) حين هاجمهم بعض العشائر المهاجرة من المناطق الخارجية، إلا أن جيرانهم المسلمون هبوا إلى مساعدتهم ومنحوا الملجأ لأطفالهم ونسائهم"[٢٩].

كما إن مساحة التعايش واضحة بين المسلمين والمسيحيين وإن هذا التعايش يمتد منذ القدم، ففي عام ١٧٤٣ قام الحاج حسين الجليلي وهو من أسرة معروفة في الموصل بحماية المسيحيين عندما لجئوا إلى الموصل هرباً من حملة (نادر شاه) العسكرية وزودوهم بالسلاح والمؤن والسكن، فضلاً عن ترميم ثمانية كنائس عائدة لهم على النفقة الخاصة لتلك الأسرة[٣٠].

وعلى الصعيد المذهبي هناك تعايش بين (السنة والشيعة) حيث إن حالات المصاهرة التي قامت بين المذهبين، ما هي إلا دليل على سعة التداخل والتسامح والتعايش وتقبل الآخر.

وحتى بعد سقوط النظام في (٢٠٠٣) فلم تتسبب حالة الفوضى والقتل والانفلات الأمني بفعل غياب القانون. بانهيار حالة التعايش بين أبناء المجتمع الموصلي، على الرغم من أن معظم محافظات العراق شهدت بعد ٢٠٠٦ اقتتالا طائفيا ، فأصبحت عمليات القتل تجري على الهوية والاسم، مما دفع بالكثير من العوائل العراقية للهجرة إلى مناطق أخرى داخل البلد أو خارجه[٣١].

في ١٠/ ٦/ ٢٠١٤ وبعد سقوط الموصل بيد التنظيم الإرهابي شهدت حالات نزوح جماعية وصل العدد الى ما يقارب (٥٠٠ ألف) نازح إلى مناطق شمال العراق، وبغداد، وجنوب العراق، وكانت كل المكونات في الموصل تتعرض للخطر نفسه فلم يكن الأمر مقتصراً على طائفة معينة أو مذهب معين[٣٢].

وبذلك نستطيع القول أن التعايش كان قائماً بين مكونات المجتمع الموصلي منذ القدم مما يؤكد ذلك على التجانس وعدم التنافر، ولكن الإشكالية تتعلق بالتعايش السياسي، أي التعايش ما

بين النخبة السياسية والجماهير أكثر مما تتعلق بين أبناء المجتمع أنفسهم، وهذا يتوقف على الأشخاص الذين يتولون إدارة السلطة.

ثانياً: معوقات وتحديات التعايش السلمي في الموصل

في بداية الأمر لا يمكن للتعايش السلمي أن يكتب له النجاح ما لم تُعالج الجذور الحقيقية للمشكلات القائمة في الموصل، ورفع المظلومية عن المضطهدين وتعيد حقوقهم المغتصبة وتبني المشروع الوطني بعيداً عن الطائفية السياسية من خلال اتخاذ الخطوات العلمية في ترجمة هذه المبادئ في الواقع الاجتماعي، ولعل من أهم معوقات التعايش السلمي في الموصل هي:

١. الاستئثار بالسلطة وهو من أعقد المشكلات التي جعلت الأمور تتجه نحو التعقيد، وتتم حالة الاستحواذ على السلطة وحرمان الأطراف الأخرى من حقها في الشراكة في حكم المدينة عن عقلية الاستبداد الذي مارسته الجهات التي سنحت لها الفرصة في حكم المدنية، وعليه فإن ضمان تحقيق التعايش السلمي بتحقيق المشاركة للجميع(٣٣).
٢. الجهات الإعلامية المغرضة التي تنفث سمها بحجج واهية والتي تدعي محاربتها لظواهر مرضية اجتماعية مثل الإرهاب والفساد المالي والإداري وتركيزها على نقاط الخلاف، وتحاول زرع الفتنة والفرقة الطائفية والعرقية بين أبناء البلد وتدس السم في العسل بحجة الخوف على مصالح بعض الفئات والمكونات وتحريضها على انتهاج سلوكيات بعيدة كل البعد عن مبدأ التعايش السلمي والحفاظ على الأمن الوطني(٣٤).
٣. انعدام التماثل ما بين الدولة والمجتمع أدى إلى انعدام الاندماج بينهم، والسببي يعود إلى التنشئة السياسية المخطوءة التي مارستها السلطة السياسية والتي بنيت على أسس طائفية ودينية وعرقية، وإن هذه الأطراف المكونة للعملية السياسية ساهمت بترسيخ تلك الانقسامات لتحقيق مصالحها، وذلك من خلال علاقة الطائفية السياسية بالسلطة والثروة والنفوذ.
٤. الآثار السلبية للماضي وتنامي روح الانتقام، فالماضي وما يتركه من تداعيات والرجوع إليه بين الفينة والأخرى، يشكل عقبة أمام التعايش السلمي، فالجماعات المشاركة في العمليات العدائية كافة لها آلامها الناتجة عن ضراوة تلك العمليات. وبالتالي تشكل تراثاً يزرع في عقول الأجيال القادمة عبر ذكرها مراراً وتكراراً وفي الموصل بخاصة نحتاج إلى استيعاب المقاومين الحقيقيين للتنظيم الإرهابي ضمن منظومة نظامية تساهم في فرض الأمن وبذلك نمنع بحكمة استمرار دوامة الانتقام والانتقام المقابل بين المتصارعين.
٥. للمؤسسات السياسية دور في تعزيز التعايش السلمي من خلال المحور الوظيفي لكونها الجهة الموجهة للتعايش السلمي بين جميع المكونات، وهذا التوجه لا يكون فعالاً ما لم تتوافر النية السليمة الواضحة من قبل تلك المؤسسات(٣٥).

ويجب أن تتوافر النية الحقيقية والجهود الكبيرة التي لا بد أن تبذل كخطوة أولية من قبل المؤسسات وتكون مصحوبة بدعم من قبل المؤسسات السياسية في مجال بناء السلام في مرحلة ما بعد الصراع للنهوض بتلك المهمة(٣٦).

وفي ظل غياب الجهة السياسية المشجعة للتعايش في الموصل يصبح الحديث عن خطوات أولية للتعايش السلمي أمراً صعباً.

وفي الوقت الذي نطمح فيه إلى تجاوز العقبات التي تقف في طريق التعايش السلمي من أجل ترسيخه في المجتمع الموصلي فلا يكفي أن يكون هناك تعايشاً سلمياً فقط، بل ينبغي أن يكون هناك علاقة ثقة متبادلة بين الحكومة المركزية والحكومة المحلية وإيجاد أواصر للتفاعل والتماسك بينهما.

ثالثاً: أسس نجاح التعايش السلمي في الموصل

١. يجب أن يكون هناك إشاعة لثقافة الحوار (التسامح). إن الحوار أسلم الطرق للحصول إلى أقرب نقاط الحق، إذ أنه يكشف نقاط الاختلاف والتوافق ويوفر أرضية التسامح لبناء جسور حول مختلف القضايا المتفق عليها، ويشذب المغالطات الفكرية التي تحيط بالأطراف المتنازعة(٣٧).

٢. وإن الاتفاق على إحلال الحوار بدلاً من الصراع يعدُّ محفزاً لاستمرارية التعايش السلمي وكل ذلك لن يأتي إلا بوجود بيئة ديمقراطية كمسرح للتعايش السلمي وذلك لضمان التفاعل الطبيعي بين المكونات المختلفة.

٣. التركيز على مسألة الحوار المتمدن في حل كل المشكلات التي تحدث في الساحة السياسية والاجتماعية وعدم تصديرها لأبناء الشعب، والجميع يكون تحت طائلة الدستور والقوانين الوطنية وتطبيقها في كل المؤسسات والدوائر الحكومية وغير الحكومية ومع الحفاظ على هيبة السلطات الثلاثة واحترامها(٣٨).

٤. يجب أن يكون هناك مفهوم الدولة القانونية، وأهم عناصرها الدستور والفصل بين السلطات وخضوع الحكام للقانون، وانفصال الدولة عن شخص حاكمها، وإقرار الحقوق الفردية للمواطنين وتنظيم الرقابة التشريعية والقضائية على الهيئات الحاكمة(٣٩).

٥. أن تُبنى أجهزة الدولة على أساس معيار الكفاءات بعيداً عن المحاصصة الطائفية.

٦. أن تكون هناك بيئة سياسية ملائمة للتعايش السلمي، ومن المتعارف عليه بأن أغلب المجتمعات التي فرقتها الصراعات والحروب تكون سائرة بعد ذلك إلى طريق ترسيخ الديمقراطية واحترام التعددية وتسعى إلى إيجاد بيئة سياسية ملائمة تعمل على احتضان كافة الأفكار البناءة والمشاريع الممهدة لبناء الوطن وفق أسلوب ناجح لمنع تكرار النزاع مجدداً(٤٠).

وبخصوص الشأن الموصلي يجب أن يكون هناك تعاون سياسي للخروج بمشروع وطني يعدُّ هو الركيزة الأساسية لبناء المجتمع.

وامتداداً لذلك نستطيع أن نقول ن تحقيق مفردات التعايش السلمي في مجتمع ذات تركيبة متعددة مثل (الموصل) يتوقف إلى حد كبير على الأشخاص الذين يتولون إدارة شؤونه.

الخاتمة:

يعدُّ الاستئثار بالسلطة من أعقد المشكلات التي جعلت الأمور تتجه نحو التعقيد وتنم حالة الاستحواذ على السلطة وحرمان الأطراف الأخرى من حقها في الشراكة في حكم المدينة عن عقلية الاستبداد، الذي مارسته وتمارسه الجهات التي سنحت لها الفرصة في حكم المدينة، ولهذا كانت الجماعات المحرومة من ممارسة السلطة تشعر بالاغتراب النفسي؛ وعليه فان ضمان تحقيق التعايش فيها يتمثل بمشاركة الجميع في إدارتها.

وهناك عدة استنتاجات توصل إليها البحث هي:

١- تعزيز مبدأ المواطنة وتفعيله من خلال الاتفاق فيما بين الكتل المشاركة في العملية السياسية وقيامها بدور المشجع على التقارب والتسامح والاختلاط؛ لإعادة الثقة للمواطن بأنه جزء فاعل ضمن الحركة العامة للمجتمع.

٢- على الحكومة أن تنتهج مسارات تؤدي إلى الاقتناع بمبدأ التعايش السلمي وتتعاون الحكومة المركزية والحكومة المحلية، قدر الإمكان بتجفيف منابع الإرهاب والتعامل الجاد في طريق المساواة والعدالة وإشاعة ثقافة التسامح والتعايش السلمي وقبول الآخر.

٣- كذلك يجب أن تسعى الحكومة المركزية للتخلص من منهج الديمقراطية التوافقية وتطبيق نظام ديمقراطي أنسب لحل كل المعضلات التي يمر بها البلد، وتنظيم العملية السياسية وفق نظام التكنوقراط وفصل السلطات ومنح هيبة مناسبة واستقلالية حقيقة للقضاء، والتركيز على حيادتيه في تنفيذ القوانين وجعل القوات الأمنية بكل تشكيلاتها، بودقة لانصهار أبناء الوطن دون تمايز أو محسوبية والابتعاد عن تجييرها لمكون واحد وزرع ثقافة حب الوطن والدفاع عنه في نفوس منتسبي الأجهزة الأمنية.

٤- ضرورة جعل السلاح بيد الدولة والقوات الأمنية ومحاولة النهوض بالمجتمع نحو المدنية المتحضرة، والابتعاد عن كل مظاهر التسلح والتخندق لمواجهة الآخرين وجعل القانون هو الفيصل بين الجميع.

٥- لابد من وجود جهة سياسية تسعى إلى توجيه عملية التعايش السلمي داخل المجتمع (الموصلي)؛ ومن المفترض أن تكون مسؤولية الحكومة المركزية من أجل وضع خطط ملائمة والاتصال بذوي الخبرة في مجال السلام.

٦- ومن أجل ترسيخ مبدأ التعايش السلمي في الموصل لابد من إلقاء الماضي الأليم وراء ظهورنا، وعدم العودة آليه مجددا وبهذا فقط يمكن أن ينهض المجتمع الموصلي وتترسخ فيه مبادئ التعايش والمواطنة الحقيقة.

الهوامش

(١) د. علاء الحسيني، التنظيم الإداري المركزي في العراق، بحث منشور على الإنترنت PDF ص٢.

(٢) كاظم حسن الربيعي، المحافظات غير المنتظمة بإقليم بين المركزية واللامركزية، بحث منشور قسم القانون كلية مدينة العلم الجامعة مجلة مدينة العلم الجامعة.المجلد ٧ العدد ٢ ،العراق، ٢٠٠٨ ص١٠.

(٣) رعد ناجي نعمة، النظرة العامة في القانون الدستوري بغداد، ٢٠٠٣، ص٨٦.

(٤) سمير محمد عبد الوهاب، الحكم المحلي في ضوء التطورات المعاصرة، جامعة القاهرة،٢٠٠٩، ص١٧.

(٥) محمد زامل سعيد، تاريخ الحكومات المحلية في العراق الحديث، بحث منشور، صحيفة التآخي على شبكة الإنترنت www.viewart.php

(٦) عبد الرزاق الشيخلي، اتجاهات مقارنة في تنظيم الإدارة المحلية، مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية، جامعة بغداد، المجلد ١٤ العدد ٥١ سنة ٢٠٠٨، ص٥٢.

(٧) حسقيل قوجمان، التعايش السلمي بين الشعوب، الحوار المتمدن ١٥/ ٧/ ٢٠٠٦

(٨) د. افتخار زكي عليوي، التنوع الأثني والتعايش السلمي في العراق، جامعة بغداد، كلية الآداب،بلا، ص٥١٢.

(٩) مجلة المواطنة والتعايش، العدد ١، السنة الأولى، مركز وطن للدراسات،العراق ٢٠٠٧ ص٨٢.

(١٠) مشكلة الحرب والسلام، مجموعة أساتذة معهد الفلسفة وأكاديمية العلوم بالإتحاد السوفيتي، ترجمة شوقي جلال، دار الثقافة الجديدة، مصر، ب ت، ص٢١٠.

(١١) وليد المشرفاوي، التعايش السلمي أساس الديمقراطية، شبكة النبأ المعلوماتية www.annabaa,org

(١٢) د. أحمد الوافي، رؤية حول الفدرالية في العراق، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٨، ص٢٧.

(١٣) طه حميد العنبكي، العراق بين اللامركزية الإدارية، طبعة واحد، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، ٢٠١٠، ص٥٨.

(١٤) ينظر: دستور العراق ٢٠٠٥، نص المادة (١١٥)،المنشور في جريدة الوقائع العراقية ،العدد ٤٠١٢(٣٠كانون الأول ٢٠٠٥)ص ١٥.

(١٥) ينظر نص المادة (١١٢)،المصدر السابق،ص ١٥.

(١٦) مهند ضياء عبد القادر، نظرة دستورية على سلطات الأقاليم والمحافظات غير المنتظمة بإقليم مجلة قضايا سياسية، العددان(٢١،٢٢) علوم سياسية، جامعة النهرين، ٢٠١٠، ص٢٣١.

(١٧) فاضل الربيعي، العراق من الدولة المركزية إلى دويلات المدن، ب ت، ٢٠١١، ص٥٧.

(١٨) ناظم نواف، ظاهرة عدم الاستقرار السياسي في العراق، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٨، السنة السادسة، بغداد، ربيع ٢٠١١، ص١٠٧،

(١٩) عدنان ياسين مصطفى، الأمن الإنساني والمتغيرات المجتمعية بالعراق، معهد الأبحاث، العارف للمطبوعات، بغداد، ٢٠٠٩، ص٥٥.

(٢٠) كاظم حبيب، الأوضاع القائمة في محافظة نينوى وتلكؤ معالجتها، الحوار المتمدن ٢٤/ ١٢/ ٢٠١٧.

(٢١) إسراء علاء الدين نوري، النظام السياسي في العراق، أعمال مؤتمر جامعة السليمانية، ٢٠١٣، ص٣٠٠.

(٢٢) طارق محمد طيب القصار، طارق محمد ذنون، أثر العامل الخارجي والمواطنة، مجلة دراسات إقليمية، العدد ٣٠، مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل، ٢٠٠٩، ص٨٠.

(٢٣) غسان سلامة، الديمقراطية أداة للسلم الأمني، ندوة سياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٥، ص١١٣.

(٢٤) لقاء صحفي، برنامج لقاء اليوم على الجزيرة في ٢٧/ ٦/ ٢٠١٤. www.aljazera.net

(٢٥) لقاء لقائد جهاز مكافحة الإرهاب عبد الغني الأسدي، قناة الفلوجة. www.alfallujah.tv

(٢٦) ينظر الموقع الإلكتروني http//aliraqinews

(٢٧) وليد المشرفاوي، مفهوم التعايش السلمي أساس الديمقراطية، شبكة نبأ المعلوماتية www.Annabaa.org

(٢٨) منى حمدي حكمت، مفهوم التعايش السلمي ومعوقاته في العراق، بحث منشور في المجلة الأكاديمية العلمية ص٣٤٠.https://www.lasj.net

(٢٩) حنا بطاطو، العراق: الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية، ط١، بيروت، ١٩٩٥، ص٢٩٥.

(٣٠) الببرابونا، تاريخ الكنيسة الشرقية، ج١، الموصل، ١٩٧٣، ص٢١٢-٢١٣.

(٣١) مجموعة باحثين، التسلح ونزع السلاح والأمن الدولي، بيروت، معهد ستوكهولم لأبحاث السلام الدولي بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٧، ص٩٨-٩٩.

(٣٢) تقرير على شبكة الإنترنت www.bbc.com

(٣٣) د. افتخار زكي عليوي، المصدر السابق، ص٥٢٦.

(٣٤) د. فاض عباس المحمداوي، دور التعايش السلمي في تحقيق الوحدة الوطنية، بحث منشور في المجلة الأكاديمية العلمية، ص٩٧. https://www.lasj.net

(٣٥) فهيل جبار جلبي، معوقات التعايش السلمي في العراق، ينظر شبكة الإنترنت ص٢ www.kurdportat.net/ar/wf.

(٣٦) المصدر نفسه.

(٣٧) عامر عبد زيد، من اجل أخلاقيات التسامح في ظل ثقافة اللاعنف، سلسلة كتب ثقافية، العدد ٢٢، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠١٠، ص٦٤.

(٣٨) د. فاضل عباس المحمداوي، المصدر السابق، ص٩٨.

(٣٩) سعد الدين إبراهيم وآخرون، أزمة الديمقراطية في الوطن العربي، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، بيروت، يناير ١٩٨٧ــ ص٤٠.

(٤٠) د. منى حمدي حكمت، المصدر السابق، ص ٣٤٥.

Mosuli Studies Magazine

Seasonal and academic Magazine Issued by

Mosul Studies Centre

Concerned with

Mosuli Academic Researches in humanities

- **Asst. Prof. Dr. Maha Saeed Hameed :Hanbalis of Mosul and Their Scientific Efforts During the Sixteenth and Seventeenth Centuries of Hegira / The Twelfth and Thirteenth Century A.D:1-17.**
- **Lec.Dr.Mohamad Nazar Aldabbagh : Mosul and Nineveh in the Writings of German Jewish Traveler with the Petachia of Ratisbon D: 614 A.H / 1217 A.D 19-39.**
- **Lect. Dr.Huda Yassen Yousif AL-Dabbagh: Mosuli Notables According to Geographers and Travellers Writings. 41-59**
- **Lec. DR. Suhaib Hazim Alghadhanfary: Izz Al-Din Masoud II Prince of Mosul (607-615 AH /1210-1218 BC). 61-79.**
- **Asst. Prof. Dr. Ali A. M. Alubaidi : Taking care off in tangible heritage in Mosul 81-95.**
- **Lect. Hanaa jasim AL-Sabawy Actual Environmental Consciousness and Means of Development (A field study). 97-123.**
- **Lect. Marah Muayad. Hasan Challenges that faced the educational process in schools of the city of Mosul in 2017 from the point of view its caders. 125-148.**
- **Asst. Lect. Afraa Riyad Mohammed: The nature of relationship between the central government and the local government and its their effect upon peaceful coexistence. (mosul is a model). 149-163.**

Conditions of the Publication

1-The magazine is concerned with publishing the academic scientific researches which focus on Mosuli affairs in its different aspects.

2-The research must be done in according to the Conditions of academic scientific research. Revenue sources, references and document in the margins, with attention to language and print.

3-The research must be unpublished or present to publication in another magazine and the editing staff unobligated to back the researchs to its Owners in case they are unaccepted for publication.

4-The printed pages of the research shouldn't be more than (20) in three copies loaded on disc (CD).

5-The research is presented to experts who determine its appropriateness to be published or not.

6-The magazine is issued periodically. The researcher has the right to obtain a copy of the published research.

7- Title research, font size 18, font size body 14, concluding comments 13. The number of lines per page should not exceed 27 lines.

8- In the first page of the research, Abstract of the research in Arabic & a summary in English with the title of the research in English & the name of the researcher in English.

9-The dimensions of the page left 3cm from the right & left. The upper side 3cm for the bottom of page 4cm.

ISSN 1815-8854
No. (48)
Year (14)
2018 A.D/ 1439 A.H

Letters addressed
to Editor- in- Chief

Address
Mosul Studies Centre
University of Mosul
P.O. Box 11348
Tel. 812246

E-Mail : mosul.studies@gmail.com

The Published Researches express the researchers' opinion and don't necessarily reflect the opinion of the Magazine

Researches Arranged In Methodical Way

Printed by
Computer Unit In Mosul Studies Centre

The deposit number
In the House of Books and Documents in Baghdad is (727)
In 2001

Mosuli Studies Magazine

Seasonal and academic Magazine Issued by Mosul Studies Centre

Concerned with
Mosuli academic researches
in humanities

Editing-in-Chief
Prof . Dr. Thanoon. Y. Al.Taee

Editing Manager

- **Prof. Dr. Husain D. Hamood / Department of Ancient Civilizations /Archeology College.**
- **Assist. Prof. Batoul. H. al-bustani / Department of Arabic Language / College of Education**
- **Asist. Prof. Dr. Muhamad S.Rashid al-hafidh/ Department of Arabic Language / College of Basic Education**
- **Asist. Prof. Dr. Maysoon. Alabayachi / Department of Historical And Social Studies/ Mosul Studies Center.**
- **Asist Prof. Dr. Oruba J. Mahmud/ Department of Historical And Social Studies/ Mosul Studies Center.**
- **Asist Prof. Dr. Ali A. al Obaidee/Editing Secretary/ Mosul Studies Center.**

Consultative Board

- **Prof.Dr.Emad Al-Deen-Khaleel/experienced Prof./History Department/College of Arts.**
- **Prof. Dr. Ahmed K. Aljumaa/experienced Prof./History Department/College of Arts.**
- **Prof.Dr.Hashem Y. Al Malah/experienced Prof./History Department/College of Arts.**
- **Prof.Dr. Nada F. Zaydan al-Abayachi, Department of psychology, College of Humanities.**
- **Prof.Dr. Taha Khudeir Ubaid , Department of History , College of Education for Humanities, University of Mosul.**
- **Prof.Dr. Khashman H. Ali, Department of psychology, College of Basic Education.**
- **Prof.Dr. Nahla S. Ahmad, Department of History, College of Humanities.**